



مركز تحقیقات علوم اسلامی

الموسوعة الصوفية

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م



مركز تحقيقات علوم إسلامي

دمشق - ص.ب ٧٨٧ - هاتف ٢٢١٢٩٦٧

فاكس: ٢٢٣٤٣٣٦ ١١ ٩٦٣

بيروت - شارع المقدسي ص.ب ٥٧٢٠ / ١١٣

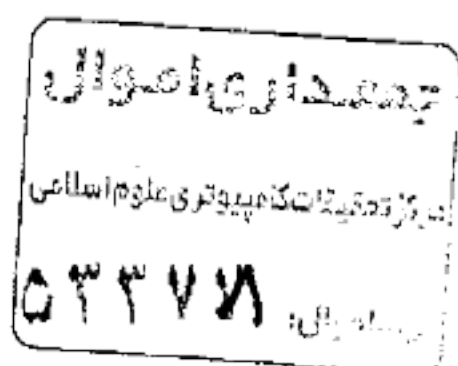
الموسوعة الصوفية



مركز تحقيقات علوم اسلامی

د. سليمان المدني

۵۳۳۷۸





المقدمة

٣٨٦٦٥

شماره ثبت:

تاريخ ثبت:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

إن الحديث عن التصوف بشكل علني شيء، ووضع موسوعة عن التصوف تاريخاً وفاقاً وأعلاماً وممارسات شيء آخر. خاصة ونحن في أوائل القرن الحادي والعشرين الذي يتميز بهجمة شرسة على الإسلام والمسلمين تاريخاً وحضارة وفكراً وعقيدة، لدرجة بات فيها المسلمون عاجزين حتى على الرد على الاتهامات التي تُكال لهم بشكل شبه يومي ومن شتى أصقاع العالم الغربي المتهود.

بل وصلنا إلى درجة باتت فيها الدول الغربية تُنظرُ علينا في الشؤون الإسلامية، وكأنها تريد منا إسلاماً خاصاً على طريقته، فقد قامت القوات الأمريكية مؤخراً بتصميم ما أسميته (الفرقان الحق) على طلبه المدارس الأجنبية الخاصة في الكويت. حيث يؤكد فيه مؤلفاه (الصفى والمهدي) بأنه الكتاب المقدس للقرن الحادي والعشرين، أو سمي إن شئت كتاب السلام، أو مصحف الأيمان الثلاثة... إلخ..

والكتاب واحد من عشرات الكتب المماثلة التي تزخر بها دور النشر الغربية عموماً، وتعمل على ترويجها في العالم الإسلامي، خاصة وأن الكثير منها كُتب أصلاً باللغة العربية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

الإسلام دعوة نصرانية، أكذوبة الإعجاز في القرآن، مقابلة قرآنية بين المسيح ومحمد، علاقة الشيطان بالنبي (صلى الله عليه وسلم)، خرافة أمية محمد، الإرهاب في الإسلام، الدين الرابع، مسيحيون في سلاسل، الروح القدس أم محمد، الذكر المحفوظ، الإتيان في تحريف القرآن، إلى آخر ما

هنالك من مؤلفات التضليل الهادفة إلى هدم الإسلام في عقر داره على يد فرق عدوة منظمة بالخفاء.

www.hopeshineministry.com/Books-Arabic.html

كما لا ننسى في هذه العجالة الآيات الشيطانية لسلطان رشدي، وكذلك الرسوم الكاريكاتورية التي نشرتها الصحف الدانماركية ومن ثم تنافلتها العديد من الصحف الغربية بشكل متعمد بهدف الإساءة لقدسسية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم. وكذلك تصريحات البابا الأخيرة بأن الإسلام دين عنف وإرهاب، ثم قول الرئيس الأمريكي بوش الثاني بأن الإسلام دين فاشستي.

(نسبة إلى الحزب الفاشستي الذي أسسه موسيليني والذي اشتهر بالإرهاب الدموي). ومن الطبيعي أن يستغل أعداء بهذه الصفات الفرق الصوفية أيما استغلال في سبيل مآربهم المارقة. خاصة وأنهم يدركون أن الكثير من تلك الفرق تسيء إلى الإسلام وتنقل عنه صورة مشوهة إلى العالم.

وعليه فإن الغربيين يرون أن الحركة الصوفية في العالمين العربي والإسلامي هي خير مُمَثِّلٍ عن الإسلام الصهيوني الأمريكي المنشود الذي يتناسب مع السلام العالمي حسب وجهة نظرهم.

وعليه فقد طالعنا الأخبار العالمية بتوصية عجيبة صادرة عن الكونجرس الأمريكي يدعو فيها إلى دعم الحركات الصوفية في العالم الإسلامي ..

وفي هذا المجال يقول الباحث الموسوعي الدكتور عبد الوهاب المسيري:

(ومما له دلالة أن العالم الغربي الذي يحارب الإسلام، يشجع الحركات الصوفية. ومن أكثر الكتب انتشاراً الآن في الغرب مؤلفات محيي الدين بن عربي وأشعار جلال الدين الرومي).

وقد أوصت لجنة الكونغرس الخاصة بالحريات الدينية بأن تقوم الدول العربية بتشجيع الحركات الصوفية. فللزهد في الدنيا والانصراف عنها وعن عالم السياسة يضاعف ولا شك صلابة المقاومة للاستعمار الغربي.

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/...551912A33B2.htm>

ومن جهة أخرى كشفت مجلة "يو إس نيوز" الأمريكية عن سعي الولايات المتحدة لتشجيع ودعم الصوفية؛ كإحدى وسائل التصدي للجماعات الإسلامية. ويعتقد بعض الاستراتيجيين الأمريكيين أن أتباع الصوفية ربما كانوا من بين أفضل الأسلحة الدولية ضد "القاعدة"، وغيرها من الإسلاميين المتشددين.

ويمثل المتصوفون وأساليبهم الصوفية الغامضة اختلافاً واضحاً مع الطوائف الأصولية الإسلامية، كالطائفة الوهابية، على حد زعم المجلة. وكانت الأضرحة الصوفية قد تعرضت للتخطيط في إطار الصراع الطويل بين الصوفية والأصولية في الجزيرة العربية، كما وصفت كذلك الأساليب الصوفية بأنها ارتداد عن الدين، على حد زعم المجلة.

(مما يعني أن الغربيين يؤيدون الصوفية لكونها من حركات الردة الإسلامية، وليس من أجل توثيق حرية الفكر والعقيدة كما يزعمون). وبحسب مجلة "يو إس نيوز" فإن الصوفية تسعى للعودة ثانية، حيث يوجد عشرات الملايين في وسط وجنوب شرق آسيا وغرب إفريقيا، ومئات الملايين الآخرين من التابعين للتقاليد الصوفية.

وقد صرح أحد متخصصي "الأنثروبولوجي" ويدعى "روبرت داتين"، والذي كان قد درس المتصوفين الأفارقة، إنه: سيكون من الحمالة تجاهل الاختلافات بين الصوفية والأصولية، حيث وصف الصراع بين المتصوفين والأصوليين بأنه يشبه حرب العصابات، على حد قوله.

وقد استرعى ذلك الصراع انتباه صناع السياسة الأمريكية، ولأنه ليس في إمكانهم دعم الصوفية بصورة مباشرة؛ فإنهم يسعون إلى دعم من على علاقة بها.

ومن بين التكتيكات السياسية في هذا الشأن استخدام الدعم الأمريكي لاستعادة الأضرحة الصوفية حول العالم، وترجمة مخطوطاتهم التي ترجع للعصور الوسطى، وكذلك دفع الحكومات لتشجيع نهضة الصوفية في بلدانهم.

وفي صورة غير متوقعة تخلى السفير الأمريكي الجديد بالقاهرة "ريتشارد دوني" عن حراسته، وسيارته الدبلوماسية للمشاركة في الاحتفال بالليلة الكبيرة لمولد ((شيخ العرب السيد)) أحمد البدوي بمدينة طنطا التابعة لمحافظة الغربية.

وفوجئ آلاف من مريدي الشيخ الراحل ورواد المولد، بالسفير يتجول في الساحة المقابلة للمسجد الكبير في ملابس بسيطة وبصحبه ابنته وصديقتها، والمهندس الشافعي الذكوروي محافظ الغربية، والدكتور علي السمان عضو لجنة التنسيق الحضاري بين الأديان، قبل أن يصر السفير بعد دقائق على الجلوس وسط آلاف من أنصار الطرق الصوفية الذين نصبوا خيامهم حول المسجد الكبير، والاستماع والمشاركة في تلاوة بعض أناشيدهم وأورادهم.

وكان دوني قد أعلن في وقت سابق عن إعجابه الشديد بعالم التصوف الإسلامي، لافتاً إلى ما تتطوي عليه الصوفية من تسامح، وما تجسده من قيم ومبادئ إسلامية رفيعة مثل الحق والخير والجمال.

<http://www.alkhaleej.ae/articles/sh....cfm?val=216009>

وفي إطار اهتمامه المزعوم بالتيارات الإسلامية المعتدلة في مصر طلب السفير الأمريكي الجديد السيد فرنسيس ريتشارد دوني مقابلة فضيلة الشيخ حسن الشناوي شيخ مشايخ الطرق الصوفية وقد تمت المقابلة في

مقر المشيخة العامة بالحسين وقد أوضح السفير الأمريكي اهتمامه بالتصوف منذ الصغر حيث تربى تربية صوفية مسيحية على يد أحد القساوسة الكاثوليك الذين نهجوا منهج الاعتدال الديني ونشر السماحة والحب والإيمان بين مريديه..

وقال أنه على مدار عمله في السفارة الأمريكية بالقاهرة في منتصف الثمانينات اهتم بقضية التصوف وشاهد عن قرب الممارسات الصوفية لكثير من الطرق وحضر العديد من الموالد - وقد طلب الذهاب إلى مولد سيدي أحمد البدوي ليحضر احتفال الطرق الصوفية بهذا المولد.

وقد أبدى السفير الأمريكي إعجابه بعد زيارته للطريقة الجازولية واستماعه لأبناء الطريقة وهم ينشدون المدائح النبوية والأنشيد الدينية.

(مجلة التصوف الإسلامي العدد 323 نو القعدة 1426 ديسمبر 2005)

ومما لا شك فيه أن اهتمام الأمريكيين بالحركة الصوفية ليس لسواد عيون المتصوفين في العالم الإسلامي، لأن الأمريكيين لا يقدمون شيئاً لأحد دون ثمن، وأن اهتمامهم ما هو إلا خطوة على طريق هدم الدين الإسلامي من الداخل بتشجيع البدع والانحرافات التي تشوه جوهر الدين الإسلامي وعبادات مضللة، وأوهم يسعى المريدون وراءها دون طائل كما سنرى وعبادات مضللة، وأوهم يسعى للمريدين وراءها دون طائل كما سنرى من خلال صفحات هذه الموسوعة.

د. سليمان المدني

2006 / 10 / 15



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الصوفية

الصوفية والتصوف هي حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقاً مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية: كالهندية والفارسية واليونانية المختلفة.

ويلاحظ أن هناك فروقاً جوهرية بين مفهومى الزهد والتصوف أهمها: أن الزهد مأمور به، والتصوف جنوح عن طريق الحق الذي اختطه أهل السنة والجماعة.

مركز تحقيقات كويتى علوم إسلامية

التأسيس وأبرز الشخصيات:

خلال القرنين الأولين ابتداءً من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين حتى وفاة الحسن البصري، لم تُعرف الصوفية سواء كان باسمها أو برسمها وسلوكها، بل كانت التسمية الجامعة: المسلمين، المؤمنين، أو التسميات الخاصة مثل: الصحابي، البدرى، أصحاب البيعة، التابعي.

لم يعرف ذلك العهد هذا الغلو العملى التعبدى أو العلمى الاعتقادي إلا بعض النزعات الفردية نحو التشديد على النفس الذي نهاهم عنه النبى صلى الله عليه وسلم في أكثر من مناسبة، ومنها قوله للرهط الذين سألوا عن عبادته صلى الله عليه وسلم: "كنى أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وأكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني".

وقوله صلى الله عليه وسلم للحولاء بنت نويت التي طوّقت نفسها بحبل حتى لا تنام عن قيام الليل كما في حديث عائشة رضي الله عنها:
(عليكم من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يملّ حتى تعلموا، وأحبّ العمل إلى الله أنومه وإن قل).

— وهكذا كان عهد الصحابة والتابعين وتابعيهم على هذا المنهج يسرون، يجمعون بين العلم والعمل، والعبادة والسعي على النفس والعيال، وبين العبادة والجهاد، والتصدي للبدع والأهواء مثلما تصدى ابن مسعود رضي الله عنه لبدعة الذكر الجماعي بمسجد الكوفة وقضى عليها، وتصديه لأصحاب معضد بن يزيد العجلي لما اتخذوا دوراً خاصة للعبادة في بعض الجبال وردهم عن ذلك.

ظهور العبادة:

في القرن الثاني عشر الهجري في عهد التابعين وبقايا الصحابة ظهرت طائفة من العباد أثروا العزلة وعدم الاختلاط بالناس فشددوا على أنفسهم في العبادة على نحو لم يعهد من قبل، ومن أسباب ذلك بزوغ بعض الفتن الداخلية، وإراقة بعض الدماء الزكية، فأثروا اعتزال المجتمع تصوناً عما فيه من الفتن، وطلباً للسلامة في دينهم، يضاف إلى ذلك أيضاً فتح الدنيا أبوابها أمام المسلمين، وبخاصة بعد اتساع الفتوحات الإسلامية، وانغماس بعض المسلمين فيها، وشيوع الترف والمجون بين طبقة من السفهاء، مما أوجد ردة فعل عند بعض العباد وبخاصة في البصرة والكوفة حيث كانت بداية الانحراف عن المنهج الأول في جانب السلوك.

— ففي الكوفة ظهرت جماعة من أهلها اعتزلوا الناس وأظهروا الندم الشديد بعد مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما وسموا أنفسهم بالثوّابين أو البكّاتين. كما ظهرت طبقة من العباد غلب عليهم جانب التشدد في العبادة والبعد عن المشاركة في مجريات الدولة، مع علمهم وفضلهم والتزامهم بأداب الشريعة، واشتغالهم بالكتاب والسنة تعلماً وتعليماً،

بالإضافة إلى صدعهم بالحق وتصديقهم لأهل الأهواء. كما ظهر فيهم الخوف الشديد من الله تعالى، والإغماء والصعق عند سماع القرآن الكريم مما استدعى الإنكار عليهم من بعض الصحابة وكبار التابعين كأسماء بنت أبي بكر وعبد الله بن الزبير ومحمد بن سيرين ونحوهم رضي الله عنهم، وبسببهم شاع لقب العُباد والزُّهاد والقُرَّاء في تلك الفترة.

ومن أعلامهم:

علمر بن عبد الله بن الزبير، و صفوان بن سليم، وطلق بن حبيب الغزي، عطاء السلمي، الأسود بن يزيد بن قيس، وداود الطائي، وبعض أصحاب الحسن البصري.

بداية الانحراف:

كدأب أي انحراف يبدأ صغيراً، ثم ما يلبث إلا أن يتسع مع مرور الأيام، فقد تطور مفهوم الزهد في الكوفة والبصرة في القرن الثاني للهجرة على أيدي كبار الزهاد أمثال: إبراهيم بن أدهم، مالك بن دينار، وبشر الحافي، ورابعة العدوية، وعبد الواحد بن زيد، إلى مفهوم لم يكن موجوداً عند الزهاد السابقين من تعذيب للنفس بترك الطعام، وتحريم تناول اللحوم، والسياسة في البراري والصحاري، وترك الزواج.

يقول مالك بن دينار: "لا يبلغ الرجل منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، ويأوي إلى مزابل الكلاب". وذلك دون سند من قدوة سابقة أو نص كتاب أو سنة، ولكن مما يجدر التنبيه عليه أنه قد نسب إلى هؤلاء الزهاد من الأقوال المرذولة والشطحات المستكرة ما لم يثبت عنهم بشكل قاطع كما يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية.

— وفي الكوفة أخذ معضد بن يزيد العجلي هو وقبيلُه يروضون أنفسهم على هجر النوم وإدامة الصلاة، حتى سلك سبيلهم مجموعة من زهاد

الكوفة، فأخذوا يخرجون إلى الجبال للانقطاع للعبادة، على الرغم من إنكار ابن مسعود عليهم في السابق.

— وظهرت من بعضهم مثل رابعة العدوية أقوال مستنكرة في الحب والعشق الإلهي للتعبير عن المحبة بين العبد وربّه، وظهرت تبعاً لذلك مفاهيم خاطئة حول العبادة من كونها لا طمعاً في الجنة ولا خوفاً من النار مخالفة لقول الله تعالى: (يَذْعَبُونَ رَغَباً وَرَهَباً).

ويمكن أن نلخص التطور في هذه المرحلة على النحو التالي:
"في أواخر عصر التابعين حدثت ثلاثة أشياء:

الرأي، والكلام، والتصوف. فكان جمهور الرأي في الكوفة، وكان جمهور الكلام والتصوف في البصرة، فبته بعد موت الحسن وابن سبيرين ظهر عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، وظهر أحمد بن علي الهجيمي ت200هـ، تلميذ عبد الواحد بن زيد تلميذ الحسن البصري، وكان له كلام في القدر، وبنى دويرة للصوفية — وهي أول ما بني في الإسلام — أي داراً بالبصرة غير المساجد للالتقاء على الذكر والسماع — صار لهم حال من السماع والصوت — إشارة إلى الغناء. وكان أهل المدينة أقرب من هؤلاء في القول والعمل، وأما الشاميون فكان غالبهم مجاهدين".

ومنذ ذلك العهد أخذ التصوف عدة أطوار أهمها:

— البداية والظهور:

ظهر مصطلح التصوف والصوفية أول ما ظهر في الكوفة بسبب قربها من بلاد فارس، والتأثر بالفلسفة اليونانية بعد عصر الترجمة، ثم بسبب تأثر أهل الكتاب، وقد تنازع العلماء والمؤرخون في أول من صاغ هذه المصطلحات أقوال ثلاثة:

1— قول أبي حنيفة النعمان ت150هـ أو ت162هـ بالشام بعد أن سكن الكوفة وكان له دور كبير في تأريخها ت155هـ، قال عنه سفيان:

تولا أبو هاشم ما عرفت دقائق الرياء". وكان معاصراً لجعفر الصادق وينسب إلى الشيعة الأوائل، ويسميه الشيعة مخترع الصوفية.

2 — يذكر بعض المؤرخين أن عبدك — عبد الكريم أو محمد — المتوفى سنة 210هـ هو أول من تسمى بالصوفي، ويذكر عنه الحارث المحاسبي أنه كان من طائفة نصف شيعية تسمى نفسها صوفية تأسست بالكوفة. بينما يذكر الملطي في التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع أن عبدك كان رأس فرقة من الزنادقة الذين زعموا أن الدنيا كلها حرام، لا يحل لأحد منها إلا القوت، حيث ذهب أئمة الهدى، ولا تحل الدنيا إلا بإمام عادل، وإلا فهي حرام، ومعاملة أهلها حرام.

3 — يذهب ابن النديم في الفهرست إلى أن جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق والمتوفى سنة 208هـ أول من تسمى بالصوفي، والشيعة تعتبره من أكابرهم، والفلاسفة ينسبونه إليهم. — وقد تنازع العلماء أيضاً في نسبة الاشتقاق على أقوال كثيرة أرجحها:

1— ما رجّحه شيخ الإسلام ابن تيمية وابن خلدون وطائفة كبيرة من العلماء من أنها نسبة إلى الصوف حيث كان شعار رهبان أهل الكتاب الذين تأثر بهم الأوائل من الصوفية، وبالتالي فقد أبطلوا كل الاستدلالات والاشتقاقات الأخرى على مقتضى قواعد اللغة العربية، مما يبطل محاولة نسبة الصوفية أنفسهم لأهل الصفة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو محاولة نسبة الصوفية أنفسهم إلى علي بن أبي طالب والحسن البصري وسفيان الثوري رضي الله عنهم جميعاً، وهي نسبة تفتقر إلى الدليل و تعوزها الحجة والبرهان.

2— الاشتقاق الآخر ما رجّحه أبو الريحان البيروني 440هـ— وفون هامر حديثاً وغيرهما من أنها مشتقة من كلمة سوف SOPH اليونانية والتي تعني الحكمة. ويدل أصحاب هذا الرأي على صحته بانتشاره في

بغداد وما حولها بعد حركة الترجمة النشطة في القرن الثاني الهجري بينما لم تعرف في نفس الفترة في جنوب وغرب العالم الإسلامي. ويضاف إلى الزمان والمكان التشابه في أصل الفكرة عند الصوفية واليونان حيث أفكار وحدة الوجود والحلول والإشراق والفيض. كما استدلوا على قوة هذا للرأي بما ورد عن كبار الصوفية مثل السهروردي - المقتول ردة - بقوله: (وأما أنوار السلوك في هذه الأزمنة القريبة فخميرة الفيثاغورثيين وقعت إلى أخي أخميم (ذي النون المصري) ومنه نزلت إلى سيارستري وشيعته (أي سهل التستري) وأضافوا إلى ذلك ظهور مصطلحات أخرى مترجمة عن اليونانية في ذلك العصر، مثل الفلسفة، الموسيقى، الموسيقى، السفسطة، الهولي.

طلائع للصوفية: ظهر في القرنين الثالث والرابع الهجري ثلاث طبقات من المنتسبين إلى التصوف وهي:

الطبقة الأولى:

وتمثل التيار الذي اشتهر بالصدق في الزهد إلى حد الوسوس، والبعد عن الدنيا والانحراف في السلوك والعبادة على وجه يخالف ما كان عليه الصدر الأول من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته بل وعن عبادة القرن السابق له، ولكنه كان يقرب على أكثرهم الاستقامة في العقيدة، والإكثار من دعاوى التزام السنة ونهج السلف، وإن كان ورد عن بعضهم - مثل الجنيد - بعض العبارات التي عدها الطمء من الشططحات، ومن أشهر رموز هذا التيار:

- الجنيد: هو أبو القاسم الخراز المتوفى 298هـ.

وهناك آخرون تشملهم هذه الطبقة أمثال:

أبو سليمان الداراني عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الغني ت205هـ، وأحمد بن الحواري، والحسن بن منصور بن إبراهيم أبو علي الشطوي الصوفي وقد روى عنه البخاري في صحيحه، والسري بن المفلس

السقطي أبو الحسن ت253هـ، سهل بن عبد الله التستري ت273هـ،
معروف الكرخي أبو محفوظ 200هـ، وقد أتى من بعدهم ممن سار على
طريقتهم مثل: أبي عبد الرحمن السلمي 412هـ محمد بن الحسين الأزدي
السلمي، محمد بن الحسن بن الفضل بن العباس أبو يعلى البصري الصوفي
368هـ شيخ الخطيب البغدادي.

— ومن أهم السمات الأخرى لهذه الطبقة: بداية التمييز عن جمهور
المسلمين والعلماء، وظهور مصطلحات تدل على ذلك بشكل مهّد لظهور
الطرق من بعد، مثل قول بعضهم: علمنا، مذهبنا، طريقنا، قال الجنيد:
(علمنا مشتبك مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم) وهو انتساب
محرم شرعاً حيث يفضي إلى البدعة والمعصية بل وإلى الشرك أيضاً،
وقد اشترطوا على من يريد السير معهم في طريقهم أن يخرج من ماله،
وأن يقلّ من غذائه وأن يترك الزواج مادام في سلوكه.

— كثر الاهتمام بالوعظ والقصص مع قلة العلم والفقه والتحذير من
تحصيلهما في الوقت الذي اقتدى أكثرهم بسلوكيات رهبان ونسك أهل
الكتاب حيث حدث الالتقاء ببعضهم، مما زاد في البعد عن سمات الصحابة
وأئمة التابعين. ونتج عن ذلك اتخاذ دور للعبادة غير المساجد، يلتقون
فيها للاستماع للقصائد الزهدية أو قصائد ظاهرها الغزل بقصد مدح النبي
صلى الله عليه وسلم مما سبّب العداء الشديد بينهم وبين الفقهاء، كما
ظهرت فيهم ادعاءات الكشف والخوارق وبعض المقولات الكلامية.

وفي هذه الفترة ظهرت لهم تصانيف كثيرة في مثل: كتب أبو طالب
المكي قوت القلوب وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، وكتب الحارث
المحاسبي. وقد حذر العلماء الأوائل من هذه الكتب لاشتغالها على
الأحاديث الموضوعة والمنكرة، واشتغالها على الإسرائيليات وأقوال أهل
الكتاب.

سأل الإمام أبو زرعة عن هذه الكتب فقيل له:

في هذه عبرة ؟ قال:

من لم يكن له في كتاب الله عز وجل عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة.

ومن أهم هذه السمات المميزة لمذاهب التصوف والقاسم المشترك للمنهج المميز بينهم في تناول العبادة وغيرها ما يسمونه (الذوق)، والذي أدى إلى اتساع الخرق عليهم، فلم يستطيعوا أن يحموا نهجهم الصوفي من الاندماج أو التأثير بعقائد وفلسفات غير إسلامية، مما سهل على انتشار هذه الطبقة وزيادة انتشار الطبقة الثانية التي زاد غلوها وانحرافها.

الطبقة الثانية:

خلطت الزهد بعبارات الباطنية، وانتقل فيها الزهد من الممارسة العملية والسلوك التطبيقي إلى مستوى التأمل التجريدي والكلام النظري، ولذلك ظهر في كلامهم مصطلحات:

(الوحدة، والفناء، والاتحاد، والخلول، والسكر، والصحو، والكشف، والبقاء، والمريد، والعارف، والأحوال، والمقامات)..إلخ..

وشاع بينهم التفرقة بين الشريعة والحقيقة، وتسمية أنفسهم أرباب الحقائق وأهل الباطن، وسموا غيرهم من الفقهاء أهل الظاهر والرسوم مما زاد العداء بينهما، وغير ذلك مما كان غير معروف عند السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة ولا عند الطبقة الأولى من المنتسبين إلى الصوفية، مما زاد في انحرافها، فكانت بحق تمثل البداية الفعلية لما صار عليه تيار التصوف حتى الآن.

ومن أهم أعلام هذه الطبقة:

أبو يزيد البسطامي ت263هـ، نوالنون المصري ت245هـ، الحلاج ت309هـ، أبوسعيد الخزار 277 — 286هـ، الحكيم الترمذي

ت320هـ، أبو بكر الشبلي 334 هـ - وسنكتفي هنا بالترجمة لمن كان له أثره البالغ فيمن جاء بعده إلى اليوم مثل:

— نو النون المصري:

وهو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، قبطي الأصل من أهل النوبة، من قرية أخميم بصعيد مصر، توفي سنة 245 هـ أخذ التصوف عن شقران العابد أو إسرائيل المغربي على حسب رواية ابن خلكان وعبد الرحمن الجامي. ويؤكد الشيعة في كتبهم ويوافقه ابن النديم في الفهرست أنه أخذ علم الكيمياء عن جابر بن حيان، ويذكر ابن خلكان أنه كان من العلامية الذين يخفون تقواهم عن الناس ويظهرون استهزاءهم بالشرعية، وذلك مع اشتغاره بالحكمة والفصاحة.

ويعدُّه كُتَّاب الصوفية المؤسس الحقيقي لطريقتهم في المحبة والمعرفة، وأول من تكلم عن المقامات والأحوال في مصر، وقال بالكشف وأن للشرعية ظاهراً وباطناً.

ويذكر القشيري في رسالته أنه أول من عرف التوحيد بالمعنى الصوفي، وأول من وضع تعريفات للوجد والسماع، وأنه أول من استعمل الرمز في التعبير عن حاله، وقد تأثر بعقائد الإسماعيلية الباطنية وإخوان الصفا بسبب صلاته القوية بهم، حيث تزامن مع فترة نشاطهم في الدعوة إلى مذاهبهم الباطلة، فظهرت له أقوال في علم الباطن، والعلم اللدني، والاتحاد، وإرجاع أصل الخلق إلى النور المحمدي، وكان لعلمه باللغة القبطية أثره على حل النقوش والرموز المرسومة على الآثار القبطية في قريته مما مكَّنه من تعلم فنون التنجيم والسحر والطلاسم الذي اشتغل بهم.

ويعد ذو النون أول من وقف من المتصوفة على الثقافة اليونانية، ومذهب الأفلاطونية الجديدة، وبخاصة ثيولوجيا أرسطو في الإلهيات، ولذلك كان له مذهب الخاص في المعرفة والفناء متأثراً بالغوصية.

— أبو يزيد البسطامي:

طيفور بن عيسى بن آدم بن شروسان، ولد في بسطلم من أصل مجوسي، وقد نسبت إليه من الأقوال الشنيعة، مثل قوله: (خرجت من الحق إلى الحق حتى صاح في: يا من أنت أنا، فقد تحققت بمقام الفناء في الله)، (سبحاتي ما أعظم شأنني)، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يعده من أصحاب هذه الطبقة ويشكك في صدق نسبتها إليه حيث كانت له أقوال تدل على تمسكه بالسنة، ومن علماء أهل السنة والجماعة من يضعه مع الحلاج والسهروردي في طبقة واحدة.

— الحكيم الترمذي:

أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين الترمذي المتوفى سنة 320هـ أول من تكلم في ختم الولاية وألف كتاباً في هذا أسماء ختم الولاية كان سبباً لاتهامه بالكفر وإخراجه من بلده ترمذ، يقول عنه شيخ الإسلام ابن تيمية:

تكلّم طائفة من الصوفية في "خاتم الأولياء" وعظّموا أمره كالحكيم الترمذي، وهو من غلطاته، فإن الغالب على كلامه الصحة بخلاف ابن عربي فإنه كثير التخليط). (مجموع الفتاوى [363/1])

وينسب إليه أنه قال: "لأولياء خاتم كما أن للأنبياء خاتماً"، مما مهد الطريق أمام فلاسفة الصوفية أمثال ابن عربي وابن سبعين وابن هود والتلمساني للقول بخاتم الأولياء، وأن مقامه بفضل مقام خاتم الأنبياء.

الطبقة الثالثة:

وفيهما اختلط التصوف بالفلسفة اليونانية، وظهرت أفكار الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، على أن الوجود الحق هو الله وما عداه فإنها صور زائفة وأوهام وخيالات موافقة لقول الفلاسفة، كما أثرت في ظهور نظريات الفيض والإشراق على يد الغزالي والسهروردي.

وبذلك تعد هذه الطبقة من أخطر الطبقات والمراحل التي مر بها التصوف والتي تعدت به مرحلة البدع العملية إلى البدع العظمى التي بها يخرج التصوف عن الإسلام بالكلية.

ومن أشهر رموز هذه الطبقة: الحلاج ت309هـ، السهروردي 587هـ، ابن عربي ت638هـ، ابن الفارض 632هـ، ابن سبعين ت667هـ.

— الحلاج: أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج 244 — 309هـ — ولد بفارس حفيداً لرجل زراعتي، ونشأ في واسط بالعراق، وهو أشهر الحلوليين والاتحاديين، رمى بالكفر وقتل مصلوباً لتهم أربع وجهت إليه: 1— اتصاله بالقرامطة.

2— قوله "أنا الحق".

3— اعتقاد أتباعه ألوهيته.

4— قوله في الحج، حيث يرى أن الحج إلى البيت الحرام ليس من الفرائض الواجب أدائها.

كانت في شخصيته كثير من الغموض، فضلاً عن كونه متشدداً وعنيفاً ومغالياً، له كتاب الطواسين الذي أخرجه وحققه المستشرق الفرنسي ماسنيون.

يرى بعض الباحثين أن أفراد الطائفة في القرن الثالث الهجري كانوا على علم باطني واحد، منهم من كتبه ويشمل أهل الطبقة الأولى بالإضافة إلى الشبلي القائل: (كنت أنا والحسين بن منصور — الحلاج — شيئاً واحداً إلا أنه أظهر وكتمت)، ومنهم من أذاع وباح به ويشمل الحلاج وطبقته فلذاقهم الله طعم الحديد، على ما صرحت به المرأة وقت صلبه بأمر من الجنيد حسب رواية المستشرق الفرنسي ماسنيون.

ظهور الفرق:

وضع أبو سعيد محمد أحمد الميهدي الصوفي الإيراني 357 – 430 هـ تلميذ أبي عبد الرحمن السلمي أول هيكل تنظيمي للطرق الصوفية بجعله متسلسلاً عن طريق الوراثة.

يعتبر القرن الخامس امتداداً لأفكار القرون السابقة، التي راجت من خلال مصنفات أبي عبد الرحمن السلمي، المتوفى 412 هـ والتي يصفها ابن تيمية بقوله:

(يوجد في كتبه من الآثار الصحيحة والكلام المنقول ما ينتفع به في الدين، ويوجد فيه من الآثار السقيمة والكلام المردود ما يضر من لا خبرة له، وبعض الناس توقف في روايته) (مجموع الفتاوى 1/ 578)،
فقد كان يضع الأحاديث لصالح الصوفية.

ما بين النصف الثاني من القرن الخامس وبداية السادس في زمن أبي حامد الغزالي الملقب بحجة الإسلام 505 هـ أخذ التصوف مكانه عند من حسبوا على أهل السنة. وبذلك انتهت مرحلة الرواد الأوائل أصحاب الأصول غير الإسلامية، ومن أعلام هذه المرحلة التي تمتد إلى يومنا هذا:
— أبو حامد الغزالي:

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي 450 – 505 هـ ولد بطوس من إقليم خراسان، نشأ في بيئة كثرت فيها الآراء والمذاهب مثل: علم الكلام والفلسفة، والباطنية، والتصوف، مما أورثه تلك حيرة وشكاً دفعه للتقلب بين هذه المذاهب الأربعة السابقة أثناء إقامته في بغداد، رحل إلى جرجان ونيسابور، ولزم نظام الملك، درس في المدرسة النظامية ببغداد، واعتكف في منارة مسجد دمشق، ورحل إلى القدس ومنها إلى الحجاز ثم عاد إلى موطنه.

وقد ألف عدداً من الكتب منها: تهافت الفلاسفة، والمنقذ من الضلال، وأهمها إحياء علوم الدين. ويعد الغزالي رئيس مدرسة الكشف في المعرفة، التي تسلمت راية التصوف من أصحاب الأصول الفارسية إلى أصحاب الأصول السنية، ومن جليل أعماله هدمه للفلسفة اليونانية وكشفه لفضائح الباطنية في كتابه المستظهر في أو فضائح الباطنية. ويحكي تلميذه عبد الغافر الفارسي آخر مراحل حياته، بعدما عاد إلى بلده طوس، قائلاً:

(وكانت خاتمة أمره إقباله على حديث المصطفى ومجالسة أهله، ومطالعة الصحيحين - البخاري ومسلم - اللذين هما حجة الإسلام). وذلك بعد أن صحب أهل الحديث في بلده من أمثال: أبي سهيل محمد بن عبد الله الحفصي الذي قرأ عليه صحيح البخاري، والقاضي أبي الفتح الحاسكي الطوسي الذي سمع عليه سنن أبي داود. (طبقات السبكي 4 / 110).

- وفي هذه المرحلة ألف كتابه إجمال العوام عن علم الكلام الذي نم فيه علم الكلام وطريقته، وانتصر لمذهب السلف ومنهجهم فقال:

(الدليل على أن مذهب السلف هو الحق:

أن نقيضه بدعة، والبدعة مذمومة وضلالة، والخوض من جهة العوام في التأويل والخوض بهم من جهة الطماء بدعة مذمومة، وكان نقيضه هو الكف عن ذلك سنة محمودة) ص[96].

- وفيه أيضاً رجع عن القول بالكشف وإدراك خصائص النبوة وقواها، والاعتماد في التأويل أو الإثبات على الكشف الذي كان يراه من قبل غاية العوام.

يمثل القرن السادس الهجري البداية الفعلية للطرق الصوفية وانتشارها حيث انتقلت من إيران إلى المشرق الإسلامي، فظهرت الطريقة القادرية المنسوبة لعبد القادر الجيلاني، المتوفى سنة 561 هـ، وقد رزق بتسعة وأربعين ولداً، حمل أحد عشر منهم تعاليمه ونشروها في العالم الإسلامي، ويزعم أتباعه أنه أخذ الخرقاة والتصوف عن الحسن البصري عن الحسن

بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - رغم عدم لقائسه بالحسن البصري، كما نسبوا إليه من الأمور العظيمة فيما لا يقدر عليها إلا الله تعالى من معرفة الغيب، وإحياء الموتى، وتصرفه في الكون حياً أو ميتاً، بالإضافة إلى مجموعة من الإنكار والأوراد والأقوال الشنيعة. ومن هذه الأقوال أنه قال مرة في أحد مجالسه: "قدمي هذه على رقبة كل ولي لله"، وكان يقول:

(من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن ناداني في شدة فرجت عنه، ومن توسل بي في حاجة قضيت له)، ولا يخفى ما في هذه الأقوال من الشرك وادعاء الربوبية.

- يقول السيد محمد رشيد رضا: "ينقل عن الشيخ الجبلاي من الكرامات وخوارق العادات ما لم ينقل عن غيره، والنقاد من أهل الرواية لا يحفلون بهذه النقول إذ لا أسانيد لها يحتاج بها" (دائرة المعارف الإسلامية 11/171).

كما ظهرت الطريقة الرفاعية المنسوبة لأبي العباس أحمد بن أبي الحسين الرفاعي ت 540 هـ ويطلق عليها البطائحية نسبةً إلى مكان ولاية بالقرب من قرى البطائح بالعراق، وينسج حوله كتاب الصوفية - كدأبهم مع من ينتسبون إليهم - الأساطير والخرافات، بل ويرفعونه إلى مقام الربوبية. ومن هذه الأقوال: (كان قطب الأقطاب في الأرض، ثم انتقل إلى قطبية السماوات، ثم صارت السماوات السبع في رجله كالخلخال) (طبقات الشعراني ص 141، قلادة الجواهر ص 42).

- وقد تزوج الرفاعي العديد من النساء ولكنه لم يعقب، ولذلك خلفه على المشيخة من بعده علي بن عثمان المتوفى 584 هـ ثم خلفه عبد الرحيم بن عثمان المتوفى 604 هـ، ولأتباعه أحوال وأمر غريبة ذكرها الحافظ الذهبي ثم قال: "لكن أصحابه فيهم الجيد والرديء".

— وفي هذا القرن ظهرت شطحات وزندقة السهروردي شهاب الدين أبو الفتوح محيي الدين بن حسن 549-587هـ، صاحب مدرسة الإشراق الفلسفية التي أساسها الجمع بين آراء مستمدة من ديانات الفرس القديمة ومذاهبها في ثنائية الوجود وبين الفلسفة اليونانية في صورتها الأفلاطونية الحديثة ومذاهبها في الفيض أو الظهور المستمر، ولذلك اتهمه علماء حلب بالزندقة والتعطيل والقول بالفلسفة الإشراقية مما حدا بهم أن يكتبوا إلى السلطان صلاح الدين الأيوبي محضراً بكفره وزندقته فأمر بقتله ردة، وإليه تنسب الطريقة السهروردية ومذاهبها في الفيض أو الظهور المستمر.

ومن كتبه:

حكمة الإشراق ، هياكل النور، التلويحات العرشية، والمقامات.
تحت تأثير تراكمات مدارس الصوفية في القرون السالفة أعاد ابن عربي، وابن الفارض، وابن سبعين، بحث عقيدة الحلاج، وذي النون المصري، والسهروردي.

في القرن السابع الهجري دخل التصوف الأندلس وأصبح ابن عربي الطائفي الأندلسي أحد رؤوس الصوفية حتى لقّب بالشيخ الأكبر.

— محيي الدين ابن عربي:

الملقب بالشيخ الأكبر 560-638هـ رئيس مدرسة وحدة الوجود، يعتبر نفسه خاتم الأولياء، ولد بالأندلس، ورحل إلى مصر، وحج، وزار بغداد، واستقر في دمشق حيث مات ودفن، وله فيها الآن قبر يُزار، طرح نظرية الإنسان الكامل التي تقوم على أن الإنسان وحده من بين المخلوقات يمكن أن تتجلى فيه الصفات الإلهية إذا تيسر له الاستغراق في وحدانية الله، وله كتب كثيرة يوصلها بعضهم إلى 400 كتاب ورسالة ما يزال بعضها

محفوظاً بمكتبة يوسف أغا بقونية ومكتبات تركيا الأخرى، وأشهر كتبه:
روح القدس، وترجمان الأشواق وأبرزها:
الفتوحات المكية وفصوص الحكم.

— أبو الحسن الشاذلي 593-656هـ:

صاحب ابن عربي مراحل الطلب — طلب العلم — ولكنهما افترقا حيث
فضل أبو الحسن مدرسة الغزالي في الكشف بينما فضل ابن عربي مدرسة
الحلاج وذو النون المصري، وقد أصبح لكلتا المدرستين أنصارهما إلى
الآن داخل طرق الصوفية، مع ما قد تختلط عند بعضهم المفاهيم فيهما،
ومن أشهر تلاميذ مدرسة أبي الحسن الشاذلي ت 656هـ أبو العباس
ت 686هـ، وإبراهيم الدسوقي، وأحمد البدوي المتوفى سنة 675هـ. ويلاحظ
على أصحاب هذه المدرسة إلى اليوم كثرة اعتذارها وتأويلها لكلام ابن
عربي ومدرسته.

وفي القرن السابع ظهر أيضاً جلال الدين الرومي صاحب الطريقة
المولوية بتركيا ت 672هـ.

أصبح القرن الثامن والتاسع الهجري ما هو إلا تفرع وشرح لكتب ابن
عربي وابن الفارض وغيرهما، ولم تظهر فيه نظريات جديدة في التصوف.
ومن أبرز سمات القرن التاسع هو اختلاط أفكار كلتا المدرستين. وفي هذا
القرن ظهر محمد بهاء الدين النقشبندي مؤسس الطريقة النقشبندية
ت 791هـ. وكذلك القرن العاشر ما كان إلا شرحاً أو دفاعاً عن كتب ابن
عربي، فزاد الاهتمام فيه بتراجم أعلام التصوف، والتي اتسمت بالمبالغة
الشديدة. ومن كتاب تراجم الصوفية في هذا القرن: عبد الوهاب الشعراني
ت 973هـ صاحب الطبقات الصغرى والكبرى.

وفي القرون التالية اختلط الأمر على الصوفية، وانتشرت الفوضى
بينهم، واختلطت فيهم أفكار كلتا المدرستين وبدأت مرحلة الدراويش.

ومن أهم ما تتميز به القرون المتأخرة ظهور ألقاب شيخ السجادة، وشيخ مشايخ الطرق الصوفية، والخليفة والبيوت الصوفية التي هي أقسام فرعية من الطرق نفسها مع وجود شيء من الاستقلال الذاتي يمارس بمعرفة الخلفاء، كما ظهرت فيها التنظيمات والتشريعات المنظمة للطرق تحت مجلس وإدارة واحدة الذي بدأ بفرمان أصدره محمد علي باشا والي مصر يقضي بتعيين محمد البكري خلفاً لوالده شيخاً للسجادة البكرية وتفويضه في الإشراف على جميع الطرق والتكليا والزوايا والمساجد التي بها أضرحة كما له الحق في وضع مناهج التعليم التي تعطى فيها. وذلك كله في محاولة لتفويض سلطة شيخ الأزهر وعلمائه، وقد تطورت نظمه وتشريعاته ليعرف فيما بعد بالمجلس الأعلى للطرق الصوفية في مصر.

من أشهر رموز القرون التأخرة:

- عبد القتي النابلسي 1050-1143هـ.
- أبو السعود البكري المتوفى 1812م أول من عرف بشيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر بشكل غير رسمي.
- أبو الهدي الصيادي الرفاعي 1220-1287هـ.
- عمر الفتوي الطوري السنغالي الأزهري التيجاني ت 1281هـ، ومما يحسن ذكره له أنه اهتم بنشر الإسلام بين الوثنيين، وكونَ لذلك جيشاً، وخاض به حروباً مع الوثنيين، واستولى على مملكة سيغو وعلى بلاد ماسينه. ومن مؤلفاته: سيوف السعيد، سفينة السعادة، رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم.
- محمد عثمان الميرغني ت 1268هـ. سبّلت ترجمته له في مبحث الختمية.

— أبو الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني، فقيه متفلسف، من أهل فاس بالمغرب، أسس الطريقة الكتانية 1290-1327هـ، انتقد عليه علماء

فاس بعض أقواله ونسبوه إلى فساد الاعتقاد. ومن كتبه: حياة الأنبياء،
لسان الحجة البرهانية في الذب عن شعائر الطريقة الأحمدية الكتابية.
— أحمد التيجاني ت1230هـ. ستأتي ترجمة له في مبحث التيجانية.
— حسن رضوان 1239-1310هـ صاحب أرجوزة روض القلوب
المستطاب في التصوف.

— صالح بن محمد بن صالح الجعفري الصالقي 1328-1399هـ
انتسب إلى الطريقة الأحمدية الإبريسية بعد ما سافر إلى مصر والتحق
بالأزهر، وأخذ الطريقة عن الشيخ محمد بخيت المطيعي، والشيخ حبيب
الله الشنقيطي، والشيخ يوسف النجوي، ومن كتبه: الإلهام النافع لكل
قاصد، القصيدة الثمانية، الصلوات الجعفرية.

الأفكار والمعتقدات:

مصادر التلقي:



— الكشف :

مركز تحقيقات كليات علوم الدين

ويعتمد الصوفية الكشف مصدراً وثيقاً للعلوم والمعارف، بل تحقيق غاية
عبادتهم، ويدخل تحت الكشف الصوفي جملة من الأمور الشرعية والكونية
منها:

1 — النبي صلى الله عليه وسلم:

ويقصدون به الأخذ عنه بقظة أو مناماً.

2 — الخضر عليه الصلاة والسلام:

قد كثرت حكايتهم عن لقاءه، والأخذ عنه أحكاماً شرعية وعلوماً دينية،
وكذلك الأوراد، والأنكار والمناقب.

3 — الإلهام:

سواء كان من الله تعالى مباشرة، وبه جعلوا مقام الصوفي فوق مقام النبي حيث يعتقدون أن الولي يأخذ العلم مباشرة عن الله تعالى حيث أخذه الملك الذي يوحى به إلى النبي أو الرسول.

4 - الفراسة:

التي تختص بمعرفة خواطر النفوس وأحاديثها.

5 - الهوائف:

من سماع الخطاب من الله تعالى، أو من الملائكة، أو الجن الصالح، أو من أحد الأولياء، أو الخضر، أو إبليس، سواء كان مناماً أو يقظة أو في حالة بينهما بواسطة الأتّن.

6 - الإسراءات والمعاريج:

ويقصدون بها عروج روح الولي إلى العالم العلوي، وجولاتها هناك، والإتيان منها بشتى العلوم والأسرار.

7 - الكشف الحسي:

بالكشف عن حقائق الوجود بارتفاع الحجب الحسية عن عين القلب وعين البصر.

8 - الرؤى والمنامات:

وتعتبر من أكثر المصادر اعتماداً عليها حيث يزعمون أنهم يتلقون فيها عن الله تعالى، أو عن النبي صلى الله عليه وسلم، أو عن أحد شيوخهم لمعرفة الأحكام الشرعية.

الذوق: وله إطلاقان:

1- الذوق العلم الذي ينظم جميع الأحوال والمقامات، ويرى الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال إمكان المسالك أن يتذوق حقيقة النبوة، وأن يدرك خاصيتها بالمنزلة.

2 - أما الذوق الخاص فتفاوت درجاته بينهم حيث يبدأ بالذوق ثم

الشرب.

الوجد: وله ثلاثة مراتب:

1 - التواجد.

2 - الوجد.

3 - الوجود.

التلقي عن الأنبياء غير النبي صلى الله عليه وسلم وعن الأشياخ المقبورين.

تشابه عقائد الصوفية وأفكارهم وتعدد بتعدد مدارسهم وطرقهم ويمكن إجمالها فيما يلي:

يعتقد المتصوفة في الله تعالى عقائد شتى، منها الحلول كما هو مذهب الحلاج، ومنها وحدة الوجود حيث عدم الانفصال بين الخالق والمخلوق، ومنهم من يعتقد بعقيدة الأشاعرة والمقريضية في ذات الله تعالى وأسمائه وصفاته.

والغلاة منهم يعتقدون في الرسول صلى الله عليه وسلم أيضاً عقائد شتى، فمنهم من يزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يصل إلى مرتبتهم وحالهم، وأنه كان جاهلاً بعظم رجال التصوف كما قال البسطامي: (خضنا بحراً وقف الأنبياء بساحله).

ومنهم من يعتقد أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم هو قبة الكون، وهو الله المستوي على العرش وأن السماوات والأرض والعرش والكرسي وكل الكائنات خلقت من نوره، وأنه أول موجود، وهذه عقيدة ابن عربي ومن تبعه.

ومنهم من لا يعتقد بذلك بل يرده ويعتقد ببشريته ورسالته ولكنهم مع ذلك يستشفعون ويتوسلون به صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى على وجه يخالف عقيدة أهل السنة والجماعة.

وفي الأولياء يعتقد الصوفية عقائد شتى، فمنهم من يفضل الولي على النبي، ومنهم من يجعل الولي مساوياً لله في كل صفاته، فهو يخلق ويرزق، ويحيي ويميت، ويتصرف في الكون. ولهم تقسيمات للولاية:

فهناك الغوث، والأقطاب، والأبدال والنجباء حيث يجتمعون في ديوان لهم في غار حراء كل ليلة ينظرون في المقادير. ومنهم من لا يعتقد ذلك ولكنهم أيضاً يأخذونهم وسائط بينهم وبين ربهم سواء كان في حياتهم أو بعد مماتهم.

وكل هذا بالطبع خلاف الولاية في الإسلام التي تقوم على الدين والتقوى، وعمل الصالحات، والعبودية الكاملة لله والفقر إليه، وأن الولي لا يملك من أمر نفسه شيئاً فضلاً عن أنه يملك لغيره، قال تعالى لرسوله: {قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً} الجن 21

— يعتقدون أن الدين شريعة وحقيقة، والشريعة هي الظاهر من الدين وأنها الباب الذي يدخل منه الجميع، والحقيقة هي الباطن الذي لا يصل إليه إلا المصطفون الأخيار.

التصوف في نظرهم طريقة وحقيقة معاً. لا بد في التصوف من التأثير الروحي الذي لا يأتي إلا بواسطة الشيخ الذي أخذ الطريقة عن شيخه.

لا بد من الفكر والتأمل الروحي وتركيز الذهن في الملأ الأعلى، وأعلى الدرجات لديهم هي درجة الولي.

يتحدث الصوفيون عن العلم اللدني الذي يكون في نظرهم لأهل النبوة والولاية، كما كان ذلك للخضر عليه الصلاة والسلام، حيث أخبر الله تعالى عن ذلك فقال: {وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً} الكهف 65

الفناء: يعتبر أبو يزيد البسطامي أول داعية في الإسلام إلى هذه الفكرة، وقد نقلها عن شيخه أبي علي السندي حيث الاستهلاك في الله بالكلية، وحيث يختفي نهائياً عن شعور العبد بذاته ويفنى المشاهد فينسى نفسه وما سوى الله، ويقول القشيري: الاستهلاك بالكلية يكون (لمن استولى عليه سلطان الحقيقة حتى لم يشهد من الغبار لا عيناً ولا أثراً ولا رسماً) "مقام جمع الجمع" وهو:

"فناء العبد عن شهود فنائه باستهلاكه في وجود الحق".

إن مقام الفناء حالة تتراوح فيها تصورات السالك بين قطبين متعارضين هما التنزيه والتجريد من جهة، والحلول والتشبيه من جهة أخرى.

درجات السلوك:

هناك فرق بين الصوفي والعاقد والزاهد إذ أن لكل واحد منهم أسلوباً ومنهجاً وهدفاً.

وأول درجات السلوك حب الله ورسوله، ودليله الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم الأسوة الحسنة:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ الأحزاب 21

ثم التوبة: وذلك بالإقلاع عن المعصية، والندم على فعلها، والعزم على أن لا يعود إليها، وإبراء صاحبها إن كانت تتعلق بأدمي. المقامات:

"هي المنازل الروحية التي يمر بها السالك إلى الله فترقب فترة من الزمن مجاهداً في إطارها حتى ينتقل إلى المنزل الثاني" ولا بد للانتقال من جهد وتركية. وجعلوا الحاجز بين المرید وبين الحق سبحانه وتعالى أربعة أشياء هي: المال، والجاه، والتقليد، والمعصية.

الأحوال:

"إنها النسمات التي تهب على السالك فتنتعش بها نفسه لحظات خاطفة ثم تمر تاركة عطراً تتشوق الروح للعودة إلى تنسّم أريجها". قال الجنيد: "الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم".

والأحوال مواهب، والمقامات مكاسب، ويعبرون عن ذلك بقولهم: (الأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود).

الورع:

أن يترك السالك كل ما فيه شبهة، ويكون هذا في الحديث والقلب والعمل.

الزهد:

وهو يعني أن تكون الدنيا على ظاهر يده، وقلبه معلق بما في يد الله. يقول أحدهم عن زاهد:

(صدق فلان، قد غسل الله قلبه من الدنيا وجعلها في يده على ظاهره). قد يكون الإنسان غنياً وزاهداً في ذات الوقت إذ أن الزهد لا يعني الفقر، فليس كل فقير زاهد، وليس كل زاهد فقيراً، والزهد على ثلاث درجات:

- 1 - ترك الحرام، وهو زهد العوام.
- 2 - ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.
- 3 - ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى، وهو زهد العارفين.

التوكل:

يقولون: التوكل بداية، والتسليم واسطة، والتفويض نهاية إن كان للثقة في الله نهاية، ويقول سهل التستري:

"التوكل: الاسترسال مع الله تعالى على ما يريد".

المحبة:

يقول الحسن البصري ت110: (علامة المحبة الموافقة للمحسوب والتجاري مع طرقاته في كل الأمور، والتقرب إليه بكل صلة، والهرب من كل ما لا يعينه على مذهبه).

الرضا:

يقول أحدهم:

(الرضا بالله الأعظم، هو أن يكون قلب العبد ساكناً تحت حكم الله عز وجل) ويقول آخر:

(الرضا آخر المقامات، ثم يقتفي من بعد ذلك أحوال أرباب القلوب، ومطالعة الغيوب، وتهذيب الأسرار لصفاء الأذكار وحقائق الأحوال).

يطلقون الخيال:

لفهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم حتى يصل السالك إلى اليقين وهو على ثلاث مراتب:

1 - علم اليقين:

وهو يأتي عن طريق الدليل النقلى من آيات وأحاديث:

{كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ} التكاثر 25

— عين اليقين: وهو يأتي عن طريق المشاهدة والكشف:

{ثُمَّ لَتَرَوْهَا عَيْنَ الْيَقِينِ} التكاثر 7

3 - حق اليقين: وهو ما يتحقق عن طريق النوق:

{إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ} الواقعة 95

وأما في الحكم والسلطان والسياسة فإن المنهج الصوفي هو عدم جواز مقاومة الشر ومغالبة السلاطين لأن الله في زعمهم أقلم العباد فيما أراد.

ولعل أخطر ما في الشريعة الصوفية هو منهجهم في التربية حيث يستحون على عقول الناس ويلغونها، وذلك بإدخالهم في طريق متدرج يبدأ بالتأيس، ثم بالتهويل والتعظيم بشأن التصوف ورجاله، ثم بالتلبيس

على الشخص، ثم بالرزق إلى علوم التصوف شيئاً فشيئاً، ثم بالربط بالطريقة وسد جميع الطرق بعد ذلك للخروج.

مدارس الصوفية:

مدرسة الزهد:

وأصحابها: من النُّسَّاك والزُّهَّاد والعُباد والبكَّاتين، ومن أفرادها:

رابعة العدوية، وإبراهيم بن أدهم، وملك بن دينار.

مدرسة الكشف والمعرفة:

وهي تقوم على اعتبار أن المنطق العقلي وحده لا يكفي في تحصيل المعرفة وإدراك حقائق الموجودات، إذ يتطور المرء بالرياضة النفسية حتى تنكشف عن بصيرته غشاوة الجهل وتبدو له الحقائق منطبقة في نفسه تتراءى فوق مرآة القلب، وزعيم هذه المدرسة: أبو حامد الغزالي.

مدرسة وحدة الوجود:

زعيم هذه المدرسة محيي الدين بن عربي: (وقد ثبت عن المحققين أنه ما في الوجود إلا الله، ونحن إن كنا موجودين فإنما كان وجودنا به، فما ظهر من الوجود بالوجود إلا الحق، فالوجود الحق وهو واحد، فليس ثم شيء هو له مثل، لأنه لا يصح أن يكون ثم وجودان مختلفان أو متماثلان).

مدرسة الاتحاد والحلول:

وزعيمها: الحلاج، ويظهر في هذه المدرسة التأثير بالتصوف الهندي والنصراني، حيث يتصور الصوفي عندها أن الله قد حل فيه وأنه قد اتحد هو بالله، فمن أقوالهم: (أنا الحق) و (ما في الجبة إلا الله) وما إلى ذلك من الشطحات التي تنطلق على أسنتهم في لحظات السكر بخمرة الشهود على ما يزعمون.

الفرق الصوفية

عرفنا من خلال البحث السابق أن الصوفية فرقاً متعددة نشأت في مراحل تسلسلية مختلفة من التاريخ الإسلامي. ولكن طبيعة عملنا الموسوعي تفرض علينا استعراضها وفقاً للتسلسل الأبجدي، وليس التاريخي. وكذلك الحال بالنسبة لأعلام الصوفية كما سنرى لاحقاً. أما المراجع البحثية فستكون موجودة في سياق البحث، مما سيقتني القارئ عن العودة للهوامش التقليدية.

وعليه نبدأ شرحنا والله المستعان.



مركز تحقيقات علوم إسلامية

الطريقة البرهانية

مخالفات الطريقة البرهانية:

المخالفة الأولى:

يزعم محمد عثمان عبده البرهاني شيخ الطريقة أن ملك الموت عزرائيل قال له أنه لا يقبض روح من قرأ ورد البرهانية المسمى بالحزب السيفي، وذلك في كتابه قيس من نور لمؤلفه محمد عثمان عبده البرهاني ص 74 - 75 حيث يقول:

(ذهب أحد المريدين إلى المستشفى للعلاج وذهبت له ومعه أحد أبناء الطريقة فقلت إن هذا الفتى من أقربي اعتنى به فلن أستطيع أن أعوده كل يوم فجاء عزرائيل ملك الموت لقبض روحه فقال له إلى أين قال أريد أن أقبض روح هذا المريد فقال لا تقبض روحه لأن الشيخ أوصاني بالمحافظة عليه فقال له ملك الموت عزرائيل إذا لم ترد موته اقرأ له الحزب السيفي من أورد الطريقة سبع مرات كل يوم، فقرأ له الحزب السيفي فرأى المريض الجنة ورتبته فيها فقال لأخيه الذي يقرأ له الحزب السيفي حفاظاً عليه من الموت أستحلفك بالله ورسوله أن تكف عن قراءتك لي الحزب السيفي لأنني أريد أن أموت فأدخل الجنة)).

أما الرد على ذلك الإفك والدجل والسخف من وجوه متعددة:

أولاً: هذا كذب وافتراء في أعلى مقاماته لا يقبله عاقل ناهيك أن يكون مسلماً ويكفي في إبطاله قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} {الأعصم} 21

ثانياً: هل يمكن لغير الميت أن يرى ملك الموت ؟

ويكفي في إبطال ذلك الكفر قوله تعالى:

{قُلُوبًا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ. وَأَنْتُمْ حِينًا تَنْظُرُونَ. وَنَحْنُ أَقْرَبُ

إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَّا تُبْصِرُونَ } الواقعة 83-84-85

ثالثاً : هل يمكن إذا جاء أجل الإنسان أن يؤخر؟

يقول الله تعالى في إبطال ذلك الإفك:

{ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَّا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } نوح 4

ويقول أيضاً:

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا

يَسْتَقْدِمُونَ } الأعراف 34

رابعاً : هل يجوز لملك الموت أن يسمع كلام المريد البرهاني لأمر

الشيخ وأن يترك قبض روحه؟ يقول تعالى عن ملائكته في تكذيب ذلك

الدجل والإلحاد:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ

وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ

وَيَقْعُطُونَ مَا يُؤْمَرُونَ } التحريم 6

خامساً: إن هذا الحزب السيفي من أوراد الطريقة البرهانية بدعة

وضلالة ولا يوجد في أوراد وأنكار النبي صلى الله عليه ما يسمى بالحزب

السيفي وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(إيلكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل

ضلالة في النار) رواه أبو داود والبيهقي.

سادساً: هل يرى الإنسان الجنة قبل أن يموت والمريد البرهاني يزعم

أنه رأى الجنة ورتبته فيها. ومعلوم أن الجنة لا يراها من كان من أهلها

إلا بعد الموت وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك في حديث أبي

هريرة رضي الله عنه حيث قال من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة لم يمنعه

من دخول الجنة إلا أن يموت) رواه النسائي.

سابعاً : كيف يزعم هؤلاء المفترون أنهم من أصحاب الجنة وقد اتفق الإجماع أنه لا يشهد لأحد بنار أو جنة إلا من شهد له القرآن والسنة بذلك، وشيوخ البرهانية وأتباعها لا يوجد دليل يفيد بذلك خاصة وأن أصل طريقتهم تختلف مع الكتاب والسنة. وقد قال الله تعالى في نفي ذلك:

{ فَلَا تَزْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } النجم 32

المخالفة الثانية :

يزعم الشيخ محمد عثمان عبده البرهاني أن السيد علي الميرغني قبض روح أحد مريديه وقد أعادها له هو وأحياء مرة أخرى وكان النبي صلى الله عليه وسلم شاهداً وحاضراً للمشهد وذلك في كتابه "قبس من نور" ص 56، حيث يقول:

"كنت بتعليم أحد المريدين في الطريقة الأوراد والإرشاد وبعثت به إلى بلدة ما يرشد وكان في هذه البلدة أبناء الطريقة الختمية فلم يعجب ذلك السيد علي الميرغني فقبض روحه فجاءني أحد الأخوان وقال لي أتركنا يا عم الشيخ فإن الرجل قبض روح أختنا فثرت ثورة شديدة وطرت أنا وعبده سبكه بروحينا فوجدته ميتاً ومكفناً ينتظر الدفن ووجدت السيد علي واقفاً وممسكاً بروح المرشد فقلت له:

لماذا قبضت روح المرشد فقال:

أنا حر وهذا الملك ملكي أفعل فيه ما أشاء فقلت له:

لست حراً وأنا شريك لك في الملك، قال:

لست شريكاً لي، قلت:

أفعل كل واحد منا ما يريد فعله؟ قال: نعم قلت له: أتعي ما تقوله جيداً، قال: نعم أعيه جيداً.

فتناديت سيدي إبراهيم ورفعت يدي لأضربه وأسلم ما عنده من ولاية وفي هذه اللحظة حضر مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتجفتنا

ارتجافاً شديداً وما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا أن أعاد الروح للمريد فأخذ يسير هنا وهناك.

ثم حدثت مشكلة وهي أن الروح ترتبط بالرزق وكان السيد علي قد شطب رزقه قبل قبض روحه وهو الآن فقير يعيش على أرزاق غيره وكثيراً ما يأتي إلي فأقول له اصبر الرجل قد شطب رزقك.

إلى هنا انتهى هذا السخف والاستخفاف بعقول الأمة وهذا الكذب والافتراء الذي لم يقل به حتى إبليس. وأما الرد على هذا فمن وجوه متعددة.

أولاً: إن منهج التصوف يمثل طريقاً للضلالة والغي ففي هذا يقول تعالى: **﴿لَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفْرَقَ بَكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾** الأنعام 153

وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود "إن على كل سبيل شيطان يدعو إليه" رواه مسلم وقد أمر الله تعالى بالاعتصام وأن يكون الطريق واحداً يقول تعالى:

﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ آل عمران 103
وفي قوله تعالى:

﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ الأنعام 153

(ولكن يأبى المتصوفة إلا أن يصدق فيهم قوله تعالى:

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ. مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ الروم 31-32

والمتصوفة في منهجهم كل طائفة ترى أن طريقتهما هي الصواب والأخرى على باطل والدليل على ذلك ما جاء في هذه القصة الباطلة وذلك كما يقول: "لما ذهب المرشد البرهاني يبشر بطريقته في منطقة الختمية لم

يعجب ذلك السيد علي؟ فقبض روحه إلى آخر الحكاية وإلا لو كانت الطريقة البرهانية حقاً فلماذا لم يعجب ذلك السيد علي.

ثانياً : يزعم البرهاني أنه لما أخبر بقبض روح مريده طار بروحه هو وعبد سبيكة ولم يبين لنا كيف كان هذا الطيران وهو يزعم أنه طار بروحه ولا يوجد دليل لهذا النوع من الطيران في الدنيا إلا في المنام وذلك لقوله تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى النَّفْسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} الزمر 42

وهو لم يقل أنه كان في المنام حتى يقول بأن هذا أضغاث أحلام ليرفع عنه الملام وبهذا يتضح بطلان ما يقوله في ادعائه للطيران.

ثالثاً: من الذي يتولى قبض الأرواح في مفهوم الشرع؟ أهو السيد علي أم ملك الموت؟ والجواب معلوم بالفطرة لكل مسلم بأنه ملك الموت وذلك لقوله تعالى:

{قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} السجدة 11

فيآله من افتراء عظيم.

رابعاً: يدعي السيد علي أن الملك ملكه يفعل ما يشاء ويدعي البرهاني أنه شريك له في الملك وهذا يكذبه صريح قوله تعالى:

{وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} التكاوير 29

وقوله تعالى:

{فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} يس 83

خامساً: يزعم أن السيد علي لما رفض أن يعيد له روح مريده رفع يده ليضربه ويسلب منه الولاية وذلك بحكم أنه ولي أيضاً وبهذا يفهم أن

الولاية عند أهل التصوف تمثل مجتمعاً إجرامياً يضرب فيهم بعضهم بعضاً
ويسلب بعضهم بعضاً وقد قال تعالى في صفات أوليائه:

{وَالْكَافِرِينَ الْغِيَظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}

آل عمران 134

سادساً: يزعم أنه في تلك اللحظة حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم
رداً للمريد روحه وهذا كذب وافتراء واضح قال تعالى:

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} الصف 7

والسؤال هنا كيف ومتى التقى النبي صلى الله عليه وسلم بالسيد علي
ومحمد عثمان عبده البرهاني وهذا معلوم من حيث البعد التاريخي لوفاته
صلى الله عليه وسلم وبين السيد علي والبرهاني ثم إنه معلوم أن النبي
صلى الله عليه وسلم لن يقوم من قبره إلا في يوم القيامة، وهذا لما ورد
في حديث جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
"أنا أول من تتشق الأرض عن جمجمته يوم القيامة ولا فخر" رواه
أحمد.

سابعاً: يزعم البرهاني أنه أعاد لمريده روحه وهذا أيضاً من جنس
الكذب والافتراء إذ أن الميت إذا مات فلا سبيل لرجوعه لدنيا وهذا ما جاء
به النبي صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى وذلك في قوله:

{أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا

يَرْجِعُونَ} يس 31

ولقوله تعالى أيضاً:

{وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِصُّ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ

لَهُمْ رِكْزاً} مريم 98

ثامناً: يزعم البرهاني أن السيد علي شطب رزق مريده فهل السيد هو مقسم الأرزاق يقول تعالى في إبطال ذلك الكفر:

{إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} الذريات 58

ويقول:

{وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى} طه 132

ويقول تعالى:

{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} هود 6

تاسعاً: يزعم البرهاني أن مريده بعد أن أعيدت له روحه مرة أخرى بعد موته وشطب رزقه يعيش على أرزاق غيره، والسؤال هنا لمحمد عثمان عبده البرهاني هل تلك الأرزاق من الناس خارجة عن دائرة الرزق لم أنها تتدرج تحت مسمى الرزق، فإن كان لا يدري فذلك مصيبة وإن كان يدري فالمصيبة أعظم.

المخالفة الثالثة:

يزعم محمد عثمان عبده البرهاني أن الشيخ إبراهيم الدسوقي تكلم مع الله في عالم الأرواح وطلب منه أن يزيد له في جسمه حتى يملأ النار وحده ولا يدخلها أحد وذلك في كتابه تبرئة النمة في نصيح الأمة لمحمد عثمان البرهاني ص 314 " حيث يقول وطلب سيدي إبراهيم الدسوقي في عالم الأرواح أن يزداد له في جسمه فزيد ثم طلب أن يزداد أكثر فأكثر فزيد وهكذا حتى سأله الجبار جل وعلا عما يريد من كبر جسمه فقال يارب أنت قلت وقولك الحق في كتابك العزيز:

{لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} هود 119

وأنا أريد أن أملأ جهنم لوحدي حتى لا يصلها أحد. فقال جل وعلا:
 أتتكلم على كريم يا إبراهيم إنا شفّعناك في سبعين ألف مع كل فرد منهم
 سبعون ألفاً وكل هذا غير من أخذ طريقك وغير من دخل مقامك وزارك "
 أولاً: ادعواؤه أن الله تكلم مع إبراهيم الدسوقي في عالم الأرواح وهذا
 بعد انتقاله من الدنيا فإذا اتفقتا جدلاً على أن هذا قد حدث فمن الذي أخبر
 محمد عثمان عبده البرهاني بما كان في ذلك العالم بين الدسوقي وبين الله
 كما يزعم؟ إن هذا يمثل منتهى الوضوح في الكذب وقد قال تعالى:

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا
 يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} الأنعام 21

ثانياً: ماذا يمثل إبراهيم الدسوقي أهو ملك أم رسول حتى يكلمه الله؟
 يقول الله تعالى في إبطال ذلك:

{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ
 يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ} الشورى 51

ثالثاً: ما طلبه إبراهيم الدسوقي من الله أن يزد له في جسمه أكبر فأكبر
 حتى يسأله الله عن سبب طلبه يمثل اتهاماً لله عز وجل بالجهل تعالى الله
 عما يقولون علواً كبيراً قال تعالى:

{إِنَّا نَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} الملك 14
 وقال تعالى:

{وَإِنْ تَجَهَّرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى} طه 7

رابعاً: سؤال إبراهيم الدسوقي لله كي يملأ النار وحده وهو يعلم أن الله
 قال وقوله الحق:

{لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ} هود 119

يمثل سوء أدب مع الله في آداب السؤال ويمثل أيضاً جهل الدسوقي.
 هذا لأن الله إذا وعد وعداً فإنه لا يخلفه وذلك لقوله تعالى:

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِعَادَ } آل عمران 9

وإذا قال قولاً فإنه لا يبدله وذلك لقوله تعالى:

{ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } ق 29

خامساً: يزعم البرهاني أن الله شفّع إبراهيم الدسوقي في سبعين ألفاً وهذا كذب وافتراء يلعب به شيوخ المتصوفة على كثير من البسطاء وضعف العقول فإن الشفاعة من أحكام القيامة وقبل قيام الساعة لا يعلم الشافع من المشفوع فيه إلا من شهد له القرآن والسنة بذلك من النبيين وغيرهم في مقام الصوم والدليل على أنها يوم القيامة ما جاء عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى أول شفّع ومشفع يوم القيامة ولا فخر " رواه مسلم ولن تكون إلا بعد تحديد الله للشافع والإذن له والرضى عن المشفوع فيه وذلك لقوله تعالى:

{ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } البقرة 255

مركز تحقيقات علوم ديني

ولقوله تعالى:

{ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَنْ بَعَدَ

أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } النجم 26

المخالفة الرابعة:

أباطيل التمام والأحجية عند المتصوفة وعند أهل الطريقة البرهانية يقول محمد عثمان عبده البرهاني شيخ الطريقة في كتابه قبس من نور ص 89، وحدث أن جماعة من الرجال زاروا الكباشي وكان ولياً من أولياء الله وطلبوا منه حجلاً فقال لأحدهم أحضر لي ورقة فلحضر له ورقة فكتب فيها الكباشي الروب الروب (اللبن) وملاً الورقة بكتابة هذه الكلمة ولم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ولا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فإذا بهؤلاء الجماعة يسرون فوق الماء بأقدامهم. ويقول في صفحة 83 - 84 في نفس المصدر: فمثلاً أنا محمد عثمان البرهاني قرأت الاسم

وردت مرات كثيرة فتنزل ملائكة هذا الاسم بعد ستين سنة ثم أبرمت اتفاقاً فعندما أعطي هذا الاسم لمريد من المریدین فبدلاً أن تنزل عليه الملائكة بعد ستين سنة كما فعلت أنا فبتها ستنزل عليه بعد خمس عشرة سنة، وعندما تقرأ الاسم الإلهي واحداً وأربعين يوماً تنزل عليك ملائكة الاسم وتستطيع أن تسخر ملائكته وتتعامل معها إلى أن يقول: وقد جاءني أحد الجيران يشكو من كثرة عدد السارقين فرسمت له حجاباً وقد سرقت بقرته وقلت له ما عليك إلا أن تقرأ هذا القسم وسيأتي إليك الملك طارش وهو: "يا معشر الجن يا معشر العمار فلان بن فلان من سيدي إبراهيم أخذ القسم بإذن من شيخه من سيدي إبراهيم من النبي صلى الله عليه وسلم لخدمة الطريقة أو لخدمة نفسه فباعوه بالخدمة والطاعة فأخذ الرجل الحجاب وعلقه داخل الحجرة فعادت البقرة المسروقة إلى حجرته " هذا في ص 86 - 87 من كتابه قبس من نور لمحمد عثمان عبده البرهاني.

وأما الرد على ذلك الإفك المبين وتلك الشعوذة والضلال فمن وجوه: أولاً: إن شريعة الإسلام قد جعلت تلك التعمائم والأحجبة من أنواع الشرك لأنها تتنافى مع عبادة التوكل والإيمان بالقدر حيث يقول تعالى:

{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} التوبة 51

ويقول تعالى أيضاً: {وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} الأنعام 17

ومن هنا كان قوله صلى الله عليه وسلم من حديث بن مسعود: (إنما الرقى والتعمائم والتولة شرك) رواه أبو داود. وفي رواية أخرى عن عتبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من تعلق تميمة فلا أتم الله له) رواه أحمد.

ثانياً: إن جميع هؤلاء المتصوفة من أتباع الشيوخ يعلقون التمام المغلفة بجلود سمكة ولا يطمون ما كتب فيها وهي تحتوي على مثل هذا الدجل كما في الحجاب الذي كتب فيه الشيخ الروب الروب وقد يخلطون بعض الآيات القرآنية مع بعض الكلمات الشيطانية وقد أوضح محمد عثمان البرهاني أنواعاً من الأحجية والتمائم في كتابه تبرئة الذمة صفحة 290 ورسم صورة لحجاب أي التميمة مكتوب فيها (الحمد لله رب العالمين جبروت بحق صرف است غير المضروب عليهم ولا الضالين ملك أهل جسم بوذخ أهل شقاوات واخترامات) وهذا كله من تلبيس الحق بالباطل ومن أنواع السحر التي توحى به الشياطين لهؤلاء المضلين.

ثالثاً: يزعم هذا المفتري البرهاني أنه تنزلت عليه ملائكة وعقدت معه اتفاقاً للتعامل مع الأحجية والتمائم وأن هناك ملكاً يقسم عليه بعد تطبيق الحجاب بالقسم المذكور وأن اسمه طارش يأتي لمساعدة صاحب الحجاب. والمعروف أن الملائكة عالم غيبي تؤمن بوجوده ولا نراه وذلك في حديث أركان الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته.. إلى آخر الحديث) رواه مسلم وإتهم لا يمارسون ذلك الدجل والباطل لقوله تعالى:

{لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} {التحریم 6}، وليعلم

الشيخ البرهاني وجميع من يصدق ذلك أن من يزعم محمد عثمان البرهاني أنه عقد معهم اتفاقاً للأحجية بما فيهم من زعم أنه من الملائكة وأن اسمه طارش ما هو إلا شيطان رجيم كما قال تعالى:

{شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ

غُرُوراً} {الأنعام 112}

وكما قال تعالى أيضاً:

لَوْ أَنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ
إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ {الأنعام 121}

المخالفة الخامسة:

أوراد وأذكار شيطانية في منهج الطريقة البرهانية. إنه من المعلوم أن
الله تعالى قد أمر بعباده الذكر فقال:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً
وَأَصِيلًا {الأحزاب 41-42}

ولكن الذكر يتأسى فيه بالنبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى:
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا {الأحزاب 21}

وذكر النبي صلى الله عليه وسلم معروف كان عبارة عن تلاوة القرآن
والتسبيح والاستغفار والصلاة عليه ولكن الصوفية يختلفون معه
ويخترعون أوراداً ما أنزل الله بها من سلطان ليس لها معنى وهي وحي
شياطينهم قد كشفنا عنها من خلال هذه الرسائل: ومن أذكار الطريقة
البرهانية الباطلة والتي هي من تلبس إبليس ما جاء في كتاب مجموعة
أوراد الطريقة البرهانية تأليف الشيخ إبراهيم محمد عثمان عبده البرهاني
ص 210 في الحزب الكبير يقول الذكر " ألم نؤوا فلووا عما نؤوا ثم لووا
عما نؤوا فغط فوق القول عليهم بما ظلموا فهم لا أفحسبتم أنما خلقناكم
عبثاً وأنكم إلينا لا وجعنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فهم لا).

وفي صفحة 28 يقول الذكر: (وكان الله قريباً عزيزاً بها بها بها بها
بها بها بهيات بهيات بهيات القديم الأزلي).

وفي صفحة 26 يقول الذكر البرهاني:

(وكر ب كد كدد كردد كرده كرده ده ده الله) والناظر لهذه
الأباطيل يجد فيها آيات من سور مختلفة غير مرتبة كما رتب في كتاب

الله العزيز حيث توجد كل آية في سورتها وهذه مخالفة لهدى النبي صلى
الله عليه وسلم في ترتيب القرآن وما أجمعت عليه الأمة أما تلك الطلاسـم
الأخرى فما هي إلا من وحي الشياطين ونعوذ بالله من شر الشياطين فهذه
بعض مخالفات الطريقة البرهانية والله نسل السداد والقبول. ولأن يثبتنا
على دينه صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.



الطريقة البريلوية

البريلوية فرقة صوفية نشأت في شبه القارة الهندية الباكستانية في مدينة بريلي في ولاية أترابرايش بالهند أيام الاستعمار البريطاني وقد اشتهرت بمحبة وتقديس الأنبياء والأولياء بعامة، والنبي صلى الله عليه وسلم بخاصة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

مؤسس هذه الفرقة أحمد رضا خان تقي علي خان:

وقد كان من 1272-1340 هـ الموافق 1865-1921م ولقد سمي نفسه عبد المصطفى، وهذا لا يجوز في الإسلام، لأن العبودية لله وحده. ولد في بريلي بولاية اترابرايش وتعلم على الميرزا غلام قادر بيك. زار مكة المكرمة وقرأ على بعض المشايخ فيها عام 1295هـ، وكان نحيلًا حاد المزاج، مصاباً بالأمراض المزمنة، دائم الشكوى من الصداع وآلام الظهر، شديد الغضب، حاد اللسان، مع فطنة ونكاء، ومن أبرز كتبه أتباع المصطفى وخالص الاعتقاد ودوام العيش والأمن والعلي، لناعتي المصطفى ومرجع الغيب والملفوظات وله ديوان شعر حدائق بخش. ديدار علي:

بريلوي، ولد سنة 1270هـ في نواب پور بولاية ألو وتوفي في أكتوبر 1935م ومن مؤلفاته تفسير ميزان الأديان وعلامات الوهابية.

نعيم الدين المراد آبادي:

1300-1367هـ الموافق 1883-1948م وهو صاحب المدرسة التي سماها الجامعة النعيمية ويلقب بصدر الأفاضل، ومن كتبه الكلمة العليا في عقيدة علم الغيب.

أمجد علي بن جمال الدين بن خدابخش:

ولد في كهوسي، وتخرج في المدرسة الحنفية بجونبور سنة 1320 هـ، وكان موته سنة 1367 هـ الموافق 1948م وله كتاب بهار شريعة.

حشمت علي خان:

ولد في لكهنو، وفرغ من دراسته سنة 1340 هـ، وكان يسمى نفسه كلب أحمد رضا خان معترًا بهذه التسمية وله كتاب تجانب أهل السنة، ويلقب بـ (غيط المنافقين)، وكان موته سنة 1380 هـ.

أحمد يارخان:

1906-1971م كان شديد التعصب للفرقة، ومن مؤلفاته جاء الحق وزهق الباطل، سلطنة مصطفى.

الأفكار والمعتقدات:

يعتقد أبناء هذه الطائفة بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لديه قدرة يتحكم بها في الكون، يقول أمجد علي:

" إن النبي صلى الله عليه وسلم تائب مطلق لله سبحانه وتعالى، وإن العالم كله تحت تصرفاته، فيفعل ما يشاء، يعطي ما يشاء لمن يشاء، ويأخذ ما يشاء، وليس هناك أحد مصرف لحكمه في العالمين، سيد الآمين، ومن لم يجعله مالكاً له حرم من حلاوة السنة".

وأن محمداً صلى الله عليه وسلم والأولياء من بعده لديهم قدرة على التصرف في الكون.

يقول أحمد رضا خان: "يا غوث" أي يا عبد القادر الجيلاني "إن قدرة" كن "حاصلة لمحمد من ربه، ومن محمد حاصلة لك، وكل ما يظهر منك يدل على قدرتك على التصرف، وأنت الفاعل الحقيقي وراء الحجاب".

لقد غالوا في نظرتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أوصلوه إلى قريب من مرتبة الألوهية - والعياذ بالله - يقول أحمد رضا خان في

حدائق بخشش 104/2: "أي يا محمد صلى الله عليه وسلم لا أستطيع أن أقول لك الله، ولا أستطيع أن أفرق بينكما، فأمرك إلى الله هو أعلم بحقيقتك".

كما بالغوا في إضفاء الصفات التي تخالف الحقيقة على النبي صلى الله عليه وسلم حتى جعلوه عالماً للغيب، يقول أحمد رضا خان في كتابه خلاص الاعتقاد ص 33: "إن الله تبارك وتعالى أعطى صاحب القرآن سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم جميع ما في اللوح المحفوظ".

لديهم عقيدة اسمها (عقيدة الشهود) حيث إن النبي صلى الله عليه وسلم في نظرهم حاضر وناظر لأفعال الخلق الآن في كل زمان ومكان، يقول أحمد يارخان في كتابه جاء الحق 160/1: "المعنى الشرعي للحاضر والناظر هو أن صاحب القوة القدسية يستطيع أن يرى العالم مثل كفه من مكان وجوده، ويسمع الأصوات من قريب ومن بعيد، ويطوف حول العالم في لمحة واحدة ويعين المضطرين، ويجب الداعين".

ينكرون بشرية النبي صلى الله عليه وسلم ويجعلونه نوراً من نور الله. يقول أحمد يارخان في كتابه مواعظ نعيمية ص 14: "إن الرسول صلى الله عليه وسلم نور من نور الله، وكل الخلق من نوره" ويقول أحمد رضا خان في أشعاره "ما قيمة هذا الطين والماء إذا لم يكن النور الإلهي حل في صورة البشر".

يحثون أتباعهم على الاستغاثة بالأنبياء والأولياء، ومن يستنكر عليهم تلك يرمونه بالإلحاد، يقول أمجد علي في كتابه بهار شريعة 122/1: "إن المنكرين للاستمداد بالأنبياء والأولياء وبقبورهم، ملحدون".

يشيدون القبور ويعصرونها ويجصصونها وينثرون فيها الشموع والقناديل وينثرون لها النذور، ويتبركون بها ويقيمون الاحتفالات لأجلها، ويضعون عليها الزهور والورود والأردية والستائر، ويدعون أتباعهم للطواف حول الضريح تبركاً به.

لديهم غلو شديد في تقديس شخصية عبد القادر الجيلاني، ويعظمون باقي الأولياء من أئمة المتصوفة وينسبون إليهم أفعالاً خيالية خارقة للعادة متسمة بالنسيج الخرافي الأسطوري.

ويقولون بالإسقاط وهي صدقة تدفع عن الميت بمقدار ما ترك من الصلاة والصيام وغيرها، ومقدار الصدقة عن كل صلاة أو صيام تركه الميت هو مقدار صدقة الفطر المعروفة، وقد يعدون إلى الحيلة في ذلك إذ يوزعون مقداراً يغطي سنة واحدة ثم يستردون ذلك هبة ومن ثم يعدون توزيعه، ويكررون ذلك بعد السنين التي تركت فيها تلك الفريضة.

أعظم أعيادهم هو ذكرى المولد النبوي الشريف إذ ينفقون فيه الأموال الطائلة، وهو يوم مقدس مشهور لديهم، ينشدون فيه الأناشيد التي تعجد الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال القصص الخرافية ويقرعون فيه كتاب سرور القلوب في ذكر المولد المحبوب الذي ألفه أحمد رضا خان ملأه بالأساطير والخيالات.



مركز تحقيق تكوير علوم اسلامی

الأعراس:

وهي تعني زيارة القبور والاجتماع عليها من مثل عرس الشيخ الشاه وارث في بلدة ديوه وعرس الخواجة معين الدين جشتي، حيث يجتمع له الملايين ويختلط فيه الرجال بالنساء وتحصل فيه بعض المفاصد المحرمة شرعاً.

إن من يترك الصوم والصلاة يجد له خلاصاً، أما الطامة الكبرى والمصيبة العظمى في نظرهم فبما تقع على من يتخلف عن الاحتفال بالمولد أو الفاتحة أو العرس. وهم يكفرون المسلمين من غير البريلويين لأنني سبب ولم يتركوا تجمعاً إسلامياً ولا شخصية إسلامية من وصف الكفر، وكثيراً ما يرد في كتبهم بعد تكفير أي شخص عبارة "ومن لم يكفره فهو كافراً"، وقد شمل تكفيرهم الديوبنديين وزعماء التطعيم والإصلاح ومحربي الهند من الاستعمار. كما شمل الشيخ إسماعيل الدهلوي وهو من

علماء الهند ممن حاربوا البدع والخرافات، ومحمد إقبال والرئيس الباكستاني الراحل ضياء الحق وعدداً من وزرائه.

يصلون دائماً على شق صفوف المسلمين وتوهين قوتهم وإضعافهم وإيخالهم في مناهات من الخلافات التي لا طائل تحتها. فمن ذلك إصرارهم على بدعة تقبيل الإبهامين عند الأذان ومسح العينين بهما، واعتبار ذلك من الأمور الأساسية ولا يتركها - في نظرهم - إلا من كان عدواً لرسول الله صلى الله عليه وسلم. ويزعمون أن من يفعل ذلك لا يرمد أبداً، انظر مؤلفهم: (منير العينين في تقبيل الإبهامين).

الجنور الفكرية والعقائدية:

تصنف هذه الفرقة من حيث الأصل ضمن جماعة أهل السنة الملتزمين بالمذهب الحنفي. وهذا خطأ حيث يرى بعض الدارسين أن أسرة مؤسس الفرقة كانت شيعية ثم أظهرت تسنيهاً تقيّة، لكنهم مزجوا عقائدهم بعقائد أخرى ودأبوا على الاحتفال بالمولد النبوي على غرار الاحتفالات بعيد رأس السنة الميلادية. وهم يغالون في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم بما يوازي الخرافات المنسوبة إلى عيسى عليه الصلاة والسلام.

وبسبب عيشهم ضمن القارة الهندية ذات الديانات المتعددة فلقد انتقلت أفكار من الهندوسية والبوذية لتمازج عقيدتهم الإسلامية.

لقد أضفوا على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الأولياء صفات تماثل تلك الصفات التي يضيفها الشيعة على أئمتهم المعصومين في نظرهم.

كما انتقلت إليهم عقائد غلاة المتصوفة والقبوريين وشركياتهم ونظرياتهم في الحلول والوحدة والاتحاد حتى صارت هذه الأمور جزءاً من معتقداتهم.

هذا ويؤخذ على البريلوية:

التطرف الشديد والغلو في الرسول صلى الله عليه وسلم ومزج ذلك
بمعتقد المشركين.

إطلاق العنان لألسنتهم في تكفير المسلمين لمجرد مخالفتهم في الرأي.
سعيهم الدؤوب لتفريق كلمة المسلمين وتوهين قوتهم.

على الرغم مما سبق فإن هذه الفرقة ونظيراتها تحتاج إلى من ينير لها
الطريق بالحكمة والموعظة الحسنة ويزيل عن أعين أصحابها ومريسيها
أوهام الجهل والخرافة والتخلف حتى تكون على الجادة المستقيمة، كما
حصل بالفعل في بعض الأماكن.

الانتشار ومواقع النفوذ:

انطلقت الدعوة من بريلي بولاية أوترا برديش بالهند، لتنتشر في القارة
الهندية كلها (الهند والباكستان وبنجلاديش وبورما سريلانكا).

لهم وجود في إنجلترا، كما لهم نفوذ في جنوب أفريقيا وكينيا
وموريشيوس وعدد من البلدان في قارة أفريقيا.

مركز تحقيقات مكافحة الإرهاب

ويتضح مما سبق:

إن البريلوية فرقة صوفية نشأت في شبه القارة الهندية الباكستانية إبان
الاستعمار البريطاني، وهم يغالون في الأنبياء والأولياء، ويحاربون
دعاة للتوحيد الخالص، ويعتقدون أن الرسول صلى الله عليه وسلم له قدرة
يتحكم بها في الكون، وأنه صلى الله عليه وسلم والأولياء من بعده لهم
قدرة على التصرف في الكون، ولديهم عقيدة اسمها عقيدة الشهود
فيعتقدون أن النبي صلى الله عليه وسلم حاضر وناظر لأعمال الخلق في
كل زمان ومكان، وهم ينكرون بشريته صلى الله عليه وسلم ويحثون
أتباعهم على الاستغاثاة بالأنبياء ويشيدون القبور ويعصرونها وينبرونها
بالشموع والقناديل.

الطريقة البكتاشية

الطريقة البكتاشية طريقة صوفية شيعية الحقيقة والمنشأ، ولكنها مع ذلك تربت وترعرعت في بلاد أهل السنة في تركية ومصر. تنسب هذه الطريقة إلى خنكار الحاج محمد بكتاش الخراساني النيسابوري - المولود في نيسابور سنة 646هـ وينسب خنكار هذا نفسه إلى أنه من أولاد إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

ويقال إنه تلقى العلم عن الشيخ لقمان الخراساني ولا يعرف من لقمان هذا، ولكن يقال إنه هو الذي أمره أن يسافر إلى تركية لنشر طريقته الصوفية، فسافر أولاً إلى النجف في العراق، ثم حج البيت وزار وسافر بعد ذلك إلى تركية، وكان هذا في زمان السلطان أورخان العثماني المتوفي سنة 761هـ.

ويذكر أحمد سري البكتاش (دده بابا) شيخ مشايخ الطريقة البكتاشية في مصر الحالي.. في كتابه (الرسالة الأحمدية في تاريخ الطريقة البكتاشية) أن خنكار هذا نزل في قرية (صولجية فترة أويوك) والتي قسمت بعد ذلك بناحية الحاج بكتاش وما زالت تحمل هذا الاسم إلى اليوم. وأنه استضاف هناك رجل يسمى الشيخ إريس وزوجته (فاطمة قوتلو ملك) وأنهما أنفقا أموالهما في سبيل نشر دعوة الشيخ خنكار الخراساني ولكن جاء وقد من خراسان لزيارة الشيخ خنكار فلم تجد المرأة ما تضيفهم به إلا أن باعت ثيابها واشترت طعاماً لضيوف الشيخ خنكار الخراسانيين. ولما كان من عادة المرأة فاطمة هذه أن ترحب بضيوف الشيخ فبها لم تخرج إليهم

لأنها لا تملك ثياباً.. فعلم الشيخ خنكار بهذا من الغيب فمد يده فأخرج صرة ملابس لها، ثم مد يده أيضاً تحت البساط الذي يجلس عليه فأخرج كيسين من الذهب وأعطاهما للمرأة التي جاءت وقبلت يدي الشيخ ورحبت بضيوفه، وآمنت بكراماته (الرسالة الأحمدية ص11) ولا يخفى ما في هذه القصة من الخدعة فخنكار هذا لم يخلق ثياباً. وإنما جاء بذلك الوفد الخراساني الذي تجرد بعد ذلك للدعوة الصوفية في تركيا، وصنع الشيخ هذا على أنها كرامة ليسهل ذلك له طريق دعوته في أوساط العامة).

وكانت هذه القصة هي البداية لنشر الطريقة البكتاشية وكذلك مجيء هذا الوفد الخراساني الذي راح يروج للشيخ خنكار الذي كان قد مهد الطريق للدعوة الصوفية ولهذه الطريقة الشيعية الباطنية.

أسس الشيخ خنكار أول (تكية) صوفية للطريقة وابتدأ الأتباع والرواد يكثر، ويسكنون في هذه القرية التي لم تكن إلا سبعة بيوت فقط ثم اكتشفوا جبلاً من جبال الملح. سموه جبل ملح الحاج بكتاش، واشتهر هذا الملح حتى كان يمون ويزود مطابخ السلطان العثماني الذي كان يحصل منه على مليونين (أقة) (الأقة وزن يكبر من الكيلو بقليل) كل عام..

ولما ذاع صيت الشيخ خنكار بكتاش ووصل الأمر إلى السلطان أورخان العثماني المتوفي سنة 761هـ - عمد هذا السلطان إلى الشيخ خنكار ليعلم أولاد الأسرى من أهل الذمة، وممن لا أب لهم، ينشئهم على طريقة الدارسين البكتاشية.

وكانت هذه الفرصة الذهبية لانتشار الطريقة وذلك أن هذا الجيش الذي عرف بعد ذلك بالجيش الإنكشاري - أي الجيش الجديد - وهو الذي كان عماد الحروب التركية بعد ذلك، ثم كان هو الجيش المتسلط على مرافق الحياة كافة في تركيا. وهكذا استطاعت الطريقة البكتاشية أن تنتشر وأقيمت المقامات على قبور من مات من مشايخها، وبعض هذه القبور

غطيت بالذهب الخالص. تنافس السلاطين العثمانيون في بناء التكايا والزوايا والقبور البكتاشية.

مر على الطريقة البكتاشية أيام مد وجزر في تركية فبينما ناصرها بعض السلاطين، عارضها آخرون مفضلين طريقة أخرى غيرها فقد أمر السلطان محمود الثاني بإلغاء الإتكشارية بعد أن عانت في الأرض فساداً، وأغلق كذلك الزوايا البكتاشية ولكن السلطان عبد المجيد المتوفي سنة 1255هـ عاد وأمر بفتح الزوايا البكتاشية مرة أخرى.

وفي سنة 1925م صدر مرسوم الحكومة التركية بإلغاء جميع الطرق الصوفية ومن ضمنها الطريقة البكتاشية، وكان آخر مشايخها هو صالح نيازى الذي سافر إلى ألبانية وانتخبه الدراويش البكتاشيون ليكون (رده بابا) وهي أعلى منزلة في الطريقة أي شيخ مشايخ الطريقة. وبعد اغتيال صالح نيازى هذا سنة 1942م تولى بعده ابنه عباس (دده بابا) الذي قتل نفسه سنة 1949م بعد دخول البلاشفة إلى ألبانية. ومنذ ذلك الوقت انتقل المركز الرئيسى للطريقة ليتحول إلى مصر وتكون القاهرة هي المقر الحالى والأخير لهذه الطريقة.

أصول الطريقة البكتاشية:

الطريقة البكتاشية مزيج كامل من عقيدة وحدة الوجود، وعبادة المشايخ وتلاميذهم، وعقيدة الشيعة في الأئمة.

يقول أحمد سري (دده بابا) شيخ مشايخ الطريقة: "الطريقة العلية البكتاشية هي طريقة أهل البيت الطاهر رضوان الله عليهم أجمعين"

(الرسالة الأحمدية ص 67)

ويقول أيضاً:

"وجميع الصوفية حتى اختلف طرقهم يقدسون النبي وأهل بيته ويغالون في هذه المحبة لدرجة اتهامهم بالباطنية والاثني عشرية"

(الرسالة الأحمدية ص 68).

ويقول أيضاً: "والطريقة العلية البكتاشية قد اتحدت أصولها من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وعن أولاده وأحفاده إلى أن وصلت إلى مشايخنا الكرام بدأ بيد، وكابر عن كابر، وعنهم أخذنا مبادئ هذه الطريقة الجليلة" (الرسالة الأحمدية ص 69).

الأوراد البكتاشية والتشيع:

والناظر في الأوراد البكتاشية يرى كيف أسست هذه الأوراد على عقيدة الشيعة الإمامية الاثني عشرية، فالورد البكتاشي يبدأ بالذكر لله ثم للرسول ثم لعلي ثم لفاطمة ثم للحسن ثم للحسين ثم لعلي زين العابدين ثم الباقر، وهكذا إلى الإمام الثاني عشر عند الشيعة ثم الإعلان أن الذاكر بهذا الذكر متول للشيعة، بريء من جميع أهل السنة، ثم بعد ذلك ورد خاص في لعن الصديق أبي بكر رضي الله عنه، وكل من رضي وتابع له، ثم في النهاية إشهد الله أن الخلفاء بعد الرسول هم الأئمة الاثنا عشر دون غيرهم. وإليك بعض نصوص هذه الأوراد البكتاشية.

- اللهم صل وسلم وزد وبارك على السيد المظهر، والإمام المظفر والشجاع الغضنفر إلى شبير وشير - قسم طوبى وسقر -

(شبير: هو لقب يطلقونه على علي لأنه كان قصيراً دون الربعة. ومعنى أنه قسم طوبى وسقر أن له الجنة والنار وهو يدخل من يشاء كيف يشاء فالقسمة إليه).

- اللهم صل وسلم وزد وبارك على السيدة الجليلة الجميلة الكريمة النبيلة المكروبة العلية ذات الأحران الطويلة!! في المدة القليلة المعصومة المظلومة، الرضية الحليمة، العفيفة السليمة، المدفونة سرّاً، والمغصوبة جهراً، المجهولة قدرّاً، والمخفية قبرّاً، سيدة النساء الأسية، الحوراء البتول العذراء، أم الأئمة النقباء النجباء فاطمة التقية الزهراء عليها السلام.

ولا يخفى ما في هذا الكلام من الدس والطعن واتهام الصحابة رضوان الله عليهم بظلم فاطمة رضي الله عنها وغصبها، وادعاء العصمة المطلقة لها.

- اللهم صل وسلم وزد وبارك على السيد المجتبي والإمام المرتضى سبط المصطفى وابن المرتضى علم الهدى.. الشفيح ابن الشفيح المقتول بالسهم النقيع - المدفون بأرض البقيع.. الإمام المؤتمن.. والمسموم الممتحن.. الإمام بالحق أبي محمد الحسن.. (الرسالة الأحمدية ص 83).

ولا يخفى ما في هذا أيضاً من الدس وأن الحسن بن علي رضي الله عنه مات مسموماً.

- وأما في الصلاة على الحسين فيقول الورد البكتاشي:

اللهم صل وسلم وزد وبارك على السيد الزاهد والإمام العابد الراكع الساجد.. قتل الكافر الجاحد.. الإمام بالحق عبد الله الحسين..

- وهكذا تستمر هذه الأوراد على هذا النحو ذاكرة إماماً من أئمة الشيعة الاثني عشرية إلى أن يأتي الورد الخاص بمهدي الشيعة المنتظر الذي يسمونه محمد بن الحسن العسكري فيقول الورد بالنص:

اللهم صل وزد وبارك على صاحب الدعوة النبوية، والصولة الحيدرية، والعصمة الفاطمية، والحلم الحسينية والشجاعة الحسينية، والعبادة السجادية، والمآثر الباقرية، والآثار الجعفرية، والعلوم الكاظمية، والحجج الرضوية، والجود التقوية والنقاوة والنقوبة والهيبة العسكرية، والغيبة الإلهية، القائم بالحق والداعي إلى الصلح المطلق، كلمة الله، وأمان الله، وحجة الله، القائم لأمر الله، المقسط لدين الله، الذاب عن حرم الله، إمام السر والعلن، دافع الكرب والمحن، صاحب الجود والمنن، الإمام بالحق أبي القاسم محمد بن الحسن، صاحب العصر والزمان، وخليفة الرحمن، ومظهر الإيمان وقاطع البرهان وسيد الإنس والجان، المولى الولي، وسمي النبي والوصي، والصراط السوي، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين،

الصلاة والسلام عليك يا وصي الحسن، والخلف الصالح، يا إمام زماننا،
أيها القائم المنتظر المهدي، يا ابن رسول الله، يا ابن أمير المؤمنين، يا
إمام المسلمين، يا حجة الله على خلقه، يا سيدنا ومولانا إنا توجهنا
واستشفعنا وتوسلنا بك إلى الله، وقدمناك بين يدي حاجتنا في الدنيا
والآخرة يا وجيهاً عند الله اشفع لنا عند الله بحقك وبحق جدك وبحق آبائك
للطاهرين (الرسالة الأحمدية ص 88، 89).

- وأما في ورد التولي والتبري فإتهم يقولون:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا
أن هدانا الله. وما توفيقي واعتصامي إلا بالله. إنا نريد الله ليذهب عنكم
الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً. والصلاة والسلام على رسولنا محمد
الذي أرسله بالهدى. قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى. وعلى
آله وأصحابه وأزواجه الهدى. يا سادتي ويا موالي إني توجهت بكم أنتم
أمتي وعدتي ليوم فقري وفلقتي وحاجتي إلى الله. وتوسلت بكم إلى الله
واستشفعت بكم إلى الله. وبحبكم وبقرىبتكم أرجو النجاة من الله. تكونوا عند
الله. رجائي يا سادتي يا أولياء الله. صلى الله عليكم أجمعين. اللهم إن
هؤلاء أئمتنا وساداتنا وقادتنا وكبرائنا وشفعائنا بهم نتولى ومن أعدائهم
نتبرأ في الدنيا والآخرة. والعن من ظلمهم. واتصر شيعتهم واغضب على
من جحدهم. وعجل فرجهم. وأهلك عدوهم من الجن والإنس أجمعين من
الأولين والآخرين إلى يوم الدين. اللهم ارزقنا في الدنيا زيارتهم وفي
الآخرة شفاعتهم. وزدنا محبتهم. واحشرونا معهم. وفي زميرتهم. وتحت
لوائهم. بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين.. ويا أرحم الراحمين. والحمد لله
رب العالمين. اللهم صل على محمد وآل محمد.

ولا يخفى أيضاً ما في هذا الورد من التبري من أهل السنة جميعاً
بدعاء أنهم ظلموا أهل البيت وجحدوهم حقهم. وفي الورد الذي يلي هذا
القول: "اللهم العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد وآخر تابع له على

ذلك" (الأحمدية ص90). ولا يخفى أنهم يعنون بذلك الصديق أبا بكر رضي الله عنه وكل مسلم رضي بولايته إلى يوم القيامة!!

وفي ختام الأوراد على المرید البكتاشي والسالک أن يشهد هذه الشهادة ويقول: "أشهد أن الأئمة الأبرار، والخلفاء الأخيار، بعد الرسول المختار: على قاصع الكفار. ومن بعده سيد أولاده الحسن بن علي، ثم أخوه السبط التابع لمرضات الله الحسين. ثم العابد علي ثم الباقر محمد. ثم الصادق جعفر. ثم الكاظم موسى. ثم الرضا علي ثم التقي محمد. ثم النقي علي. ثم الذكي العسكري الحسن. ثم الحجة الخلف الصالح القائم، المنتظر المهدي المرجى، الذي ببقائه بقيت الدنيا، وبيمنه رزق الوری، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء، به يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وأشهد أن أقوالهم حجة وامتثالهم فريضة، وطاعتهم مفروضة، ومسودتهم لازمة مقضية، والافتداء بهم منجية، ومخالفتهم مردية، وهم سادات أهل الجنة أجمعين، وشفاء يوم الدين، وأئمة أهل الأرض على اليقين وأفضل الأوصياء المرضيين" (الرسالة الأحمدية ص92).

ولا شك بعد ذلك أن هذه عقيدة شيعية كاملة حملتها هذه الأوراد، والعجيب حقاً أن هذه العقيدة الشيعية قد انتشرت في تركيا الدولة السنية، وفي مصر كذلك، واستمرت هذه العقيدة الباطنية تنتشر وتنمو طيلة هذه القرون الطويلة من أواسط القرن الثامن تقريباً إلى يومنا هذا في القرن الخامس عشر الهجري وكل ذلك تحت جناح التصوف..

وحتى في عصرنا الحاضر فإن العلاقة البكتاشية والتشيع ما تزال قوية فإننا نجد مثلاً أن البكتاشيين قد صوتوا في تركيا لصالح حزب الوحدة والذي تأسس في تشرين أول (1966م) وكان له برنامج علماني، مؤكداً أنه يمثل الأقلية الشيعية في تركيا، وفازوا في انتخابات عام (1971م) بمقعد واحد في البرلمان التركي.

الطريقة التيجانية

التيجانية: فرقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي صلى الله عليه وسلم، مقابلة مادية واللقاء به لقاءً حسيًا في هذه الدنيا، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قد خصهم بصلاة (الفتاح لما أغلق) التي تحتل لديهم مكانة عظيمة.

المؤسس هو:

أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار ابن أحمد بن محمد سالم التيجاني، وقد عاش مابين (1150-1230هـ) (1737 - 1815م) وكان مولده في قرية عين ماضي من قرى الصحراء بالجزائر حاليًا.

حفظ القرآن الكريم ودرس شيئاً من الخليل.

درس العلوم الشرعية، وارتحل متنقلاً بين فاس وتلمسان وتونس والقاهرة ومكة والمدينة وهران.

أنشأ طريقته عام (1196هـ) في قرية أبي سمغون وصارت فاس المركز الأول لهذه الطريقة، ومنها تخرج الدعوة لتنتشر في أفريقيا بعلامة. أبرز آثاره التي خلفها لمن بعده زاويته التيجانية في فاس، وكتابه جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني الذي قام بجمعه تلميذه علي حرازم.

من مشاهيرهم بعد المؤسس:

علي حرازم أبو الحسن بن العربي برادة المغربي الفاسي:
وقد توفي في المدينة النبوية.

محمد بن المشري الحسني السابحي السباعي:

(ت1224هـ) صاحب كتاب الجامع لما افترق من العلوم وكتاب نصرة الشرفاء في الرد على أهل الجفاء.

أحمد سكيرج العياشي:

عاش ما بين 1295-1363هـ ولد بفاس، ودرس في مسجد القرويين، وعين مدرساً فيه، تولى القضاء، وزار عدداً من مدن المغرب، وله كتاب الكوكب الوهاج وكتاب كشف الحجاب عن تلاقى مع سيدي أحمد التيجاني من الأصحاب.

عمر بن سعيد بن عثمان الفوتي السنغالي:

ولد سنة 1797م في قرية الفار من بلاد ديمار بالسنغال حاليًا، تلقى علومه في الأزهر بمصر، ولما رجع إلى بلاده أخذ ينشر علومه بين الوثنيين، وكانت له جهود طيبة في مقاومة الفرنسيين. وقد كانت وفاته سنة 1283هـ، وخلفه من بعده اثنان من أتباعه، وأهم مؤلفاته رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم الذي كتبه سنة 1261 - 1845م. — محمد عبد الحافظ بن عبد اللطيف بن سالم الشريف الحسني

التيجاني المصري:

1315 - 1398هـ وهو رائد التيجانية في مصر، وقد خلف مكتبة موجودة الآن في الزاوية التيجانية بالقاهرة وله كتاب الحق والخلق، وله الحد الأوسط بين من أفرط ومن فرط، وشروط الطريقة التيجانية كما أسس مجلة طريق الحق سنة 1370 - 1950م.

الأفكار والمعتقدات:

من حيث الأصل هم مؤمنون بالله سبحانه وتعالى إيماناً بداخله كثير من الشريكيات. ينطبق عليهم ما ينطبق على الصوفية بعامة من حيث التمسك بمعتقدات المتصوفة وفكرهم وفلسفتهم ومن ذلك إيمانهم بوحدة الوجود، (انظر جواهر المعاني 1/259)،

وإيمانهم بالفناء الذي يطلقون عليه اسم (وحدة الشهود) انظر كذلك:
(جواهر المعاني 1/191).

يقسمون الغيب إلى قسمين:

غيب مطلق استأثر الله بعلمه، وغيب مقيد وهو ما غاب عن بعض
المخلوقين بون بعض. ورغم أن هذا في عمومته قد يشاركهم فيه غيرهم
من المسلمين إلا أنهم يتوسعون في نسبة علم الغيب إلى مشايخهم.
يزعمون بأن مشايخهم يكشفون عن بصائرهم، فهم يقولون عن
شيخهم أحمد التيجاني:

(ومن كماله رضي الله عنه نفوذ بصيرته الربانية وفراسته النورانية
التي ظهر بمقتضاها في معرفة أحوال الأصحاب، وفي غيرها إظهار
المضمرات وإخبار بمفريات وعلم بعواقب الحاجات وما يترتب عليها من
المصالح والآفات وغير ذلك من الأمور الواقعة " (انظر الجواهر 1/63).
يدّعي زعيمهم أحمد التيجاني بأنه قد التقى بالنبى صلى الله عليه وسلم
لقاءً حسياً مادياً وأنه قد كلمه مشافهة، وأنه تعلم من النبي صلى الله عليه
وسلم صلاة (الفتح لما أغلق).

— صيغة هذه الصلاة:

"اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر
الحق بالحق، الهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره
العظيم" ولهم في هذه الصلاة اعتقادات نسوق منها ما يلي:

أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر بأن المرة الواحدة منها تعدل
قراءة القرآن ست مرات.

أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبره مرة ثانية بأن المرة الواحدة
منها تعدل من كل نكر ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن قراءة القرآن
سنة آلاف مرة؛ لأنه كان من الأذكار. (انظر الجواهر 1/136).

أن الفضل لا يحصل بها إلا بشرط أن يكون صاحبها مأثوناً بتلاوتها، وهذا يعني تسلسل نسب الإنان حتى يصل إلى أحمد التيجاني الذي تلقاه عن رسول الله - كما يزعم.

أن هذه الصلاة هي من كلام الله تعالى بمنزلة الأحاديث القدسية،
(انظر الدرة الفريدة 128/4).
أن من تلا صلاة الفاتح عشر مرات كان أكثر ثواباً من العارف الذي لم يذكرها، ولو عاش ألف ألف سنة.

من قرأها مرة كُفِّرَتْ بها ذنوبه، ووزنت له ستة آلاف من كل تسبيح ودعاء وذكر وقع في الكون.. إلخ

(انظر كتاب مشتهى الخارف الجاني 299 - 300).
يلاحظ عليهم شدة تهويلهم للأمور الصغيرة، وتصغيرهم للأمور العظيمة، على حسب هواهم، مما أدى إلى أن يفشوا التكاسل بينهم والتفاس في أداء العبادات والتهاون فيها وذلك لما يشاع بينهم من الأجر والثواب العظيمين على أقل عمل يقوم به الواحد منهم.
يقولون بأن لهم خصوصيات ترفعهم عن مقام الناس الآخرين يوم القيامة ومن ذلك:

أن تخفف عنهم سكرات الموت.

أن يظلمهم الله في ظل عرشه.

أن لهم برزخاً يستظلون به وحدهم.

أنهم يكونون مع الأمنين عند باب الجنة حتى يدخلوها في الزمرة الأولى مع المصطفى صلى الله عليه وسلم وأصحابه المقربين.

يقولون بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد نهى أحمد التيجاني عن التوجه بالأسماء الحسنى، وأمره بالتوجه بصلاة الفاتح لما أخلق وهذا مخالف لصريح الآية الكريمة:

{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} الأعراف 180

يقولون بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمر أحمد التيجاني بالتوجه بصلاة الفتح لما أغلق، وأنه لم يأمر بها أحدًا قبله، وفي ذلك افتراء بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد كتم عن الأمة المسلمة شيئاً مما أوحى إليه من ربه، وقد أسخره حتى حان وقت إظهاره حيث باح به لشيخهم أحمد التيجاني.

هم كباقي الطرق الصوفية يجيزون التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم وعباد الله الصالحين، ويستمدون منه ومنهم ومن الشيخ عبد القادر الجيلاني ومن أحمد التيجاني ذاته، وهذا مما نهى عنه شرع الله الحكيم. تتردد في كتبهم كثير من ألقاب الصوفية كالنجباء والنقباء والأبدال والأوتاد، وتترادف لديهم كلمتا الغوث والقطب (الذي يقولون عنه بأنه ذلك الإنسان الكامل الذي يحفظ الله به نظام الوجود)!!

يقولون بأن أحمد التيجاني هو خاتم الأولياء مثلاً أن النبي صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء.

يقول أحمد التيجاني (من رآني دخل الجنة). ويزعّم أن من حصل له النظر إليه يومى الجمعة والاثنين دخل الجنة. ويؤكد على أتباعه بأن النبي صلى الله عليه وسلم ذاته قد ضمن له ولهم الجنة يدخلونها بغير حساب ولا عقاب.

ينقلون عن أحمد التيجاني قوله: "إن كل ما أعطيه كل عارف بالله أعطي لي".

وكذلك قوله: إن طائفة من أصحابه لو وزنت أقطاب أمة محمد ما وزنوا شعرة فرد من أفرادهم، فكيف به هو !!.

وقوله: "إن قَدَمَيَّ هاتين على رقبة كل ولي من لدن خلق الله آدم إلى النفخ في الصور".

لهم ورد يقرؤونه صباحاً ومساءً، ووظيفته تقرأ في اليوم مرة صباحاً أو مساءً، ونكر ينقذ بعد العصر من يوم الجمعة على أن يكون متصلاً

بالغروب، والأخيران الوظيفة والذكر يحتاجان إلى طهارة مائية، وهناك العديد من الأوراد الأخرى لمناسبات مختلفة.

من أخذ وردًا فقد ألم نفسه به ولا يجوز له أن يتخلى عنه وإلا هلك وحلت به العقوبة العظمى !!.

نصَّب أحمد التيجاني نفسه في مقام النبوة يوم القيامة إذ قال:
"يوضع لي منبر من نور يوم القيامة، وينادي مناد حتى يسمعه كل من في الموقف: يا أهل الموقف هذا إمامكم الذي كنتم تستمدون منه من غير شعوركم"
(انظر الإفادة الأحمدية ص 74).

الجزور الفكرية والعقائدية:

مما لا شك فيه بأنه قد استمد معظم آرائه من الفكر الصوفي وزاد عليها شيئاً من أفكاره. وقد نهل من كتب عبد القادر الجيلاني وابن عربي والحلاج وغيرهم من أعلام المتصوفة.
وخلال فترة تشكله قبل تأسيس الطريقة قابل عدداً من مشايخ الصوفية وأخذ إنشأ وأوراداً عنهم وأبرز تلك الطرق القادرية والخلوتية.
واستفاد من كتاب المقصد الأحمد في التعريف بسيدي أبي عبد الله أحمد تأليف أبي محمد عبد السلام بن الطيب القلاري الحسيني والمطبوع بفارس سنة 1351هـ.

كان لانتشار الجهل أثر كبير في ذبوع طريقته بين الناس.

الانتشار ومواقع النفوذ:

بدأت هذه الحركة من فاس وما زالت تنتشر حتى صار لها أتباع كثيرون في بلاد المغرب والسودان الغربي (السنغال) ونيجيريا وشمالي أفريقيا ومصر والسودان وغيرها من أفريقيا.

صاحب كتاب التيجانية علي بن محمد اللخيل الله يقدر في عام
1401هـ - 1981م عدد التيجانيين في نيجيريا وحدها بما يزيد على
عشرة ملايين نسمة.

ويتضح مما سبق:

أن التيجانيين مبتدعون في عباداتهم وكل بدعة ضلالة؛ لأنهم ذهبوا
إلى تخصيص أدعية بذاتها غير واردة في الشرع، وألزموا الناس بعبادات
معينة في أوقات مخصوصة لا تستند إلى أساس، فضلاً عن أن لهم
معتقدات تخرج بمن يعتقدونها عن الملة كالقول بالحلول والاتحاد.

مخالفات الطريقة التيجانية:

هذا بعض ما ينكر على الطريقة التيجانية مع بيان مأخذ كل مقال،
والإشارة إلى رقم الصحيفة من كتب التيجانية، ليتبين لكل مسلم غيور على
دينه كفر التيجانية وبدعهم وضلالاتهم وجميع ما أنقله من كتبهم: إما كفر،
أو كذب على الله وعلى النبي صلى الله عليه وسلم. والعياذ بالله من
الخدلان و عسى البصيرة.

العقيدة الأولى:

يقول مؤسس الطريقة أحمد التيجاني في كتابه "جواهر المعاني":
(إن هذا الورد أخره رسول الله صلى الله عليه وسلم لي ولم يُعْطَ لأحد
من أصحابه) - إلى أن قال - : (لعله صلى الله عليه وسلم بتأخير وقته،
وعدم وجود من يظهره الله على يديه). وكذا في الجيش (ص 91).

ففي قوله: أخره لي ولم يعطه لأحد من أصحابه رد على قوله تعالى:

لَا آيُهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ {المائدة 67}

ولا شك أن نسبة الكتمان إليه صلى الله عليه وسلم كفر بإجماع العلماء.
وفي قوله: عدم وجود من يظهره الله على يديه تفضيل لنفسه على أبي

بكر الصديق رضي الله عنه، حيث لا يقدر أن يحمل هذا الورد. وهذا كلام
في غاية الفساد، بل في غاية الوقاحة.
العقيدة الثانية:

قال في جواهر المعاني:

(إن المرة الواحدة من صلاة الفاتح تعدل كل تسبيح وقع في الكون، وكل
نكر، وكل دعاء كبير أو صغير، وتعدل تلاوة القرآن ستة آلاف مرة)
(ص 96 طبع مطبعة التقدم العلمية الطبعة الأولى).

وهذا كفر وردة، وخروج عن الملة الإسلامية. وهل يبقى في الدنيا
مسلم لا يكفر قتل هذا القول؟ بل من لم ينكر عليه ورضي به فهو كفر في
نفسه، يستتاب. فإن تاب و إلا قتل.

أليس قد جعل الله لكم عقولاً تعقلون بها ؟ أفلا تتفكرون ؟ وأي شيء
يكون أفضل من القرآن ؟

وهل ينزل الله على رجل شيئاً بعد النبي صلى الله عليه وسلم فضلاً أن
يكون خيراً من القرآن ؟ إن هذا شيء عجاب.

وأظن قاتل هذا القول ما يرى بمحمد صلى الله عليه وسلم، وما يرى
بما جاء به محمد. ولم يدر لم يبعث محمد صلى الله عليه وسلم !!.

أليس هذا صدأ للجهل العوام عن القرآن ؟ وهل يتمسك بهذه الطريقة
بعد ما سمع أنها أفضل من القرآن إلا جاهل بكتاب الله و سنة رسوله ؟.

وهل يستقر في عقل صحيح كون مرة واحدة من صلاة الفاتح أفضل من
ذكر واحد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم، فضلاً عن جميع الأذكار
التي وقعت في الكون ؟ أفلا تعقلون ؟؟.

أما كان آدم ونوح وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام
أجمعين يذكرون الله ؟ وهل يكون مبتدع هذه الطريقة أفضل من هؤلاء
الأنبياء ؟

العقيدة الثالثة:

قال في الإفادة: (من لم يعتقد أنها - أي صلاة الفاتح - من القرآن لم يصب الثواب فيها) 'ص80'.

ونحن نقول: من اعتقد أنها من القرآن فقد كفر كفرًا ظاهرًا. لأن الله لا ينزل الوحي إلا على الأنبياء، وهذه الصلاة لم نجد لها في كتاب الله، ولا حتى في حديث موضوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهل الذي نزلت عليه صلاة الفاتح نبي أو ولي؟

فإن كان وليًا فالولي لا ينزل عليه الوحي.

والناس في هذه الطريقة فرقتان: فرقة إن اعتقدت أنها من القرآن خرجت عن الملة الإسلامية، والثانية: إن اعتقدت أنها ليست من القرآن، خرجت عن طريقهم، لأنها ليس لها ثواب فيها.

العقيدة الرابعة:

قال في الإفادة الأحمديّة 'ص74':

(يوضع لي منبر من نور يوم القيامة، وينادي منادي حتى يسمعه كل من في الموقف: يا أهل الموقف هذا إمامكم الذي كنتم تستمدون منه من غير شعوركم) ونكره أيضًا في كتابهم بغية المستفيد 'ص173'.

وهذا القائل قد نصب نفسه في مقام النبوة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو خطيبهم يوم القيامة، كما ذكره الترمذي عن أنس بن مالك. و في قوله تصريح بأن الأنبياء والرسل كانوا يستمدون منه، لأنهم شملهم الموقف، وهذا محال، ولا يقوله إلا من ادعى الربوبية.

العقيدة الخامسة:

قال في جواهر المعاني 'ص105':

(لا تقرأ جوهرة الكمال إلا بالطهارة المائية).

أقول: هذا كتاب الله تجوز قراءته بالظاهرة وبغيرها كما كان صلى الله عليه وسلم وأصحابه يقرءون القرآن على غير وضوء.
وهذا تشريع جديد لم يأذن به الله تعالى ولا رسوله صلى الله عليه وسلم. وفساد هذا القول يقضي عن الخوض فيه .

العقيدة السادسة:

قال في الإفادة الأحمدية "ص 57":

(نهائي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التوجه بالأسماء الحسنى، وأمرني بالتوجه بصلاة الفاتح)!!

وهذا عين الضلال والكفر، إذ كيف ينهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء أمره الله تعالى به في قوله:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف 180]

وهذا أيضاً كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجراءة على الشريعة المحمدية.

العقيدة السابعة:

قال في جواهر المعاني "ص 145 ج 2":

(إن ولياً - وذكر اسمه - كان كثيراً ما يلقي النبي صلى الله عليه وسلم، و يعظمه الشعر). كيف ؟ وقد قال الله تعالى:

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ

مُبِينٌ﴾ [يس 69]

وهذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وافتراء عليه.

العقيدة الثامنة:

قال في جواهر المعاني "ص 170": (من حصل له النظر فينا يوم الجمعة

أو الاثنين يدخل الجنة بغير حساب ولا عقاب).

وفي بغية المستفيد: (ولو كان كافراً يختم له بالإيمان).

قال تعالى:

{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ}

الأنعام: 144.

إنه جعل نفسه أفضل من الأنبياء، ولقد قد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمه أبي طالب سنين ومع ذلك مات كافراً، ونظر أبو جهل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع ذلك مات كافراً. ومات ابن نوح عليه السلام كافراً، ومات أبو إبراهيم عليه السلام كافراً، ولم ينفع أحداً منهم نظر ولا صحبة.

وقال في الإقلاة الأحمديّة (ص 40) ما نصه:

(طائفة من أصحابنا لو اجتمع أكبر أقطاب هذه الأمة ما وزنوا شعرة من أحدا).



العقيدة التاسعة:

قال صاحب الرماح، الذي بهامش جواهر المعاني، في الفصل الثلثي والعشرين (ص 152) ما نصه:

(إنهم لا ينطقون إلا بما يشاهدون، يأخذون عن الله ورسوله الأحكام، الخاص للخاصة لا مدخل فيها للامة لأنه صلى الله عليه وسلم كان يلقي إلى أمته الأمر الخاص). قال شيخنا أحمد التيجاني كما في جواهر المعاني. تباً لهذه المقالة، وبئس قائلها ومفتريها. وسواد ظلامها بقي عن الخوض فيها.

أقول: تفكر أيها العالم في هذه المقالة: هل أهل الطرق كانوا أنبياء؟ وانظر إلى التناقض في كلامهم - لأنهم - بزعمهم الكاذب بعدما أخذوا عن الله تعالى لا يحتاجون إلى الرسول لوجود التساوي بينهم في الدرجة أو يزيدون على الأنبياء - بزعمهم - لأن الرسل كانوا يأخذون عن الله تعالى

بالوحي. وأرتابُ الطرق يأخذون من الله - بزعمهم - بغير واسطة. لوجود من يقول منهم: إنه ينظر إلى اللوح المحفوظ إذا أراد أن يأخذ حكماً من الأحكام، وما ذلك إلا لوح الشيطان:

{يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الأنعام: 112].

وقال في الرماح في الفصل المذكور:

(إن الكامل منهم ينزل عليه الملكُ بالأمر والنهي).

أقول: أما كان يكفيهم أوامر القرآن ونواهيهِ؟ والله سبحانه وتعالى يقول:

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأنعام: 93].

العقيدة العاشرة:

قال في الرماح، الفصل الثاني والثلاثون (ص 211):

(إن الشرط في طريقته أن لا يلحق لمن له ورد من أوامر المشايخ إلا إن تركه واتسلخ عنه لا يعود إليه أبداً)

- إلى أن قال: (فلا بد له من هذا الشرط ولا خوف عليه من صاحبه أيًا كان من الأولياء الأحياء والأموات وهو آمن من كل ضرر يلحقه في الدنيا والآخرة، لا يلحقه ضرر لا من شيخه ولا من غيره، ولا من الله ولا من رسوله بوعده صادق لا خلف فيه).

أقول: تفكر يا أخي واستعن فريحتك في شهم هذا الكلام لأن فيسه التحريض على الأمن من مكر الله، وقد قال تعالى:

{أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}

[الأعراف: 99]

ومعناها كما قال ابن كثير في تفسيره {أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ} أي بلسه ونقمة وقدرته عليهم وأخذه إياهم في حال سهوهم وغفلتهم {لَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ}

ولهذا قال الحسن رحمه الله تعالى:

المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف. والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن. وفيه أيضا الحث على التفريق بين المسلمين، والحال أن ربهم واحد، ونبيهم واحد، وكتابهم واحد فقيم التفريق؟ وقد نهاهم الله عنه في قوله تعالى:

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [آل عمران: 105]

انظر يا أخي إلى هذا التشريع الجديد، والافتراء على الله بما لا مزيد، والمصارعة إلى نار عذابها شديد، ومن ذلك يوقنون أن القصد من ذلك الاختلاف دخول الجنة بغير حساب، ولا عقاب. قال تعالى:

{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا}

[الكهف: 106].

وتفسيرها كما في الجلالين:

قوله تعالى: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} بطل أعمالهم {وَهُمْ يَحْسَبُونَ} يظنون {أَنَّهُمْ}

يُحْسِنُونَ صُنْعًا} عملاً يجازون عليه {أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ} بدلائل توحيده من القرآن وغيره {وَلِقَائِهِ} أي وبالبعث والحساب والثواب والعقاب {فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} بطلت {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا} أي لا نجعل لهم قدرًا {ذَلِكَ} أي الأمر الذي تكررت من حبوط أعمالهم وغيره {جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا} أي مهزوءًا بهما. قال الشاطبي في الاعتصام (ج 1 ص 94) قال الله تعالى: {قُلْ هَلْ تَنبِئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} وما ذلك إلا لخلعة يجدونها في ذلك الالتزام، ونشاط بداخلهم يستسهلون به الصعب بسبب ما دخل النفس من الهوى. وإذا بدا للمبتدع ما هو عليه رآه محبوبًا عنده لاستعباده للشهوات، وعمله من جملة ما رآه موافقًا للدليل عنده، فما الذي يصدده عن الاستمسك به، والأزدياد منه، وهو يرى أن أعماله أفضل من أعمال غيره، واعتقاداته أوفق وأعلى، أفيفيد البرهان مطلبًا؟

{فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [فاطر: 8].

وقال صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة قلنا : لمن؟ قال: لله و لكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم" رواه مسلم.

الطريقة الختمية

الختمية طريقة صوفية، تلتقي مع الطرق الصوفية الأخرى في كثير من المعتقدات، مثل: القلوة في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم، وادعاء لقياه وأخذ تعليمهم وأورادهم وأذكارهم التي تميزوا بها، عنه مباشرة. هذا إلى جانب ارتباط الطريقة بالفكر والمعتقد الشيعي وأخذهم من أدب الشيعة وجدالهم، ومحاولة المعاصرين منهم ربط الطائفة بالحركة الشيعية المعاصرة.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

مؤسس الطريقة:

محمد عثمان بن محمد أبو بكر بن عبد الله الميرغني المحجوب ويلقب (بالختم) إشارة إلى أنه خاتم الأولياء، ومنه اشتق اسم الطريقة الختمية، كما تسمى الطريقة أيضاً الميرغنية ربطاً لها بطريقة جد المؤسس عبد الله الميرغني المحجوب.

وُلد محمد عثمان الميرغني (الختم): بمكة عام 1208هـ / 1833م، وتلقى العلوم الشرعية على يد علمائها، وغلب عليه الاهتمام بالتصوف شأن أفراد أسرته جميعاً، فاتخرط في عدة طرق: القادرية، الجنيدية، النقشبندية، الشاذلية، وطريقة جدّه الميرغنية، كما تتلمذ على الشيخ أحمد بن إدريس وأخذ تعليم الطريقة الإدريسية ومن هذه الطرق جميعاً استمد تعليم طريقته الختمية.

أوفده شيخه أحمد بن إدريس لنشر الطريقة الإدريسية الشاذلية في السودان، وقد لاقى نجاحاً محدوداً في شمال السودان وشرقه.

بعد وفاة الشيخ أحمد بن إدريس 1253هـ / 1838م تنافس الميرغني ومحمد بن علي السنوسي (مؤسس الطريقة السنوسية) على خلافة الشيخ،

وبتأييد من بعض أتباع الشيخ كسب الميرغني المناهضة والتأييد واستطاع أن يكون طريقته الختمية وينشئ لها عدة زوايا في مكة وجدة والمدينة والطائف.

بعث الميرغني بأبنائه إلى عدة جهات: جنوب الجزيرة ومصر والسودان للدعوة للطريقة الختمية ونشرها.

ألّف عدة كتب في التفسير والتوحيد وعدة دواوين شعرية بقلب عليها جميعاً الطابع الصوفي في لغتها ومضمونها. من أهم هذه الكتب: (تاج التفاسير، النفحات المكيّة واللمحات الحقيّة في شرح أساس الطريقة الختمية، النور البراق في مدح النبي المصداق، ديوان النفحات المدنية في المدائح المصطفوية، ديوان مجمع الغرائب والمفرقات من لطائف الخرافات الزاهبات، مجموعة فتح الرسول، مولد النبي المسمى بالأسرار الربانية).

على إثر خلاف مع بعض العلماء في مكة، رحل محمد عثمان الميرغني وذهب إلى الطائف، حيث أقام هناك حتى وفاته عام 1268هـ/1853م.

الحسن بن محمد عثمان (الختم):

وُلد في مدينة بارا بغرب السودان عام 1235هـ/1816م من امرأة تزوجها والده بتلك المدينة خلال رحلته إلى السودان التي أشرنا لها من قبل، التحق بوالده في مكة وتلقّى تعليمه بها. بعث به والده إلى السودان لنشر الطريقة الختمية. لقي الحسن نجاحاً كبيراً في دعوته لا سيما في شمال السودان وشرقه. أصبح الحسن شيخ الطريقة في السودان وأسّس قرية الختمية بالقرب من مدينة كسلا في شرق السودان، كمركز للطائفة، وأصبح له مكانة كبيرة في تلك الأنحاء فاقت مكتبة والده مؤسس الطريقة، وظل الحسن شيخاً للطريقة حتى وفاته عام 1286هـ/1899م.

محمد عثمان تاج السر بن الحسن بن محمد عثمان (الختم):
أصبح شيخ الطريقة بعد وفاة والده، وخلال فترة توليه زعامة الطائفة
ظهرت الحركة المهدية في السودان، فعارضها محمد عثمان تاج السر
معارضة شديدة، وقد أتباعه من الختمية لمقاومتها وخاضوا عدة معارك
ضد جيوش المهدية في شرق السودان. وانتهى الأمر بهزيمته وفراره إلى
مصر حيث ظل بها حتى وفاته عام 1303هـ/1886م.

علي الميرغني بن محمد عثمان تاج السر:

ولد بجزيرة مستلوي مركز مروري بشمال السودان عام 1880م، انتقل
مع والده إلى مدينة كسلا، وحينما اضطر والده إلى الهجرة إلى مصر إثر
هزيمته على يد جيوش المهدية، تركه والده مع عمه تاج السر الحسن في
سواكن. ثم لحق بأبيه وبقي في مصر حتى مجيء جيش الغزاة الإنجليز
للسودان، حيث اختاره الإنجليز لمرافقتهم في غزوهم للسودان للقضاء
على دولة المهدية. وحينما تم للإنجليز الاستيلاء على السودان وهزيمة
المهدية، اتخذوه صنيعة لهم وأطلقوا عليه الألقاب ومنحوه الأوسمة
والمكافآت نظير خدماته لهم. واعترفوا به زعيماً لعموم طائفة الختمية في
السودان. واستفادوا منه في القضاء على المشاعر الدينية التي حركت
الثورة المهدية من ناحية، وفي كسب ولاء السودانيين من ناحية أخرى.
وحينما بدأت الحركة المهدية تظهر من جديد على يد أحد أبناء المهدي،
وبمباركة الإنجليز، شعر علي الميرغني بخطورة الموقف لا سيما وأن
الإنجليز أرادوا ضرب الطائفتين (الختمية والأنصار) والاستفادة من العداء
التقليدي بينهما والصراع بين زعيميهما. نتيجة لذلك تحول ولاء زعيم
الختمية نحو مصر، وأصبح راعياً فيما بعد للحركة السياسية التي كانت
تدعو إلى الوحدة بين مصر والسودان، وظل يحرك الأحداث السياسية من
وراء ستار ويلعب دوراً خطيراً فيها حتى وفاته عام 1968م.

محمد عثمان بن علي الميرغني:

وُلد عام 1936م، تولى زعامة الطريقة بعد وفاة والده عام 1968م، وهو الزعيم الحالي للختمية. وخلفاً لوالده الذي كان يحرك الأحداث السياسية ويشارك فيها من وراء ستار، انخرط محمد عثمان في العمل السياسي، مستنداً إلى ولاء أتباعه وأصبح زعيماً للطائفة والحزب الاتحادي الديمقراطي الذي تزعمه. وقد استغل ولاء أتباعه لخدمة الحزب بينما الحزب يضم كثيراً من العلمانيين واليساريين، بل وحتى النصارى الذين تولوا مناصب عليا فيه، ومن ثم اتخذ الحزب مواقف لا تتلاءم مع انتماء الطائفة الديني كتحالفه مع الشيوعيين، وعقد اتفاقية من طرف واحد مع المتمردين، وأخيراً قيادته للتجمع الديمقراطي الذي يضم خليطاً من العلمانيين واليساريين المناهضين لشرع الله والموالين لحركة التمرد التي تحارب الإسلام.



الأفكار والمعتقدات:

الختمية طائفة صوفية تنسك بمعتقدات الصوفية وأفكارهم وفلسفاتهم: تبنوا فكرة وحدة الوجود التي نادى بها من قبل محيي الدين بن عربي وتلامذته، وقالوا بفكرة النور المحمدي والحقيقة المحمدية وعبروا عن ذلك نظماً ونثراً وبسطوها لأتباعهم في مدائحهم ومناجاتهم وأنكارهم وأورادهم، واستخدموا مصطلحات الوحدة والتجلي والانبجاس والظهور والفيض وغيرها من المصطلحات الفلسفية الصوفية. واستشهدوا بما استشهد به أصحاب هذه النظريات من آيات أولوها، وأحاديث وضعوها وأفكار انتحلوها.

أسبغوا على الرسول صلى الله عليه وسلم من الأوصاف ما لا ينبغي أن يكون إلا لله تعالى، وذهبوا إلى أن حقيقته لا تدرك ويعجز الوصف عن بيان ذاته. ومن ثم جعلوه صلى الله عليه وسلم غاية فنائهم ومنتهى

سيرهم. كما توجهوا بدعائهم واستغاثاتهم ورفعوا شكاواهم إليه، سائلينه أن يفك ضيقهم وينصرهم على أعدائهم، مخاطبينه صلى الله عليه وسلم بأنه مزيل للغم والكرب مفرج للهم والضيق.

ادعى مشايخ الطريقة بأنهم لقوا الرسول صلى الله عليه وسلم ورأوه عياناً، وأنه يحضر احتفالاتهم بمولده صلى الله عليه وسلم، وأنهم تلقوا منه أسس الطريقة وأورادها وتعاليمها.

فمؤسس الطريقة يدعى أنه وضع راتبه بإذن من الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه هو الذي أمره بتصنيف المولد وأن يجعل إحدى قافيتيه هاء والأخرى نوناً، وبشره بأنه يحضر قراءته، وأن الدعاء عنده مستجاب في ختمه وعند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم.

كما يزعم أيضاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى رضوان بلن يعمر جناتاً ومساكن له ولأبنائه وصحبه وأتباعه وأتباع أتباعه إلى يوم القيامة، وأمر مالك بأن يعمر في النار مواضع لأعدائه.

يدعي مشايخ الختمية بأنهم المدخل للحضرات الإلهية، وأن مقامهم برزخ بين النبوة والولاية، ويدعون أن لهم التصرف في الكون، وأنهم يغثون من يلتجئ إليهم ويحتمي بحماهم، فيزينون كربات المكروبين، وهم المهمومين، وأنهم الوسيلة للسعادة في الدنيا والنجاة من العذاب يوم الدين.

يدعى مؤسس الطريقة، بأنه ختم الأولياء وأنه أعظم من كل الأولياء السابقين وأن مكانته تأتي بعد مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم. يقول مؤسس الطريقة أيضاً: "إن من رآني أو رأى من رآني إلى خمسة لا تمسه النار" ويزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبره بذلك.

كما يدعي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال له: "من صحبتك ثلاثة أيام لا يموت إلا ولياً" وحينما قدم المدينة قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن من زارني في سنتك هذه والتي قبلها والتي بعدها فعندنا مقبول".

للطريقة الختمية أوراد وأنكار وآداب معينة في الذكر والدعاء ميزوا بها أنفسهم وركزوا عليها دون غيرها.

كما يهتمون بإقامة احتفالات معينة وإحياء مناسبات خاصة: كإحياء ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم والاحتفال بمولد ووفاء مشايخ الطريقة، وإقامة ما يعرف لديهم بليلي الذكر أو الحولية، ويمارسون في كل ذلك طقوساً خاصة في الزي، والذكر والإنشاد.

أنكار الطريقة وأورادها بعيدة كل البعد عن الأنكار الواردة في القرآن أو المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم. كما يخصصون أوراداً معينة بأيام وأوقات خاصة من غير دليل شرعي أو سند من أثر، كما يغلب على أورادهم وأنكارهم السجع المتكاف الذي يصرف الذهن عن التوجه إلى الله في صدق وإخلاص. كما أن بعض أورادهم تشتمل على ألفاظ أعجمية وأسماء غريبة لروحانيات يخاطبونها — كما يزعمون — ويسعون إلى السيطرة عليها وتسخيرها لخدمتهم في مناصرة أتباعهم، وإحقاق الأذى بخصوصهم.

للختمية بيعة خاصة يردد فيها للمريد من بين ما يردد من أقوال:

"اللهم إني تبت إليك ورضيت بسيدي السيد محمد عثمان الميرغني شيخاً لي في الدنيا والآخرة فثبتني اللهم على محبته وعلى طريقته في الدنيا والآخرة".

للختمية خلوة للعبادة، يطلبون فيها من المريد أن يطلب المدد من الرسول صلى الله عليه وسلم وجبريل ومشايع الطريقة، كما يطلبون منه استحضار صورة السيد محمد عثمان (الختم) حتى تظهر منه روحانيته. ثم يظهر نور من جهة القلب ويظل هكذا — كما يزعمون — حتى تظهر للمريد روحانية النبي صلى الله عليه وسلم.

هناك ارتباط وثيق بين فكر الختمية وفكر الشيعة، كما يحاول المعاصرون منهم الربط بين طائفتهم وبين الحركة الشيعية المعاصرة.

يربط مشايخ الطريقة نسبهم بأئمة الشيعة الاثني عشرية، ويعتبرون أنفسهم من سلالتهم، علماً بأن الإمام الثاني عشر عند الشيعة - وحسب مقولتهم - اختفى أو غاب وهو صغير لم يتجاوز الثالثة أو الخامسة من عمره.

تبنت الطائفة فكر الشيعة حول آل البيت، وارتباطهم بقضية الإمامية واستحقاقهم لها، كما استندوا إلى أدب الشيعة وحججهم وبراهينهم لإثبات أحقية أهل البيت بالولاية والإمامة سعياً لإثبات هذا الحق لمشايخهم.

وقع بعض الختمية المعاصرين فيما وقع فيه الشيعة من تجريح للصحابة واتهامهم بأنهم كتموا بعض الأحاديث الدالة على ولاية - علي رضي الله عنه - كما يزعمون. وفسروا أحداث التاريخ الإسلامي بمثل ما فسر به الشيعة، من الادعاء بأن هناك مؤامرات حيكّت من أجل إبعاد أهل البيت من تولّي السلطة والإمامة.

ربط الختمية المعاصرون تاريخ طائفتهم ومستقبلها بتاريخ الحركة الشيعية، عن طريق الربط بين أصول التصوف والتشيع من ناحية، وعن طريق ربط حركة البعث الإسلامي وقصرها على الطائفتين المؤمنتين بولاية أهل البيت (للشيعة والختمية) - كما يزعمون - من ناحية أخرى.

الجزور الفكرية والعقائدية:

يحدّد مؤسس الطريقة محمد عثمان الميرغني المصادر التي استمد منها أصول طريقته قائلًا: "اعلم أن طريقتنا هذه مجتمعة من خمسة حروف نقشها (نقش جم) تنقش من الفؤاد التصوف جم، فالنون نقشبندية، والقاف قادرية، والشين شانزية، والجيم جنيدية، والميم ميرغنية، وهي محتوية على أسرار هذه الطرق الخمس وبعض أوراها".

يتضح من تحليل معتقداتهم وأفكارهم أنهم استفادوا من ذلك التراث الصوفي الفلسفي الغنوصي الذي بدأه الحلاج، وعدل فيه وزاد عليه

وطوره تلامذته كابن سبعين وابن الفارض، وعبروا عنه في نظرياتهم عن
الفناء والحلول والاتحاد ووحدة الوجود.

استمد الختمية - المعاصرون منهم خاصة - كثيراً من أفكارهم من فكر
الشيعة ومعتقداتهم واستفادوا من أدب الشيعة وما استندوا إليه من جدل
حول الإمامة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

بدأت الطريقة من مكة والطائف، وأرست لها قواعد في جنوب وغرب
الجزيرة العربية، كما عبرت إلى السودان ومصر.
تتركز قوة الطريقة من حيث الأتباع والنفوذ الآن، في السودان، لا سيما
في شمال السودان وشرقه وأطراف إريتريا المتاخمة للسودان ومصر.

يتضح مما سبق:

أن الختمية طريقة صوفية تلتقي مع الطرق الصوفية الأخرى في كثير
من المعتقدات المنحرفة والتي من أبرزها الغلو في شخص الرسول صلى
الله عليه وسلم والقول بالحلول ووحدة الوجود. هذا فضلاً عن ارتباطها
الوثيق - في العصر الحاضر - بالفكر والمعتقد الشيعي خاصة فيما يتعلق
بأقوال الشيعة وجدلهم حول الإمامة، وينتشر أتباع هذه الطريقة حالياً في
مصر وفي السودان وبخاصة في الشمال والشرق، وأطراف إريتريا
المتاخمة للسودان.

مخالفات الطريقة الختمية:

يزعم الشيخ الميرغني محمد عثمان شيخ الطريقة الختمية " أن الله
كلمه وقال له: أنت تذكرة لعبادي، ومن أراد الوصول إليّ فليتخذك سبيلاً،
وأن من أحبك وتعلق بك هو الذي خلد في رحمتي، ومن أبغضك وتباعد
عنك فهو الظالم المحدود له العذاب الأليم، وهذا في كتاب الطريقة الختمية
بغنوان: (الهبات المقتبسة - تأليف محمد عثمان) ص 76.

وأما الرد على تلك الافتراء على الله والتضليل بعباده من وجوه:
أولاً: كيف يدعي الميرغني أن الله كلمه وخطبه هل هو نبي أم
رسول...؟

يقول الله تعالى:

{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَهًا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ
يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ} الشورى 51

ثانياً: كيف يدعي الميرغني أنه هو السبيل إلى الله وقد بين الله في
كتابه الكريم أن سبيل التقرب إليه عن طريق كتابه وسنة نبيه وليس
الطريقة الختمية حيث يقول الله تعالى:

{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ
تُرحَمُونَ} الأنعام 155

ويقول الله تعالى:

{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ
إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} الحشر 7

وقد جاء في الحديث، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:
(تركتم فيكم ما إن تمسكتم به قلن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله تعالى
وسنة رسوله). رواه الترمذي.

وقد بين الله تعالى أن كل طريق غير هذا فهو من طرق الشيطان صوفياً
كان أو غيره وذلك في قوله تعالى:

{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ
بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} الأنعام 153

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن مسعود في تفسيرها
أنه خط خطأ مستقيماً على الأرض وقال هذا صراط الله وهذه هي السبل
وعلى كل سبيل شيطان يدعو إليه فنعوذ بالله من طرق الشيطان.

ثالثاً: كيف يتجرأ الميرغني ويزعم أن الله قال له من أحبك يخلد في رحمتي ومن أبغضك فله العذاب الأليم؟

إن المعلوم في الشريعة أن الحب في الله والبغض في الله عبادة يتقرب بها إلى الله وقد جاء في حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

" إن أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله " رواه البيهقي. ولكن هذا لا يبنى على الهوى وإنما يرجع فيه لأحكام الشرع فمن التزم بأحكام الشرع تلتزم محبته في الله ومن اختلف مع أحكام الشرع يلزم بغضه في الله.

وهنا يرد السؤال: هل وافق الميرغني في قوله هذا وهل اتفقت طريقته مع الكتاب والسنة..؟

الجواب إنها قد اختلفت تماماً مع الكتاب والسنة وهنا يلزم بغضه في الله وبغض طريقته والكشف عن زيفه وهذا من أعلى مقامات التقرب إلى الله. 
المخالفة الثانية:

يزعم الميرغني " أن رسول الله قال له من صحبتك ثلاثة أيام لا يموت إلا ولياً وأن من قبل جبهتك كأنما قبل جبهتي ومن قبل جبهتي نخل الجنة ومن رأيي أو رأي من رأيي إلى خمس لم تمسه النار، وهذا في كتاب الطريقة الختمية بعنوان منقلب صاحب الراتب تأليف السيد / محمد عثمان الميرغني ص 102.

أما الرد على تلك الإفك والدجل من وجوه:

أولاً: أين ومتى التقى بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى قال له ذلك؟
لاشك أن تلك كذب جلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويكفي ما جاء في مقام الوعيد لأمثال هؤلاء ما أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " بلغوا عني ولو آية

وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ومن كذب علي متصدأً فليتبوأ مقعده من النار.

ثانياً: من هو الميرغني حتى يكون من صحبه ثلاثة أيام لا يموت إلا ولياً..؟ وهل ضمن لنفسه أنه من أولياء الله ناهيك عن من يصحبه..؟

قال تعالى: { قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } البقرة: 111
ويقول تعالى في تكذيبه وادعائه:

{ فَلَا تَرْكَبُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } النجم: 32

ثالثاً: كيف يزعم ويفتري الميرغني أن من رآه أو رأى من رآه إلى خمس يدخل الجنة وهل هو ضمن الجنة لنفسه ومطوم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد رآه كثير من اليهود والنصارى والمشركين وماتوا على الكفر فهل يقرى هو الفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم..؟

وكيف يحكم المفتري هذا على خاتمة أناس بمجرد رؤيته فقط وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تحكم على خاتمة المرء مع عمله وذلك في حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعاً فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعاً فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها" (رواه مسلم).

المخالفة الثالثة:

يزعم الميرغني أنه أعطى راتباً لا يقدر على قراءته أحد غير النبي صلى الله عليه وسلم والمهدي وهذا في كتاب الطريقة الختمية بعنوان رسالة الختم تأليف السيد / جعفر بن السيد محمد عثمان ص 111.
وأما الرد على ذلك السخف والدجل من وجوه:

أولاً: قال أعطيت راتباً ولم يبين من الذي أعطاه ولا شك في أن الذي أعطاه إياه هو شيطانه، وإلا لو كان من شريعة الإسلام يلزمه أن يبين أهو من الكتاب والسنة حتى نعرفه وذلك لقوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} النساء 59

ثانياً: مما يدل على أنه ليس من الدين أن الله جعل التكليف على وسع البشر وذلك لقوله تعالى: {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} البقرة 286

ثالثاً: إنه يزعم أنه لا يستطيع قراءته غير النبي والمهدي وهذا يعني أنه حتى هؤلاء لا يستطيعون قراءته فما الفائدة إذا من هذا الراتب.

المخالفة الرابعة:

الختمية يزعمون لو كان نبي بعد النبي لكان محمد عثمان الميرغني حيث ورد في كتاب الطريقة الختمية بعنوان رسالة الختم تأليف السيد جعفر بن السيد محمد عثمان الميرغني ص 115 - 116 ما يأتي في مدحه أن الرسول قال ذلك وقدمها مادحهم في قوله:

ولو كان بعدي يأتي نبي فعثمان كان له أوحى

وهذا إفتراء واضح وكذب صريح يختلف مع قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرج الإمام أحمد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"لو كان نبي بعدي لكان عمر" وفي رواية أخرى "لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر".

المخالفة الخامسة:

يزعم الختمية أنه لا يجوز زيارة المريد للشيخ إلا على طهارة وأن
حضرة الشيخ هي حضرة الله وذلك في كتاب منحة الأصحاب تأليف أحمد
بن عبد الرحمن تلميذ السيد محمد سر الختم الميرغني ص 67 حيث ورد
الآتي في آداب المريد مع الشيخ:

(وأن لا يزور المريد الشيخ إلا على طهارة لأن حضرة الشيخ هي
حضرة الله)

وفي هذا يتعجب العقلاء فكيف يتطهر لزيارة الشيخ وقد أشارت
النصوص إلى أحكام الطهارة ما يجب وما يستحب ومن حيث لا يوجد دليل
للطهارة في زيارة الأشخاص حتى ولو كان في درجة رسول وقد أخرج
البخاري في الصحيح عن أبي هريرة أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض طرق المدينة فاتخس منه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:
أين كنت يا أبا هريرة قال كنت جنباً فكرهت أن أجالسك فقال النبي صلى
الله عليه وسلم سبحان الله إن المؤمن لا ينجس.

فهل يا ترى مشايخ الصوفية أفضل أم النبي صلى الله عليه وسلم.

المخالفة السادسة:

يزعم الختمية بأنه عند الشدائد ينبغي أن تلجأ إلى الميرغني من دون الله
وهذا ضلال يتفق عليه المتصوفة أجمعين، حيث ورد في كتاب الطريقة
بغنوان تجمع الأوراد الكبير ص 147 تأليف محمد عثمان الميرغني في
قوله:

ومهما أتاك خطب جليل فقم وناده وقل يا ميرغني

وأما الرد على ذلك الضلال فيكذبه قوله تعالى:

{وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} غافر 60

وقوله تعالى:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ البقرة: 186

وقول النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عباس "إذا سألت فلسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله" رواه الترمذي. وقوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ الأحقاف: 5

المخالفة السابعة:

الختمية يذكرون الله بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان ويسمونهم بأسماء غير أسمائه الحسنی وقد ذكر في أنكارهم في دعوة البرهنية عن السيد محمد الحسن الميرغني في كتاب مجمع الأوراد الكبير ص 116 " أن يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى آله على سيدنا برهتیه، تبتلیه طوارك، مزحل، برهشب، خوطر، قلینهود، برشا كطهير باتموا شلخ، شماهير، شما حیرحورب النور الأعلى عبطال فلا إله إلا هو رب العرش العظيم"

وهذا الذكر فيه تلبیس للحق بالباطل وقد قال تعالى:

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: 42
وتلك الكلمات ليست أصل في الكتاب والسنة ولا شك أنها من وحي الشياطين وقد قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَلَدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ الأعراف: 180

المخالفة الثامنة:

يزعم الختمية أنه يجب على المرید طاعة شيخه وإن خالف الشرع وذلك
حيث ورد في كتاب الطريقة بعنوان منحة الأصحاب تأليف أحمد عبد
الرحمن تلميذ السيد محمد سر الختم ص 67 ما يأتي:

(إذا قال الشيخ للمرید اقرأ كذا أو صم كذا أو قال له وهو صائم افطر
أو قال له لا تقم الليلة فإيه بطيعة، قال سيدي أبو يزيد البسطامي لتلميذ
له افطر ولك أجر يوم فإني وقل ولك أجر جمعة فإني فقل ولك أجر شهر
فإني وقل ولك أجر سنة فإني فقل له بعض الحاضرين مخالفتك هذه
تضرك فقل الشيخ دعو من سقط من عين الله).

وأما الرد على ذلك للضلال:

مفهوم أن الشريعة جاءت تدعو للعباد للأعمال الصالحة يقول الله تعالى:
{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ
نَزْلًا} [الكهف 107]

ويقول تعالى:

{والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا
الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر} سورة العصر.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يرغب للصعبة في الأعمال الصالحة
وقد جاء في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:

"تعم الرجل الصالح عبد الله بن عمر لو كان يقوم الليل، قال ابن عمر ما
تركت قيام الليل بعد ذلك". (رواه أحمد). وفي الحديث أيضاً عن أبي أمامة
"أن رجلاً قال يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن
النار قال عليك بالصوم" (رواه الترمذي) فكيف ينهى الشيخ المرید من
العمل الصالح مثل قيام الليل والصيام كما يزعم المتصوفة وكيف يحق
للمريد أن يطيع شيخه...؟

فالتصوف في منهجه يمثل استعباد الشيوخ لمريديهم وليعلم هؤلاء
المساكين أنهم على ضلال، وأن الإسلام قد جاء لتحرير العباد من هؤلاء
الشيوخ وأمثالهم، ومن هنا كان قول النبي صلى الله عليه وسلم "لا طاعة
لمخلوق في معصية الخالق" رواه أحمد. وفي رواية أخرى إنما الطاعة
في المعروف (رواه البخاري).

أما عن قصة أبي يزيد البسطامي الذي أمر التلميذ بالفطر وضمن له
الأجر فهي تمثل قمة الضلال باسم الدين فإنه لم يكتف بأمره له بالفطر بل
تعدى إلى أكبر من ذلك وضمن له أجراً وكأنه هو الإله الذي يصام له
ويملك الثواب سبحانه ربّي هذا بهتان عظيم.



الديوبندية

تنسب الديوبندية إلى جامعة ديوبند - دار العلوم في الهند.
فهي مدرسة فكرية عميقة الجذور طبعت كل خريج منها بطابعها العلمي
الخاص، حتى أصبح ينسب إليها.
التأسيس وأبرز الشخصيات:

أسس جامعة ديوبند مجموعة من علماء الهند بعد أن قضى الإنجليز
على الثورة الإسلامية في الهند عام 1857م فكان تأسيسها رد فعل قوي،
لوقف الزحف الغربي ومدنيته المادية على شبه القارة الهندية لإنقاذ
المسلمين من مخاطر هذه الظروف، خاصة وأن دلهي العاصمة قد خربت
بعد الثورة، وسيطر عليها الإنجليز سيطرة كاملة، وخاف العلماء أن يُبتلع
دينهم، فأخذ الشيخ إمداد الله المهاجر المكي وتلميذه الشيخ محمد قاسم
الناتقوي وأصحابهم يرسم الخطط للمحافظة على الإسلام وتعاليمه. فرأوا
أن الحل بإقامة المدارس الدينية، والمراكز الإسلامية. وهكذا أسست
المدرسة الإسلامية العربية بديوبند كمركز للدين والشريعة في الهند في
عصر حكومة الإنجليز.

وقد بدأت دار العلوم بمدرسة دينية صغيرة بقرية ديوبند تأسست في
15 محرم 1283هـ الموافق 30 أيار (مايو) 1866م، ثم أصبحت من
أكبر المعاهد الدينية العربية في شبه القارة الهندية.

وفي عام 1291هـ تم إنشاء البناء الخاص بالجامعة، بعد بقلتها تسع
سنوات بدون بناء وكانت الدروس في ساحة للمسجد الصغير وفي الهواء
الطلق.

من أبرز شخصيات هذه المدرسة الفكرية:

الشيخ محمد قاسم:

ولد بنتوته سنة 1248هـ - ورحل إلى سهارنبور في صفر سنة وقرأ
المختصرات على الشيخ محمد نواز الهارنبوري. ثم سافر إلى دهلي وقرأ
على الشيخ مملوك على الناتوتي سائر الكتب الدراسية، وأخذ الحديث على
الشيخ عبد الغني بن أبي سعيد الدهلوي، وأخذ الطريقة عن الشيخ الحاج
إمداد الله العمري التهانوي المهاجر المكي، وكان ممن قلم ضد الاستعمار
البريطاني في الثورة المشهورة سنة 1273هـ. وفي 15 محرم
1273هـ أسس مدرسة دار العلوم بديوبند وتحمل مسؤولية إدارتها
وشاركت في تربية طلابها رفيقة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي. وقد لخص
هدفها في رده على اللورد ميكالي الإنجليزي بقوله: " إن غرضنا من
التعليم هو إيجاد جيل يكون بلونه وعصره هندياً، يتنور قلبه وعقله بنور
الإسلام، وتموج نفسه بالعواطف الإسلامية، ثقافة وحضارة وسياسة ".
ونلك رداً على قول اللورد ميكالي " إن الفرصة من خطتنا التعليمية هو
إنشاء جيل من الهند، يكون هندي للنسل واللون، وأوربي للفكر والذهن ".

الشيخ أحمد الكنكوهي:

أحد أعلام الحنفية وأئمتهم في الفقه والتصوف قرأ على كبار مشايخ
عصره حتى برع وفاق أقرانه في المنقول والمعقول واستفاد منه خلق
كثير. وهو أحد الذين بايعوا الشيخ إمداد الله المهاجر المكي على الطريقة.
وكان زميلاً للشيخ محمد قاسم الناتوتي. وله مؤلفات عديدة منها
مجموعة فتاواه في عدة مجلدات، توفي عام 1323هـ.

الشيخ حسين أحمد المدني والملقب بشيخ الإسلام:

ولد في التاسع عشر من شوال سنة 1296هـ وتلقى مبادئ العلوم في
تلقده من مديرية فيض آباد الهند وطن أباه. وفي سنة 1309هـ سافر
إلى دار العلوم الديوبندية وفيها تعلم الحديث عن الشيخ محمود حسن

الديوبندي الذي لازمه مدة طويلة وكذلك تلقى من الشيخ خليل أحمد السهارنفوري، وبيع على الطريقة على يد الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي الذي أجازته على البيعة والإرشاد والتلقي. ولا شك أن هذا السلوك سلوك مبتدع لم يعرفه السلف الصالح.

سافر إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، بصحبة والده أيام الحرب العالمية فأسره ولاية الأمر - الشريف حسين بعد خروجهم على الدولة العثمانية - وتم ترحيله بصحبة شيخه محمد حسن الديوبندي إلى مصر ثم إلى مالطا أسرى لمدة ثلاثة سنين وشهرين. وفي عام 1338هـ - أفرج عنه ثم عاد إلى الهند وقام بتدريس الحديث وإلقاء المحاضرات والخطب الحماسية ضد الاستعمار الإنجليزي فتم القبض عليه مرة أخرى في جمادى الآخرة 1361هـ - وسجن لمدة سنتين وعدة أشهر في سجن مراد آباد وسجن إله آباد إلى أن أطلق سراحه في السادس من رمضان 1363هـ - استمر في جهاده بالتعليم ومناهضة الاستعمار إلى أن وافاه الأجل في الثالث عشر من جمادى الأولى سنة 1377هـ - ومن مؤلفاته: نقش حيات في مجلدين، وكتاب الشهاب الثاقب على المسترق الكاف.

محمد أنور شاه الكشميري:

أحد كبار فقهاء الحنفية وأساطين مذهبهم تخرج في جامعة ديوبندي وولى التدريس في المدرسة الأمنية بدلهي، ثم شغل مشيخة الحديث في جامعة ديوبند. في عام 1346هـ - تولى رئاسة التدريس وشيخة الحديث فيها إلى جامعة دابهيل كجرات وله مؤلفات عديدة. ويعد من أبرز علماء عصره في قوة الحفظ وسعة الإطلاع. وكان أحد الذين لعبوا دوراً هاماً في القضاء على فتنة القاديانية في شبه القارة الهندية. توفي عام 1352هـ - ومن أعلام الديوبندية الحديثة:

الشيخ أبو الحسن علي الحسن الندي، رئيس جامعة ندوة العلماء في لکنهو ورئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وهو داعية مشهور.

والشيخ حبيب الرحمن الأعظمي.

الأفكار والمعتقدات:

ترجع الديوبندية مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله في الفقه والفروع ومذهب أبي منصور الماتريدي في الاعتقاد والأصول، وتنسب من طرق الصوفية إلى طرق النقشبندية الجشتية والقادرية السهروردية طريقاً وسلوكاً.

ويمكن تلخيص أفكار ومبادئ المدرسة الديوبندية بما يلي:

المحافظة على التعاليم الإسلامية، والإبقاء على شوكة الإسلام وشعائره.

نشر الإسلام ومقاومة المذاهب الهدامة والتبشيرية.

نشر الثقافة الإسلامية ومحاربة الثقافة الإنجليزية الغازية.

الاهتمام بنشر اللغة العربية، لأنها وسيلة الاستفادة من منابع الشريعة الإسلامية.

الجمع بين القلب والعقل وبين العلم والروحانية.

الجدور الفكرية والعقائدية:

القرآن والسنة هما أساسها العقائدي والفكري وذلك على أساس:

مذهب أبي منصور الماتريدي في الاعتقاد.

مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان في الفقه والفروع.

سلاسل الطرق الصوفية من النقشبندية والجشتية والقادرية

والسهروردية في السلوك والاتباع.

الانتشار ومواقع النفوذ:

لم تمض سوى فترة قصيرة على تأسيس دار العلوم بديوبند حتى

اشتهرت وتقاطرت إليها قوافل طلاب العلوم الإسلامية من أطراف القارة

الهندية.

وقد لعبت دارُ العلوم دوراً هاماً في نشر الثقافة الإسلامية خارج الهند، وقد انتشرت المدارس الشرعية التابعة لدار العلوم في أقطار عديدة منها الهند وباكستان.

وقد أسس أحد خريجي دار العلوم المدرسة الصولتية في مكة المكرمة في بداية هذا القرن. وهي المدرسة التي قدمت خدمة جليلة من نشر العلوم الشرعية، وكذلك المدرسة الشرعية في المدينة المنورة - بجوار الحرم المدني وقد أسستها أسرة الشيخ حسين أحمد المدني رئيس هيئة التدريس في دار العلوم سابقاً الذي ظل سبع عشرة سنة يدرس في الحرم النبوي بعد هجرته إلى المدينة أثناء الاضطرابات في الهند.

ومعلوم أن أغلب رجال جماعة التبليغ المشهورة في الهند والعالم الإسلامي، هم من خريجي دار العلوم مثل الشيخ محمد يوسف مؤلف كتاب حياة الصحابة والشيخ محمد إلياس مؤسس الجماعة.

بالنسبة لندوة العلماء في لکنهو بالهند فإن أغلب علمائها من خريجي دار العلوم أيضاً، ومنهم رئيسها الحالي العلامة الداعية أبو الحسن الندوي.

مما يؤخذ على الديوبندية:

اتباعها في العقيدة للمذهب الماتريدي المخالف للكتاب والسنة وعقيدة السلف، وتعلقها بالتصوف البدعي، وتعصبها للمذهب الحنفي في الفقه.

ويتضح مما سبق:

أن الديوبندية مدرسة فكرية أسسها مجموعة من علماء الهند ونمت حتى أصبحت أكبر المعاهد الدينية العربية للأحناف في الهند. ومن أعلامها المعاصرين الشيخ أبو الحسن علي الحسن الندي. ومن أهداف هذه المدرسة المحافظة على التعليم الإسلامية ونشر الإسلام ومقاومة المذاهب الهدامة ومحاربة الثقافة الأجنبية والاهتمام بنشر اللغة العربية

باعتبارها أداة فهم للشرعة الفراء. وترجّح الديوبندية المذهب الحنفي في مجال الفقه - مع تعصب شديد له - والعقيدة الماتريدية في مجال الاعتقاد والطرق الجشتية والسهوردية والنقشبندية والقلدرية والصوفية في مجال السلوك والإتباع. وهذا كله مما يؤخذ عليها . فالواجب على عقلائها التخلص من هذه الانحرافات، والعودة إلى دعوة الكتاب والسنة.



الطريقة الرفاعية

تنسب الطريقة الرفاعية إلى الشيخ أبي العباس أحمد بن سلطان علي الرفاعي، ويصل أتباعه نسبه إلى موسى الكاظم بن جعفر الصادق إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

ولد أحمد الرفاعي في قرية (حسن) بالقرب من أم عبيدة بالعراق (512 هـ) وتوفي سنة (578 هـ) ودفن في قرية أم عبيدة، أجمعت التراجم في الثناء عليه وأنه من أهل العلم والصلاح، وأشار الكثير ممن ترجم له أن من ينتسبون له اليوم بواد وهو بواد، وأن الافتراء والدس عليه، مما لم يعد ضبطه بالإمكان، وسيأتي معنا أهم عامل في الدس عليه، ألا وهو أبو الهدى الصيادي.

ينسب للرفاعي كرامات منها:
ما يزعمه أتباعه من أنه لما حج عام (555 هـ) ووقف أمام قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنشد هذين البيتين:
في حالة البعد روي كنت أرسلها
تقبل الأرض عني وهي نائبتني

وهذه دولة الأشباح قد حضرت
فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي
ويزعم أتباعه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من قبره ومد له يده من بين حديد شباك القبر فقبلها الرفاعي.. (الطريقة الرفاعية ص133).
وينسبون من كراماته أيضاً أنه إذا كان ألقى الدرس سمعه الأصم والسميع، والقريب والبعيد، وأن الله أحيأ له الميت، وأقام له المقعدين، وقلب له الأعيان، وصرفه في الخلق. (الطريقة الرفاعية ص134).

ويذكرون كذلك أن الله أبرد لأتباعه النيران، وأزال لهم فاعلية السموم..
والآن لهم الحديد، وأذل لهم السباع والأفاعي، وأخضع لهم طغاة الجن،
وصرفهم في العوالم، وأطلعهم على عجائب الأسرار.

الشعائر الخاصة للطريقة الرفاعية:

وللطريقة الرفاعية مشاعر خاصة كشأن كل الطرق الصوفية منها:
أنهم يجعلون السماع والمواجيد والتواجد من الصراخ وغيره مما درج
عليه أهل التصوف ديناً ويكفرون من يقول ببدعية ذلك أو يعيبه. قالوا
"وإن من أتكّر ذلك فقد كفر، لأنه عاب خيراً أمر الله به، ومن عاب ما أمر
الله به فهو كافر". (الطريقة الرفاعية ص 64، 78).

قال الألوسي رحمه الله: "وأعظم الناس بلاء في هذا العصر على الدين
والدولة مبتدعة الرفاعية، فلا تجد بدعية إلا ومنهم مصدرها وعنهم
موردها فنكرهم عبارة عن رقص وغناء وعبادة لمشايخهم".

ومنها الخلوة الأسبوعية السنوية وتبدأ عندهم في اليوم الحادي عشر
من محرم كل عام، ومن شروطها أن لا يأكل المريد طعاماً أخذ من ذي
روح، ويذكر المريد في اليوم الأول لا إله إلا الله بعدد معلوم واليوم الثاني
الله الله، والثالث وهاب وهاب، والرابع حي حي والخامس مجيد مجيد..
والسادس معطي معطي.. والسابع قدوس قدوس، وكل ذلك بعدد معلوم،
وكذلك أن يقول المريد بعد كل صلاة من صلوات هذا الأسبوع:

(اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي الطاهر الزكي وعلى آله
وصحبه وسلم). يقول ذلك مائة مرة، وزعموا أن لهذه الخلوة فتوحات
محمدية، وعنايات أحمدية لا تحصى وأن من فعلها شاهد من البراهين
العظيمة وكان له شأن عظيم. (الطريقة الرفاعية ص 115).

ولا يخف أن هذه الخلوة في هذا الوقت المخصوص بدعة ضلالة وكل
بدعة في النار كما قال صلى الله عليه وسلم وأنها تشريع جديد لم يأذن به
الله ولا رسوله، وأن فيها مشابهة لصيام النصارى الذين يصومون عن

نوات الأرواح، وأن فيها تقريباً من الرفضة حيث يخصص الحادي عشر من محرم من كل عام بذلك حيث تنتهي مشاعر الرفضة الخاصة ليدخل مشاعر الرفاعية ولعل ذلك السبب في قولهم إن الرفاعي تأتي منزلته بعد الأئمة الاثني عشر مباشرة. (الطريقة الرفاعية ص 127).

وأما تخصيصهم كل يوم بذكر خاص فهو بدعة، وأما ذكرهم الله بالاسم المفرد فقط الله، حي، مجيد فبدعة عظيمة ولم يرد ذكر الله بالاسم المفرد مطلقاً.. بل لا يذكر الله إلا بجملة مفيدة نحو (لا إله إلا الله) فهي جملة (وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله)، ونحو ذلك فكلها جمل تفيد معنى تعظيماً، فكل من ذكر الله باسم فرد من أسمائه فهو مبتدع، ولذلك لا يستغرب على هؤلاء المبتدعة أن يروا في خلواتهم هذه النيران الشيطانية التي يحسبونها أنواراً ملائكية رحمانية وما هي كذلك لأن الله لا يشرق نوره إلا في قلوب الصالحين المتبعين للحق من عباده.

ومن مشاعرهم ما يسمى بالاستقاضة وهي ربط قلب المرید بقلب الشيخ طلباً لإفاضة العلم الباطني إليه، وهذه بدعة صوفية معلومة. ففي التربية الصوفية يطلب من المرید أن يستحضر روح شيخه عند الذكر ويتمثله أمامه ويطلب من شيخه أن يربط روحه بروح الرسول الذي يزعمون أنه يفيض العلوم والأسرار على قلوب شيوخ الصوفية. والحق أن هذه العملية عملية شيطانية لأن المرید الذي يغيب عقله بالذكر المبتدع الذي يذكره آلاف المرات وعشرات الآلاف حتى يكل عقله ودماعه وهو في كل ذلك يحاول استحضار صورة شيخه أمامه، وقد يكون هذا في ظلام دامس فإن هذا هو الوقت المناسب ليدخل الشيطان إليه زاعماً أنه هو شيخه وأنه يراه الآن، وأنه يربط الآن قلبه بقلب الرسول ليفيض عليه العلوم والأسرار الإلهية، ويبدأ الشيطان يلقي في قلوب هؤلاء وسوسه الإبليسية فيوهم الواحد منهم أنه الآن صاعد إلى السماء، وأن هذا هو عرش الله، وهذا هو

كرسيه هذه هي الأرض، وأن قد أصبحت الحبيب والعظيم وصاحب الهممة وما إلى ذلك من هذا النفخ الشيطاني حتى يتصور المسكين فعلاً أنه وصل إلى مكان القرب من الله، وأن السماوات قد أصبحت طوع أمره، والأرض أصبحت كالخلخال برجله، وأنه يستطيع أن يقول للشيء كمن فيكون.. وهكذا يكون المريـد الذي دخل الخلوة، ونكر هذه الأنكار المبتدعة، وقطع نفسه بالظلام على هذا النحو يعود بنفس أخرى وحال أخرى غير الحال التي دخل بها.

وهذا سر قولهم إن لهذه الخلوة أسراراً وبراهين عظيمة، ولو علموا أنهم يربطون قلوبهم بالشياطين لعرفوا الحق المبين وأنهم نهوا عن سلوك الطرق المعوجة لأنه لا توصل إلا إلى الهلوية والضلال المبين.

وقد جعل الرفاعية الفضيلة العظمى والشرف الأسمى لهم على سائر الفرق ببركة الرفاعي فإن الله قد أبدى لأتباعه النيران، وأزال لهم فاعلية السموم، وألان لهم الحديد، وأذل لهم السباع والحيات والأفاعي، وأخضع لهم طغاة الجن. (الطريقة الرفاعية ص 134).

ولذلك فإتـهم في موالدهم ومؤتمراتهم العـلـمة يأتون بمن يشعل النار ويدخلها إلى فمه، ومن ينفخ ناراً من فمه على هيئة التتـين.. ومن يحمل الأفاعي ويلعب بها، ونحو ذلك من الشعبذات والخزعبلات التي لا يكاد يخلو منها قوم من أقوام أهل الشرك كالهندوس والفرس، وغيرهم.

الرفاعية في طور جديد:

في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري تَزَعَمَ الطريقة الرفاعية رجل يسمى محمد مهدي الصيادي الرفاعي، الذي رفع نفسه إلى مرتبة الغوثية الكبرى، ودعا الناس إلى طريقته واقتفاء أثره، وزعم أنه سالك سبيل جده مؤسس الطريقة الرفاعية، ولكنه جاء بما لم يسبقه أحد من الدعاوي في علو منزلته، والحق أننا لم نجد أجراً منه على مدح نفسه

وكذبه فيما نسبته إلى الله ورسوله من تعظيم نفسه إلا أحمد التجاني وابن عربي، وإليك بعضاً من نصوصه في هذا الصدد..

1- الدرة البيضاء:

ألف كراسة صغيرة سماها (الدرة البيضاء) ملأها بالجهل والغباء، وبدأها للأسف بقوله "أمرني بكتابتها وإذاعتها حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم". (المجموعة النادرة ص8)

وزعم في هذه الرسالة أن الله خلق الرسول من نوره.

(المجموعة النادرة ص15)

فأشرك بالله سبحانه وتعالى. وأن على المسلم أن يشفق على الخلق كلهم فخالف أمر الله للقاتل:

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ التوبة 73

ومن جملة مزاعمه في هذه الكراسة دعوة الناس إلى الاستمداد وطلب الإغاثة والإعانة من الأنبياء والأولياء. (المجموعة النادرة ص18).

فدعا بذلك إلى الشرك بالله سبحانه وتعالى، ودعا إلى العمل بأي رأي فقهي لأن اختلاف الأئمة رحمة. (المجموعة النادرة ص23).

ودافع عن ابن عربي واصفاً إياه بأنه العارف الشيخ محيي الدين ابن عربي طيب الله ثراه. (المجموعة النادرة ص26).

وزعم أن آل الرسول من أجزائه النورانية. (المجموعة النادرة ص26). وبالتلوي فهم أجزاء من الله حسب زعمه أن الرسول مخلوق من نور الله.. وقسم في هذه الرسالة الأولياء فجعل منهم المجازيب وأهل الشطح والأميين.. وجعل نفسه في آخر هذه الكراسة أفضل الأولياء في زمنه على الإطلاق حيث يقول عن نفسه:

"الاختصاص رحمة من الله تعالى للعبد لا يسعى ولا يعمل ولا يرأي، ولا يجعل يختص الله برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم: هو عطاء ربتي، ومنح صمداتي، وفضل أسبغ في القدم، قبل أن تتعين النسم، والعناية قسم، فأهل الاختصاص جذبتهم يد المشيئة الربانية، بمحض الفضل والعناية الصمدانية، إلى أقصى المراتب العلية وهذا المنح الباهر، والفضل الوافر، هو اليوم حصتي، ومنصته منصتي، أقلمني الله في هذه المنزلة إماماً، واختارني لرتبة هذه الخصوصية ختاماً، وكشف لي مخبات الغيب باطلاع من كرمه، وجليل نعمه، ففهمت أسرار الرموز الفرقانية وسبرت خفايا دقائق البطون القرآنية، ولم تبرح تترقى همتي بكشف تلك الحجب اللطيفة، وبشق ديباجات هاتيك المحاضر الشريفة، فأنا اليوم ولربي الحمد والشكر، وله الإحسان والبر، كنز الفيوضات الطاهرة المحمدية، وسجل العلوم المقدسة النبوية، وهذه النبوة نوبتي، تتقلب في وراث منزلتي، وخدام قدمي إلى ما شاء الله، بهذا بشرت من صاحب الوعد الصادق، وقرأته في صحف الرموزات العلوية التي طفحت بدقائق الحقائق، سينشر علم ظهور حالي بعد هذا الخفاء في الأكوان ويبرز بروز الشمس من بطن ليل الطمس للعيان، وتعكف على بابي القلوب والأرواح، ويسري سر إرشادي في الجبال والأودية والبطاح ولم يمس شأن نهجي المبارك غبار دنيوي، ولم يرجع منه حرف إلى قصد نفساتي بل كله لله"

(المجموعة النادرة ص 37).

وبعد أن مدح نفسه بكل ما استطاع من نعوت يقول:

"جاءت لي بذلك البشرى المحمدية الصحيحة والعناية النبوية الصريحة بوساطة روح سلطان الأولياء وزعيمهم وسيد منصتهم وكريمهم مولانا السيد أحمد الرفاعي الحسيني".

(المجموعة النادرة ص 37).

2- برقة البلب:

وتكاد تكون كل الوسائل التي ألفها هذا الصياد الرفاعي على هذا النحو ولكن في رسالة أخرى سماها (برقعة البلبل) أتى فيها بما لم يسبقه به أحد من الكذب، ولا أظن أن لاحقاً يستطيع مجاراته أيضاً في مثل هذا الكذب السمج حيث يقول في أول رسالته هذه أنه كان في سنة 1252هـ في مكة المكرمة في بيت الله الحرام، وأنه سمع بلبلاً يتكلم مع بلبل آخر وعلى حد تعبيره (يبرقم) بلغة فهمها لأنه زعم أن رجلاً من رجال الغيب كان قد علمه لغة البلبل، فزعم أن أحد البلبلين كان يتكلم مع صديقه فأخبره أن أولاد آدم كلهم مكرمون، وجميعهم مرحومون وأنه لا يجوز أن نحترق ذرة واحدة منهم، وأن منهم أيضاً أولياء عارفين، وأن من هؤلاء الأولياء قسم يتصرفون في العالم؛ ومن جملة ما يتصرفون فيه الطير فيقول البلبل لصديقه (ومنهم المتصرفون في وفيك وفي عالم الأكوان و الناقبون بساكن الله عن نبي الرحمن).

ثم يستطرد الصيادي الرفاعي في هذيانه الصوفي فيزعم أن أحد البلبل قال لصديقه: إن هذا الرجل الملتحف بكسائه الرث المستقبل الكعبة (يعني نفسه) هو من آل الرسول وقد فهم لغتنا وعرف ما قلناه وهو نائب الرسول الآن في هذا الوقت، وهو عالم الزمان وشيخ الأوان.. فقال البلبل الآخر إن تعال نتبرك به ونقبل قدميه..

ويستطرد الصيادي الرفاعي قاتلاً إن البلبلين جاءا إليه، وعكفا عليه، وسألاه الدعاء، وأتتهما أخبراه بعد ذلك أنه إمام الدين، وسيد الأولياء وإن نوره لا يعدله نور، وإن مدده سيعم الأمصار والأقطار حيث تشب قلوب الحاسدين له بنار، وتنقلت عليه أسنة الجاحدين (كذا)..

ويستطرد الصيادي قاتلاً بأن البلبلين أخبراه أن الله قد كتب صحيفة منزلته ووضعها فوق مقام إبراهيم فقام الصيادي من فورهِ وأخذ الصحيفة وفرح بما وجد فيها حسب زعمه من إطنا ب الله في الثناء عليه، ومدحه له وتبشيرهِ إياه بظهور طريقته وعلو شأنه.

يقول الصيادي هذا:

وقد طبت بالله تعالى حين قرأت ما في الصحيفة المباركة بشائتي،
وبشأن ظهور أمر طريقي، وكنت أظير سروراً لما امتن الله تعالى علي به
من إطناب في الألقاب فيها ما نصه بلفظه:

(هذا غريب الغريب أبو البراهين، وأحد آل طه ويس. خلف الأئمة
الهادين. بقية أعيان العترة الطاهرين، سيف الرسالة المسلول على أهل
الضلالة. المجدد الأكمل. الأشعث الأغبر. سنجل الحكمة والفراسة
المحمدية. رافع ألوية الشريعة الطاهرة الأحمدية. باتي مبتي أحكام
الطريقة المرضية الرفاعية. شيخ الأئمة. نور المدد المصطفوي الذي
سيتجلى به الظلمة. الرفاعي الثاني. الإمام الأوحد الرباني. طلسم البرهان
المحمدي الذي لا يدافع. معنى ناطقة البيان النبوي الذي لا ينزع. بحر
الفتح. هادم الدعوى والشطح. الفتى ابن الفتى. محمد مهدي بهاء الدين.
باب النبي صلى الله عليه وسلم في العصر. وجه علي في الدهر. الفقير
الغني. الضعيف القوي. الخفي الظاهر. العاجز القادر. شمس الإفاضة
المصطفوية للذرات كلها من التحق بها سلم ومن أبغضه عن جحد أو حسد
ندم ومن آذى نوابه وأحبابه لم يقم. ولو التفت عليه المحافل، وسارت
لأمره الكتائب، وصفت له الصفوف، ومرت لديه من قناطير الذهب
المقنطرة الألوف. هذه آية الله المخبأة في دفتر الغيب ينتفع بقراءة
فحواها، والاندماج في ظل معناها، كل من لله في عناية، يصل به الله
ويقطع، ويعطي ويمنع، ويرفع ويضع، هذا الزاهد الواعد، الأبد الماجد،
هذا بركة الله في الكون. هذا الممهد هذا الموطد. هذا القائم لله، وإعلاء
كلمة الله، ولخدمة رسول الله، لا لغرض من أغراض الأكوان، ولا لغلو،
ولا لغلو، ولا لتقدم، ولا لترفع، ولا لعظمة نفسانية، بل هو بحر مطمطم
رباني، وكنز مطلسم سبحتي، أفوض له مدنا بواسطة جده سر الوجود
وبارقة النظم الأول في كياتني النسقين الطموس والشهود (محمد) صلى

الله عليه وسلم هذا سيد عشاق رسول الله، وسيد محابيب الله اليوم في ملك الله عليه سلام الله ورضوان الله. وهناك غبت عني، وأخفت مني، ونبت معني، وترقرقت مهني، وانطمست بوجودي وظهرت بمجدي انتهى منه بلفظه. (برقة البهليل من المجموعة النادرة ص 77-79).

ولا يكتفي الصيادي بهذا الكذب الأبلج على الله سبحانه وتعالى فإن الله لم يخاطب أحداً بمثل هذا الخطاب المزعوم، فخطاب الله لصفوة أوليائه وهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يكن فيه عشر معشار هذا المدح بل كان علامته تأديباً وعتاباً؛ كمثل قوله لنوح:

{قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} هود 46
ونلك لمجرد قول نوح: {رَبِّ إِنِّي مِنْ أَهْلِي} هود 45

وكذلك قوله لإبراهيم: {قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي} الظالمين {البقرة 124}

عندما طلب إبراهيم أن يكون من ذريته أئمة.. وقوله لمحمد صلى الله عليه وسلم: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ} القصص 56

هذا بعض من خطاب الله في قرآنه لرسله فانتظر كيف يزعم هذا الصيادي أن الله كتب في صحيفة له "هذا أبو البراهين، هذا سيف الرسالة المسلول على أهل الضلالة.. هذا الإمام الأوحد الرباني.. بلني مبعثي الطريقة المرضية الرفاعية.. هذا شمس الإفاضة المصطفوية للسنرات كلها..". إلى آخر هذا الكفر والضلال وهذا الكذب الصريح.. ومثل هذا لو كان يسمى باللغة تجاوزاً مدحاً فإن أسقط الساقطين ينزه أن يمدح غيره بمثل هذا الكلام. فلو أن شاعراً متملقاً كتاباً قام يمدح رجلاً بمثل هذه الأوصاف لاستحق السقوط واللغة، ولرمي بالتزلف والجهالة والمبالغة

الممقوتة، ورفع الإنسان الحقير عن مكنته. فكيف يسوغ أن ينسب مثل هذا الكلام الحقير الذي يقع في آخر سلم المدح الممجوج فينسب إلى رب العباد سبحانه وتعالى؟

أليق أن ينسب مثل هذا التزلف لله جل وعلا..؟

ولا يكتفي الصيادي بالكذب المكشوف هذا على رب العالمين فيكمل بعد ذلك كذبه على سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فيقول أنه بعد أن قرأ هذه الرسالة (الربانية) التي كانت فوق مقام إبراهيم أنجلى له مظهر الرسول صلى الله عليه وسلم ثم ناداه قتلأ:

قد ملأناك علماً وفهماً ومدداً وقدرة بهاء وعرفتنا ونوراً وحظاً كبيراً، ورفعنا لك منبراً لا يسقط، وهبناك ناطقة تتدرج كتاب مددها في الأكوان فلا تسكت إلى يوم الدين، أنت هو القبول عندنا، المؤيد بنورنا، المبارك بظمننا، المنصور بمددنا، نوالي من والاك، ونعادي من عاداك، ونصون بعون الله من حاماك، يرفع علمك من أفلاذ بيتنا حبيب لنا فأعد عليه نظر حنالك، وعلمه رفرقة قلبك وناطقة لسانك، ولا توافق أهل البدعة، ولا تلايم أرباب الدعوى، ولا تجنح بالقلب ولا باللسان إلى القول بالوحدة المطلقة، ولا تتعمق بالكلام على الذات والصفات، ولا تعمل الفكر في المتشابهات، خذ ما أخذ أجدانك الآل الطاهرين، وسر سير الصحابة، واتبع مناهج السلف، ووافق إماماً ترتضيه من أئمة المذاهب المتبعة اليوم، فالأربعة على حق ولا تقلد غير نبيك، وتحقق بالحب لله ولكتابه ورسوله، ولا تشق العصا، ولا تجمع القلوب عليك بل اجمعها على الله، وعلى شريعة نبيك، وعليك بمشرب جدك السيد أحمد الرفاعي، وأثبت على طريقته فاتها الطريقة المحمدية الحققة..

واعلم أنك اليوم خاتمة الصديقين وشيخ الطريقة القويمة المحمدية ثم الأحمدية. وأنت سيد الآل فمن دونهم وصل على وسلم". (البرقة ص 83).

ويزعم الصيادي أنه بعد أن سمع خطاب الرسول هذا غاب عن نفسه سنة أشهر كاملة، لا يصحو إلا أوقات الفروض فقط، وأنه شكر الله بعد ذلك إذ جاءت هذه النعمة الكبرى على يد طير صغير (برقعة البلبل ص 82)..
 فانظر إلى هذا الإسناد العجيب "حدثنا الصيادي حدثنا البلبل قال قال الله تعالى.. "فلين نضع هذا البلبل يا علماء الحديث وعلماء الأصول.. هل هو عدل ضابط، وهل الذي يحدث عن بلبل أيضاً يكون عدلاً ضابطاً.. وليتهم لم يقيموا اسم الله واسم رسوله في هذه الخرافات الممقوتة والمدح الكاذب لأنفسهم! وليتهم إذا أرادوا هذا الطوف في الأرض وأكل أموال الناس بالباطل سلكوا غير هذا السبيل! فبنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

الطريقة الرفاعية والتشيع:

تلتقي الطريقة الرفاعية مع التشيع في أمور كثيرة أهمها ما يلي:

- 1- جعل أحمد الرفاعي في المنزلة بعد الأئمة الاثني عشرة مباشرة: بالرغم من أن الرفاعية ينسبون إمامهم أحمد الرفاعي إلى أنه من أولاد إبراهيم بن موسى الكاظمي بن جعفر الصادق بن محمد بن الباقر بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم،

(الطريقة الرفاعية ص 129)

إلا أن الغريب حقاً أنهم يجعلون منزلته بعد منزلة الأئمة الاثني عشر مباشرة، وهذا لا شك مبني على قول الإمامية في أن الأئمة الاثني عشر هم ورثاء الدين، وأن إماميتهم بالنص، وجعل أحمد الرفاعي آتياً في المنزلة بعد الإمام الثاني عشر الذي يزعم الشيعة أنه ابن سنتين أو ثلاث أو خمس على خلاف بينهم وأنه دخل السرداب في سامراء سنة 206هـ وأنه مهدي آخر الزمان، وأنه سيخرج ليملا الدنيا عدلاً..

لا شك أن قول الرفاعية في أحمد الرفاعي اعتراف منهم بهذه العقيدة التي يعتقد أهل السنة أنها من المفتريات والمكذوبات وأن الحسن العسكري لم ينجب أحداً، وأن هذا المهدي لا وجود له.

يقول الأستاذ محمد فهد الشقفة صاحب كتاب التصوف بين الحق والخلق: "لدى تصفحي مواضيع كتاب بوارق الحقائق للرواس وجدت نقاطاً تحتاج إلى بيان شاف - إن كان لها بيان شاف -.. وقد علفت عليه بملاحظات". ثم ذكر المؤلف من هذه الملاحظات ما يلي:

"الأولى:

يذكر ناشر هذا الكتاب ومحققه في ذيل صحيفة 141-142 ناقلاً عن (روضة العرفان) لمؤلفها السيد محمود أبو الهدى خليفة الرواس قال فيها: (الأئمة الاثنا عشر) رضي الله تعالى عنهم أئمة آل بيت الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم، تشمل إمامتهم كثيراً من المعاني تختلف فيها الفرق، ثم بعد أن يذكر رأيين لفرقتين من الشيعة الاثني عشرية من هؤلاء الأئمة، يقول:

وأشرف المذاهب فيهم، مذهب أهل الحق من رجال الله العارفين فيهم يقولون: إن الأئمة الاثني عشر، هم أئمة العترة فكل واحد منهم إمام لآل في زمانه، وصاحب مرتبة الغوثية المعبر عنها بالقطوبة الكبرى، وهم:

1- سيدنا أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب) كرم الله وجهه.

2- والإمام الجليل ولده أبو محمد (الحسن).

3- والإمام الشهيد (الحسين).

4- والإمام زين العابدين (علي).

5- والإمام (محمد الباقر).

6- والإمام (جعفر الصادق).

7- والإمام (موسى الكاظم).

8- والإمام (علي الرضا).

9- والإمام محمد (الجواد).

10- والإمام (علي الهادي).

11- والإمام (الحسن العسكري).

12- والإمام (محمد المهدي) المنتظر الحجة، رضي الله عنهم جميعاً.

الثانية:

ويذكر أيضاً عن (روضة العرفان) بعد ما تقدم في ذيل الصحيفة 142 تحت عنوان (تحفة): أن بعض الأجلاء رأى الرسول عليه الصلاة والسلام في المنام وسأله عن الإمام السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه، فقال له عليه الصلاة والسلام: هو ثالث عشر أئمة الهدى من أهل بيتي.

الثالثة:

ويذكر الرواس في صحيفة 212 من هذا الكتاب (بوارق الحقائق) أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال له: تمسك بولدي (أحمد الرفاعي) تصل إلى الله فهو سيد أولياء أمتي بعد أولياء القرون الثلاثة وأعظمهم منزلة، ولا يجيء مثله إلى يوم القيامة غير سَمِيكَ (المهدي) بن العسكري" (التصوف بين الحق والخلق ص 196).

وهذه الملاحظات التي أوردها محمد فهد الشقفة نقلاً من كتاب بوارق الحقائق للرواس الرفاعي لا تحتاج إلى مزيد شرح وإيضاح أن العقيدة الرفاعية هي عين العقيدة الشيعية الإمامية حول الأئمة عموماً والإمام الغائب خصوصاً. وإن كان الصيادي قد زعم تارة أن أحمد الرفاعي يأتى في المنزلة بعد المهدي الغائب، وتارة يجعله مساوياً له..

2- إسناد الطريقة الرفاعية عن الإمام الغائب مهدي الشيعة المنتظر:

وقد جعل محمد الصيادي الرفاعي المتوفي سنة 1327هـ — 1909م والذي يسمونه مجدد الطريقة الرفاعية، والرفاعي الثاني، أحد أساتيده المزعومة في الطريقة إلى المهدي الغائب منتظر الشيعة حيث يقول:
لي أربعة أساتيد في المصافحة:

الأول: عن ابن عمي السيد إبراهيم الرفاعي المفتي وسنده في المصافحة سنده في الإجازة إلى الإمام الأكبر سلطان الأولياء مولانا السيد أحمد الكبير الرفاعي رضي الله عنه وهو صافح جده يوم مد اليد والقصة أشهر من أن تذكر.

والثاني: عن ابن عمي وشيخي السيد عبد الله الراوي الرفاعي وسنده أيضاً سند إجازته وهو يتصل بالإمام الكبير الرفاعي رضي الله عنه وعنا به وهو قد صافح جده عليه الصلاة والسلام.

والثالث: عن حجة الله الإمام المهدي ابن الإمام العسكري رضوان الله وسلامه عليهما في طيبة الطيبة تجاه المرقد الأشرف المصطفوي وقال صافحت رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا لي بخير. قال شيخنا (رضي الله عنه) ثم دعا لي الإمام المهدي رضوان الله عليه بخير.

والرابع عن الخضر عليه السلام صافحته سبعاً وثلاثين مرة آخر مرة منها في مقام الشيخ معروف الكرخي رضي الله عنه، ببغداد عصر يوم الجمعة فقال صافحت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لي صافحت كفي هذه سرادقات عرش ربي عز وجل" انتهى.

(المجموعة النادرة ص 231، 230).

وهذا اعتراف صريح لعقيدة الشيعة في الأئمة الاثني عشر، وبالإمام الغائب المزعوم. فأى صلة أكبر من هذا بين الطريقة الرفاعية والتشيع.

3- وحدة الشعار بين الرفاعية والشيعة:

وتلتقي الطريقة الرفاعية أيضاً في شعار واحد مع التشيع وهو السواد، ولبس العمامة السوداء.. يقول محمد مهدي المصباحي، الرفاعي في كتابه فذلّة الحقيقة في أحكام الطريقة: "السادة التاسعة عشرة في المائة الثالثة: لبس العمامة السوداء، ولبس العمامة البيضاء وكلاهما سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا كان زي إمامنا في طريقتنا السيد

أحمد الرفاعي رضي الله عنه وعنا به العلامة السوداء فهي خرقة
المباركة!! (الطريقة الرفاعية ص126).

فلختيار اللون الأسود ليكون الخرقة والشعار لا شك أنه توافق ظاهر
آخر مع الشيعة الذين جعلوا هذا اللون شعاراً لهم.

4- الخلوة الأسبوعية:

ومن مشاعر الطريقة الرفاعية الخاصة الخلوة الأسبوعية في كل عام،
وابتداء بخلوها في اليوم الثاني من عاشوراء يعني الحادي عشر من
محرم، وقد جعلوها شرطاً لكل من انتسب إلى هذه الطريقة، وطعناها خال
من كل ذي روح. (الطريقة الرفاعية ص115).

ولا شك أن هذا التوقيت السنوي ليس اختياره عبثاً، لأنه يأتي بعد
المشاعر الخاصة للشيعة رأساً.



5- إهداء الاختصاص بالرحمة:

يدعي الصياد وهو المؤسس الثاني للطريقة الرفاعية أنه مختص برحمة
الله، ووارث رسول الله، والمختار من الله الذي كشف له الغيب، وعرف
أسرار الرموز القرآنية، وباطن القرآن، وأنه كنز الفيوضات المحمدية،
وأنه إمام الوقت، والإمامية تظل فيه وفي أعقابها إلى يوم القيامة.. وهذه
الدعوى جميعاً هي من دعوى الشيعة في أئمتهم وهذه بعض نصوص
عباراته في ذلك:

يقول الصيادي الرفاعي:

فأهل الاختصاص جذبهم يد المشيئة الربانية، بمحض الفضل والغلبة
الصمدانية، إلى أقصى المراتب العلية، وهذا المنح الباهر، والفضل الوافر،
هو يوم حصتي، ومنصته منصتي، أقامني الله في هذه المنزلة إماماً،
واختارني لرتبة هذه الخصوصية ختاماً، وكشف لي مخبات الغيب باطلاع
من كرمه، وجليل نصه، ففهمت أسرار الرموز الفرقانية، وسبرت خفايا

دقائق البطون القرآنية ولم تبرح تترقى همتي بكشف تلك الحجب اللطيفة،
 وبشق ديباجات هاتيك المحاضر الشريفة، فلأنا اليوم ولربي الحمد والشكر
 وله الإحسان والبر، كنز الفيوضات الطاهرة المحمدية، وسجل العلوم
 المقدسة النبوية، وهذه النوبة نوبتي، تتقلب في وراث منزلتي، وخدام
 قدمي إلى ما شاء الله، بهذا بشرت من صاحب الوعد الصادق، وقرأته في
 صحف الرموزات العلوية التي طفت بفائق الحقائق، سينشر علم ظهور
 حالي بعد هذا الخفاء في الأكوان، ويبرز بروز الشمس من بطن ليل
 الطمس للعيان، وتعكف على بابي القلوب والأرواح، ويسري سر إرشادي
 في الجبال والأودية والبطاح، ولم يمسن شأن نهجي المبارك غير
 دنيوي، ولم يرجع منه حرف إلى قصد نفسي، بل كله لله، على منهاج
 رسول الله، عليه صلوات الله، لا يعاب معناه بحال من أحوال هذه الدنيا
 الدنية، ولا يلتفت قائد حاله إلى مظاهرها الزائلة المطوية، وقد تفرغ رجال
 وراثتي حال النبي في الأمة، وتقوم بأطوار السادة القادة الأئمة، ومن
 رجالي وجه مولاي علي أمير المؤمنين، صهر النبي الأمين، الأسد البطين،
 ليث العرب، ولي هذا الخط الذي سيرز، وكأني أراه على يد عبد يحبه الله
 ورسوله، ويحب الله ورسوله، من البيت الفاطمي، والفرع الأمدي، خزامي
 الفصيلة، خالدي القبيلة، يجدد المجد العلوي، ويرفع قواعد البيت الرفاعي،
 ويمهد فخار العصر الصيادي، ينبجج شارق طالعه قرب متكين، فيقوم كما
 أنا حيرة للمفتونين، وجاذبة للموفقين، وترعرع مجده في ساحة الظهور،
 فيرتقي إلى الشهباء، ثم إلى فروق، وبها تظهره لوامع بروق، وفي
 بحبوحة تلك الترقيات، وسمو هاتيك المنصات، فالمفتون قاده، والمأمون
 ماح ونور الله ساطع، وفي فضاء الوجودات لامع، وما النصر إلا من عند
 الله، يريدون أن يطفنوا نور الله بأقواهم ويأبى الله، ويقبل عليه من
 ارتضيناه وأعناه، وأسعفناه بمدد واجتذبناه، ولا يزال الأمر متبلج المظهر،
 ولذكر الله أكبر.

ولا يخفى على القارئ اللبيب كلمات هذا الصيادي أن وارثه سيجدد
المجد العلوي، وأنه من البيت الفاطمي.. فكلها عبارات تنبئ عن المقصد
والمعتقد.

ولعلنا لا نستغرب بعد ذلك ممن ترجم لهذا الصيادي الرفاعي بعد موته
فقال عنه: "قام السيد أبو الهدى رحمه الله مدة حياته الكريمة بأعمال جليلة
نافعة ومآثر حميدة طيبة تبقى شافعة له عند ربه يوم اللقاء، وأعماله
كانت منصبة على تعمير الأضرحة لآل البيت الكرام"
(المجموعة النادرة صفحة: 37، 38).



مركز بحوث المخطوطات الإسلامية

الطريقة السنوسية

السنوسية دعوة إسلامية مشوبة بالصوفية، ظهرت في ليبيا، وعمت مراكزها الدينية شمالي أفريقيا والسودان والصومال، وبعض البلاد الإسلامية.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

تأسست الدعوة السنوسية في ليبيا في القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)، بعد شعور مؤسسها بضعف المسلمين وتأخرهم دينياً وسياسياً واجتماعياً، فأنشأ حركته التجديدية.

ومن أبرز شخصيتها:



الشيخ محمد بن علي السنوسي:

عاش ما بين 1202هـ — 1276هـ (1787 – 1859م) وهو

المؤسس للدعوة السنوسية، وتنسب السنوسية لجده الرابع.

وُلد في مستغانم في الجزائر، ونشأ في بيت علم وتقى. وعندما بلغ سن الرشد تابع دراسته في جامعة مسجد القرويين بالمغرب، ثم أخذ يجول في البلاد العربية يزداد علماً فزار تونس وليبيا ومصر والحجاز واليمن ثم رجع إلى مكة وأسس فيها أول زاوية لما عُرف فيما بعد بالحركة السنوسية.

وله نحو أربعين كتاباً ورسالة منها: الدرر السنية في أخبار السلالة الإبريسية وإيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن.

الشيخ المهدي محمد بن علي السنوسي:

عاش ما بين 1261 – 1319هـ (1844 – 1902م) خلف والده في

قيادة الدعوة السنوسية وعمره اثنا عشر عاماً.

الشيخ أحمد الشريف السنوسي ابن عم المهدي:

عاش ما بين 1290هـ - (1873م) تلقى تعليمه على يد عمه شخصياً، وعاصر هجمة الاستعمار الأوروبي على شمال إفريقيا وهجوم إيطاليا على ليبيا فاستنجد في عام 1917م بالحكومة العثمانية، فلم تنجده خوفاً من علو مركزها الديني. وقد وقف مع (مصطفى كمال أتاتورك) ظناً منه أنه حامي الدين - كما كان يطلق عليه - ولصد الهجمة الغربية على تركيا.. ولما تبين له مقاصده الحقيقية المعادية للإسلام غادر الشيخ أحمد تركيا إلى دمشق عام 1923م، وعندما شعرت فرنسا بخطرته على حكومة الانتداب طلبته فهرب بسيارة عبر الصحراء إلى الجزيرة العربية.

الشيخ عمر المختار:

عاش ما بين 1275 - 1350هـ - (1856 - 1931م) وهو البطل المجاهد، أسد القيروان، الذي لم تحل السنوات السبعون من عمره بينه وبين الجهاد ضد الإيطاليين المستعمرين لل ليبيا، حيث بقي عشر سنوات يقتل قوى الاستعمار أكبر منه بعشرات المرات، ومجهزة بأضخم الأسلحة في ذلك العصر، إلى أن تمكن منه الاستعمار الإيطالي الغاشم، ونفذ فيه حكم الإعدام وذلك في يوم الأربعاء السادس عشر من أيلول (سبتمبر) 1931م ويرجى أن يكون شهيداً في سبيل الله.

الأفكار والمعتقدات:

السنوسية حركة تجديدية إسلامية:

تأثر السنوسي بالإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية وأبي حامد الغزالي ومحمد بن عبد الوهاب وبحركته السلفية في مجال العقيدة بوجه خاص. وتأثر السنوسي أيضاً بالتصوف الخالي من الشريكيات والخرافات، كالتوسل بالأموات والصالحين، ووضع منهجاً للارتقاء بالمسلم.

تتشدد السنوسية في أمور العبادة، وتتحلى بالزهد في المأكل والملبس. وقد أوجب السنوسيون على أنفسهم الامتناع عن شرب الشاي والقهوة والتدخين.

تدعو السنوسية إلى الاجتهاد ومحاربة التقليد. وعلى الرغم من أن السنوسي ملكي المذهب، إلا أنه يخالفه إن جاء الحق مع غيره. الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والابتعاد عن أسلوب العنف واستعمال القوة.

الاهتمام بالعمل اليدوي لجاد من تعليم السنوسية. وكان السنوسي يقول دائماً: "إن الأشياء الثمينة توجد في غرس شجرة وفي أوراقها" لذلك ازدهرت الزراعة والتجارة في الواحات الليبية حيث مراكز الدعوة السنوسية.

"الجهاد الدائم في سبيل الله ضد المستعمرين الصليبيين وغيرهم"، هذا هو الشعار الدائم للسنوسية. وقد دفع ثمن ذلك آلاف في جهادهم ضد الاستعمار الإيطالي يرجى ألا يحرموا أجر الشهادة في سبيل الله.

الجنور الفكرية والعقائدية:

إن تربية السنوسي الإسلامية وقوة إخلاصه وحماسه للإسلام فضلاً عن نكاته وصلابته، كل ذلك كان من الدوافع الأساسية للحركة السنوسية بشكل عام. أما المؤثرات والجنور الفكرية والسلوكية التي أثرت في دعوته فنجملها فيما يلي:

تأثره الشديد بتعاليم الإمام أحمد بن حنبل وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب وخاصة أفكارهم السلفية في مجال العقيدة، وقد اكتسب هذا التأثير أثناء زيارته للحجاز لأداء فريضة الحج عام 1254هـ (1837م) التي كانت نقطة البداية للحركة السنوسية. وأخذ السنوسي من الصوفية أساليب البيعة ودرجات التزكية الروحية مثل درجة المنتسب ثم درجة الإخوان ثم درجة الخواص.

الانتشار ومواقع النفوذ:

تعد واحة (جغبوب) في الصحراء الليبية بين مصر وطرابلس مركز الدعوة السنوسية، ففي هذه القرية كان يتعلم كل عام مئات من الدعاة، ثم يرسلون إلى كافة أجزاء أفريقيا الشمالية، دعاة للإسلام.

وقد بلغت زوايا السنوسية الفرعية 121 زاوية تتلقى من زوايتهم الرئيسية التعليمات والأوامر في كل المسائل المتعلقة بتدبير وتوسيع أمر الدعوة السنوسية التي أصبحت تضم المسلمين من جميع الأجناس.

وانتشرت الدعوة السنوسية في أفريقيا الشمالية كلها، وقد امتدت زواياها من مصر إلى مراكش. ووصلت جنوباً إلى الصحراء في السودان والصومال وغرباً إلى الجزائر وكذلك انتشرت الدعوة السنوسية في خارج أفريقيا حيث وصلت إلى أرخبيل الملايو في الشرق الأقصى.

وقد استطاعت السنوسية أن تنشر الإسلام في القبائل الوثنية الإفريقية وتؤسس المدارس التعليمية والزوايا. ولم يقتصر التعليم على الذكور بل امتد التعليم إلى النساء والأطفال من الجنسين، واستعانت الدعوة بالنساء لنشر الإسلام بين نساء القبائل الوثنية.

ويتضح مما سبق:

أن السنوسية حركة دعوة إسلامية إصلاحية تجديدية تعتمد في معظم أمورها على الكتاب والسنة مع تأثرها بالتصوف، وقد ظهرت في ليبيا في القرن الثالث عشر الهجري، ومنها انتشرت إلى شمال أفريقيا والسودان والصومال وبعض البلاد العربية. وقد تأثرت هذه الحركة الدعوة بالإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية وأبي حامد الغزالي والشيخ محمد بن عبد الوهاب وحركته السلفية في مجال العقيدة. كما تأثرت هذه الحركة بالتصوف الخالي من الشريكيات والخرافات كالتوسل بالأموات والصالحين ولها منهج متكامل للارتقاء بالمسلم. ومؤسس هذه الحركة هو محمد بن

علي السنوسي 1202 – 1276هـ الذي تأثر بالمذهب الملكي إلا أنه يخالفه إن جاء الحق مع غيره. وتعتمد الحركة في الدعوة إلى الله على أسس الحكمة والموعظة الحسنة والابتعاد عن العنف. وهي تهتم بالعمل الديني الجاد والجهاد الدائم في سبيل الله ضد المستعمرين والصليبيين وغيرهم.



الطريقة الشاذلية

طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي، يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، وإن كانت تختلف عنها في سلوك المريـد وطريقة تربيته بالإضافة إلى اشتغالهم بالذكر المفرد "الله" أو مضمراً "هو".

التأسيس وأبرز الشخصيات:

أبو الحسن الشاذلي:

اختلف في نسبه، فمريـدوه، وأتباعه ينسبونه إلى الأشراف ويصلون بنسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - كعادة أهل كل طريقة صوفية، وبعضهم ينسبه إلى الحسين، وبعضهم إلى غيره. ذكره الإمام الذهبي في العبر فقال:

"الشاذلي: أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار المغربي، الزاهد، شيخ الطائفة الشاذلية، سكن الإسكندرية وله عبارات في التصوف توهم ويتكلف له في الاعتذار عنها، وعنه أخذ أبو العباس المرسي، وتوفي الشاذلي بصحراء عذاب متوجهاً إلى بيت الله الحرام في أوائل ذي القعدة 656هـ: (عذاب على طريق الصعيد بمصر).

تتلمذ أبو الحسن الشاذلي في صغره على أبي محمد عبد السلام بن بشيش، في المغرب، وكان له أكبر الأثر في حياته العلمية والصوفية. ثم رحل إلى تونس، وإلى جبل زغوان، حيث اعتكف للعبادة، وهناك لرتقى منازل عالية، كما تزعم الصوفية.

رحل بعد ذلك إلى مصر وأقام بالإسكندرية، حيث تزوج وأنجب أولاده شهاب الدين أحمد وأبو الحسن علي، وأبو عبد الله محمد وابنته زينب،

وفي الإسكندرية أصبح له أتباع ومريدون، وانتشرت طريقته في مصر بعد ذلك، وانتشر صيته على أنه من أقطاب الصوفية.

تروي كتب الصوفية كثيراً من كراماته وأقواله البعيدة عن التصديق، التي تتطوي على مخالفة صريحة لعقيدة الإسلام وللكتاب والسنة، اللذين هما أساس دعوته كما يقول عن نفسه، ومن هذه الكرامات والأقوال:

ينقل الدكتور عبد الحليم محمود نقلاً عن درة الأسرار:

"لما قدم المدينة زادها الله تشريفاً وتعظيماً، وقف على باب الحرم من أول النهار إلى نصفه، عريان الرأس، حافي القدمين، يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسنل عن ذلك فقال: حتى يؤذن لي، فإن الله عز وجل يقول:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ {الأحزاب 53}

فسمع النداء من داخل الروضة الشريفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام: يا علي، ادخل". وهذا مخالف للعقيدة. ويقول عن نفسه:

"لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما يكون في غد وبعد غد إلى يوم القيامة" وهذا ادعاء لعظم الغيب وشرك بالله تعالى.

للشافلي أوراد تسمى حزب الشافلي ورسالة الأمين في آداب التصوف رتبها على أبواب، وله السر الجليل في خواص حسبنا الله ونعم الوكيل وللإمام تقي الدين ابن تيمية رد على حزبه.

أبو العباس المرسي:

أحمد بن عمر المرسي أبو العباس شهاب الدين، من أهل الإسكندرية، لا يُعرف تاريخ ولادته وأهله من مريديه بالإكسلس، توفي سنة 686هـ — 1287م.

بعد خليفة أبي الحسن الشاذلي وصار قطباً بعد موته، حسب ما يقول الصوفية، وله مقام كبير ومسجد باسمه في مدينة الإسكندرية. قال عن نفسه: "والله لو حُجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه عين ما عدت نفسي من المسلمين". وكان يدعي صحبة الخضر واللقاء معه. وكان له تأويل باطني مثل ما كان لشيخه أبي الحسن، ومثال ذلك ما ذكره تلميذه ابن عطاء الله الإسكندري: سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول في قوله تعالى:

{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا} البقرة 106
أي: ما نذهب من ولي الله إلا ونأتي بخير منه أو مثله. وهذا إلحاد بين في آيات الله تعالى.

ثم خلف على مشيخة الشاذلية بعد أبي العباس المرسى باقوت العرش، وكان حبشياً، وسمي بالعرش لأن قلبه لم يزل تحت العرش كما تقول الصوفية، وما على الأرض إلا جسده. وقيل: لأنه كان يسمع أذان حملة العرش. هذا ما جاء في طبقات الشعراني، وهو من خرافات الصوفية التي لا تقف عند حد.

الأفكار والمعتقدات:

تتشترك كل الطرق الصوفية في أفكار ومعتقدات واحدة، وإن كانت تختلف في أسلوب سلوك المريد أو السالك وطرق تربيته، ونستطيع أن نجمل أفكار الطريقة الشاذلية في نقاط محددة، مع العلم أن هذه النقاط كما سنرى قد تفسر لدى الصوفية غير التفسير المعهود لدى عامة العلماء والفقهاء، وهذه النقاط هي:

التوبة: وهي نقطة انطلاق المريد أو السالك إلى الله تعالى.

الإخلاص: وينقسم لديها إلى قسمين:

1 - إخلاص الصادقين.

2 - إخلاص الصديقين.

النية: وتعد أساس الأعمال والأخلاق والعبادات.

الخلوة: أي اعتزال الناس، فهذا من أسس التربية الصوفية. وفي الطريقة الشاذلية يدخل المريد الخلوة لمدة ثلاثة أيام قبل سلوك الطريق.

الذكر: والأصل فيه ذكر الله تعالى، ثم الأوراد، وقراءة الأحزاب المختلفة في الليل والنهار. والذكر المشهور لدى الشاذلية هو ذكر الاسم المقدس لله أو مضمراً (هو هو). وهذا الذكر بهذه المثابة بدعة، وقد مر بنا أن الشرع لم يستحب من الذكر إلا ما كان تاماً مفيداً مثل: لا إله إلا الله، والله أكبر.

الزهد: وللزهد تعريف متعددة عند الصوفية منها:

1 - فراغ القلب مما سوى الله، وهذا هو زهد العارفين.

2 - وهو أيضاً - عندهم - الزهد في الحلال وترك الحرام.

النفس: ركزت الشاذلية على أحوال للنفس هي:

1 - النفس مركز الطاعات إن زكّت واتقت.

2 - النفس مركز الشهوات في المخالفات.

3 - النفس مركز الميل إلى الراحة.

4 - النفس مركز العجز في أداء الواجبات.

لذلك يجب تركيتها حتى تكون مركز الطاعات فقط.

الورع: وهو العمل لله وبالله على البينة الواضحة والبصيرة الكامنة.

التوكل: وهو صرف القلب عن كل شيء إلا الله.

الرضى: وهو رضى الله عن العبد.

المحبة: وهي في تعريفهم: سفر القلب في طلب المحبوب، ولهج
اللسان بذكره على الدوام.

والحب درجات لدى الشاذلية وأعلى درجاته ما وصفته رابعة العدوية
بقولها:

أحبك حيين: حب الهوى وحباً لأئك أهل لذاك

الذوق: ويعرفونه بأنه تلقي الأرواح للأسرار الطاهرة في الكرامات
وخوارق العادات، ويعتونه طريق الإيمان بالله والقرب منه والعبودية له.
لذلك يفضل الصوفية العلوم التي تأتي عن طريق الذوق على العلوم
الشرعية من الفقه والأصول وغير ذلك، إذ يقولون:

علم الأنواق لا علم الأوراق، ويقولون:
إن علم الأحوال يتم عن طريق الذوق، ويتفرع منه علوم الوجد والعشق
والشوق.

علم اليقين: وهو معرفة الله تعالى معرفة يقينية، ولا يحصل هذا إلا
عن طريق الذوق، أو العلم اللدني أو الكشف.. إلخ.
ومع ذلك فإن الشاذلي يقول بأن التمسك بالكتاب والسنة هو أساس
طريقته، فمن أقواله:

"إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف،
وقل لنفسك إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم
يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة".
ويقول أيضاً:

"كل علم يسبق إليك فيه خاطر، وتعمل إليه النفس وتلذّ به الطبيعة فارم
به، وإن كان حقاً، وخذ بعلم الله الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه
وسلم وافق به وبالخلفاء والصحابة والتابعين من بعده".

وكذلك فإن الصوفية عامة يرون - ومنهم الشاذلية - أن علم الكتاب والسنة لا يؤخذان إلا عن طريق شيخ أو مربٍّ أو مرشد، ولا يتحقق للمريد العلم الصحيح حتى يطيع شيخه طاعة عمياء في صورة: "المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي مُفْصَلِه" لذلك يُنظر إلى الشيخ نظرة تقديسية ترفعه عن مرتبته الإنسانية.

السمع: وهو سماع الأنشيد والأشعار الغزلية الصوفية. وقد نقل عن أحد أعلام التصوف قوله:

"الصوفي هو الذي سمع السماع وآثره على الأسباب".

ونقل عن الشعراني عن الحارث المحاسبي قوله:

"مما يتمتع به الفقراء سماع الصوت الحسن"، و"إنه من أسرار الله تعالى في الوجود".

وقد أفرد كتاب التصوف للسمع أبواباً منفصلة في مؤلفاتهم، لما له من أهمية خاصة عندهم.  مركز تحقيقات فكرية إسلامية

في السماع الأشعار التي تصل إلى درجة الكفر والشرك، كرفع اسم الله عليه وسلم إلى مرتبة عالية ثم يقل بها أحد من الصوفية، ولا شيء موجود في كتاب ولا سنة، فضلاً عن الإكثار من التلوة لا المناجاة كما يقول البعض:

يا شفاء القلوب الصلاة عليك

والصلاة في كتابه كثيرة بجدها القارئ في كتب التصوف مبتدعة عن الإسلام عن طريق الفلسفات اليونانية والهندية.

الدور الفكرية والعقائدية:

كانت المذاهب الصوفية كلها عبارة عن مدارس تربوية تدعو إلى تركية النفس وإلى الزهد في الدنيا والعمل الصالح، إلا أن هذه المدارس دخلتها

الفلسفة اليونانية والفلسفة الهندية، وحتى النصرانية واليهودية وغيرها من الفلسفات، وذلك أثناء حركة الترجمة في القرن الرابع الهجري، فتأثرت الصوفية بها، وبدأ الانحراف في هذه المدارس عن الطريق الإسلامي السوي.

فقد أخذت الصوفية من الفلسفة الهندية مراحل ترقى الإنسان إلى الفناء أو الزفأ، وذلك بتطهير نفسه بالجوع والزهد وترك الدنيا حتى يصل إلى السعادة الحقيقية.

وأخذت الصوفية الرهبانية من النصرانية المنحرفة، وهو الانقطاع عن الناس والعزلة عن الخلق والزهد.

ومن الفلسفة اليونانية نظرية الفيض الإلهي، والاتحاد والحلول عند بعض الصوفية.

ولو تتبع المدقق في المذاهب الصوفية لوجد العجب من المصطلحات والمعلومات البعيدة كل البعد عن تعاليم الشريعة الإسلامية الواضحة البينة.

أماكن الانتشار:

مركز الشاذلية الأول هو مصر وبخاصة مدينة الإسكندرية، وطنطا. ودسوق بمحافظة كفر الشيخ، ثم انتشرت في باقي البلاد العربية. وأهم مناطق نشاطها سوريا والمغرب العربي، ولها وجود إلى الآن في ليبيا، وفي السودان في الوقت الحاضر.

يتضح مما سبق:

أن الشاذلية طريقة صوفية تنتسب إلى أبي الحسن الشاذلي، وهو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف أبو الحسن الهذلي الشاذلي نسبة إلى شاذلة في المغرب بشمال أفريقيا. وتشترك هذه الطريقة مع غيرهما من الطرق الصوفية في كثير من الأفكار والمعتقدات، ولأن الشاذلية من الفلسفات السوي.

أسلوب سلوك المرید أو سالك وطرق تربیته. ومجمل أفكار هذه الطريقة: التوبة، والإخلاص، النية، الخلوة، الذكر، الزهد، النفس، الورع، التوكل، الرضى، المحبة، الذوق، علم اليقين، السماع. ولهذه الألفاظ معانٍ تختلف بدرجات متفاوتة عن المعانی الشرعية.

أما علم القرآن والسنة فلا يؤخذان عند الشاذلي إلا عن طريق شيخ أو مربٍّ أو مرشد، وهو ما يستوجب على السالك الطاعة العمياء لهم. ويؤخذ على الشاذلية ما يؤخذ على الطرق الصوفية من مأخذ انحرفت بسالكیها عن الطريق الإسلامی السوي.



الطريقة الفاسية

امتدت الصوفية بمدارسها ومناهجها القديمة إلى هذا العصر، وازدادت تشعباً وافتراقاً عما كانت عليه في السابق، وصارت الطريقة الواحدة تنقسم إلى عدة طرق، كل واحدة تحوي من البدع والمحدثات الاعتقادية والعملية الشيء الكثير، والفرق التي أحدثت في الطرق الصوفية المحدثثة كثيرة، لا سيما المتولدة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، ولسنا بصدد تعدادها أو ذكرها، ولكن يكفي في هذا الموجز أن نشير إلى طريقة واحدة من الطرق المولدة في هذا العصر، وفيها إشارة إلى الطرق الأخرى وما فيها من محدثات ومخالفات شرعية.

وهذه الطريقة هي "الطريقة الفاسية" تنسب إلى أسرة الفاسي نسبة إلى فاس بالمغرب، وتنسب إلى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.. واستوطنت هذه الأسرة مكة، وكان أفرادها يتبعون الطريقة الشاذلية وينتسبون إليه، حتى أوجد أحدهم الطريقة الفاسية المنتسبة كذلك إلى الشاذلية، فيسمون أنفسهم بالشاذلية الفاسية.

وآخر إمام لهذه الطريقة هو شمس الدين الفاسي الذي يسمونه في كتبهم الإمام الدكتور الشيخ محمد عبد الله شمس الدين محمد المكي الفاسي الشاذلي، وقد تولى إمامتهم سنة 1388هـ - كما في كتابه المسمى بالأسرار ما لفظه (بفضله سبحانه وتعالى تم تتويج سيدنا الشيخ شمس الدين محمد عبد الله شمس الدين محمد المكي الفاسي الشاذلي على عرش الطريقة الشاذلية الفاسية في يوم السابع عشر من شهر ربيع الأول عام 1388 من الهجرة النبوية).

وهاهنا نورد بعض البدع التي يسعى المبتدع في نشرها، ثم نذكر بعض المناشط التي يقوم بها:

فأما البدع فهي كثيرة وأولها: اتخاذ الطريقة الصوفية الشاذلية الفاسية مسلكاً للعبادة، ووسيلة للقرب من الله سبحانه وتعالى، وليس هناك إلا طريقة محمد صلى الله عليه وسلم وطريقة السلف الصالح، فمن حاد عنها فهو في ضلال.

ومنها أنه ملأ كتابه المسمى بالأسرار بالأدعية والأذكار المبتدعة والشركية، حيث جعل هذا الكتاب في أحزاب وأوراد وأدعية وأذكار السادة الشاذلية الفاسية مع ذكر آل البيت والأربعة الأقطاب.

ثم ألحق به رسالة سماها "الأور القديسة في مولد المصطفى خير البرية لطريقة السادة الشاذلية الفاسية"

وهذه هي بعض الألفاظ الواردة في كتاب الأسرار:

يقول تحت عنوان حزب الطمس:

(أقسمت عليك بحاء الرحمة، ميم الملك، ودال الدوام. إنك أنت الله العلي العظيم، هاء سين ميم زين قاف لام، يس والقرآن الحكيم، نون والقلم وما يسطرون).

ويقول في حزب الدائرة للشاذلي، وهو سيف الشاذليين كما يسميه: (حكمت على أنفس أعدائي الطاء "ظهور" سبعا، لا إله إلا الله "باء" سلام قولاً من رب رحيم، قلقلت عقولهم "بدع" سبعا "سبحان الله" سبعا... "حاء" فتحت بها باب الاستمطار من الفتح العظيم "محببة" سبعا "يا سلام" سبعا، سلّيت بالسّين عن نفسي وأهل ومالي وولدي من جميع المضار "صورة" سبعا... أسألك بالسّناء الأعظم أن تعطيني مفتاح قلبي "سقاطيس" سبعا).

ويقول في الحزب المخفي:

(ولا قوة إلا بالله العلي العظيم "ياه ياه"، "أهيل أهيل" "أهياش أهياش").

ويقول تحت عنوان الوظيفة الشاذلية الفاسية:

(واتشلتني من أوحال التوحيد إلى فضاء التغريد المنزه عن الإطلاق والتقييد، وأغرقني في عين بحر الوحدة شهوداً حتى لا أرى ولا أسمع ولا أحس إلا بها، نزولاً وصعوداً كما هو كذلك لن يزال وجوداً).
ويقول تحت عنوان الياقوتية بعد أن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(فهو الكنز المطلسم، والبحر الزاخر المظمم، فنسألك اللهم بجاهه لديك، وبكرامته عليك أن تعصر قلوبنا بأفعاله، وأسماعنا بأقواله -إلى أن قال- حتى نشهدك به وهو بك، فأكون نائباً عن الحضرتين بالحضرتين وأدل بهما عليهما).
وقول الآخر:

سر الإجابة عند قبر الشاذلي غوث اللهيف ونجدة المتوكل
فسل النبي محمداً وحبيبته قطب الولاية في المقام الأول

مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية

والكتاب مليء بهذا النوع من الألفاظ المبهمة والدعوات البدعية والأفكار الشركية.

ومن بدع هذا الفاسي ما نشره في مجلته الصوفية المتجددة من برقيات تهنئة متبادلة بينه وبين "مارغريت تلتشر" بمناسبة انتخابها لرئاسة وزراء بريطانيا قال فيها:

(يسعدني أن أقدم لك التهنئة لنجاحك في الانتخابات العامة - إلى أن قال- وننتهز هذه الفرصة لنعبر عن تأييدنا لسياساتك الهادفة لتحقيق السلام، والتعاون بين القوى الدولية.. وإني أقدر منك إخلاصك وتكريسك بعض وقتك خلال الحملة الانتخابية للمساهمة في بحث قضايا الشرق الأوسط..).

والتهنئة لأي أحد من الكفار بمناسبة من عيد من أعيادهم، أو انتصار من انتصاراتهم أو غير ذلك محرم في الشريعة، وهو نوع من الولاء للكفار، فإذا اعتقد فاعله جواز ذلك في الشرع أو استحبابه فقد جمع بين موالاة الكفار والابتداع في دين الله.

وأعماله وأقواله المبتدعة كثيرة جداً، وقد سخر أمواله الطائلة وثرواته الهائلة في جذب كثير من سذج المسلمين وفقرائهم في بلدان العالم الإسلامي، وهذه بعض مناشطه:

1- تأليف الكتب التي تشيد بالطريقة الشاذلية الفاسية، وتشيد بشخصه، ومنها:

أ- كتاب الأسرار وقد سبق ذكره.

ب- كتاب بعنوان "سماحة الإمام الدكتور الشيخ شمس الدين الفاسي قطب الصوفية في القرن العشرين" وهو في طبعة أنيقة، ملئ بصوره، وهو كتاب دعائي ألف من أجل تلميع شخص هذا الرجل.

ج- كتاب "الشاذلية الفاسية الصوفية المتجددة" بقلم شمس الدين الفاسي، وهذه عناوين أبوابه:

الباب الأول: نظرات صوفية.

الباب الثاني: مفاهيم صوفية. وفيه رمضان وصوفية المعاني، والخلافة عند ابن عربي.

د- كتاب "المسلمون في أوربا الصوفية توحد صفوفهم".

هـ- رسالة بعنوان "قصائد صوفية" مطبوعة على ورق ذهبي صقيل...

1- إنشاء المجلات والنشرات المقروءة والمرئية التي تنشر البدعة وتدعو إليها، وتزينها للناس، ومن ذلك:

أ- مجلته المسماه "الصوفية المتجددة" مكتوب على غلافها "إصدار المجلس الصوفي العالمي. شهرية دينية سياسية فكرية اجتماعية، تصدر في لندن، منبر كل مؤمن قوي عزيز، وهي تقبل كل الآراء ولا تلتزم بها".

ب- نشرته المسماة "مسيرة الإسلام والسلام" في 1987م وكتب في غلافها الداخلي: سماحة الإمام الدكتور شمس الدين الفاسي يوم 120 ألف مسلم في أطول مسيرة إسلامية عرفتها لندن، احتفال المجلس الصوفي العالمي بذكرى مولد الرسول الكريم...

المسيرة استمرت أكثر من خمس ساعات ولا تزال صداؤها حديث محافل الدنيا. وفي داخل النشرة مجموعة من المسلمين الهنود الذين تجمعوا حوله.

ج- إصدار أشرطة مرئية (فيديو) فيها وقائع الاحتفال المذكور سابقاً، ومن رآه علم أن دعواه في أنه أم ما يزيد عن مائة ألف مسلم دعوى كاذبة، فلا يتجاوز عدد الذين معه في أكثر التقديرات ثلاثة آلاف رجل، جزء كبير منهم من الشرطة الإنجليزية، وأهل الاستماع المعروفين في حدائق "هايدبارك" اللندنية حيث أقيم احتفاله بالمولد.

1- إنشاء الزوايا الشاذلية في البلدان، في الهند وباكستان وسيرلانكا وبنغلادش.

2- إنشاء المجلس الصوفي العالمي لتوحيد كلمة الصوفية - على حد تعبيره - ومقر هذا المجلس في لندن، وقد بدأ بتكوين هذا المجلس في الطرق الصوفية المختلفة عام 1401هـ في سيرلانكا حين انضم تحت رئاسته - كما في كتاب شمس الدين قطب الصوفية - ثمانية وعشرون طريقة، وثمان عشرة هيئة إسلامية صوفية. وانضم تحت رئاسته اثنتان وثلاثون طريقة صوفية من الهند.

وانضمت سائر الطرق الصوفية في ماليزيا إليه، ثم تواترت البيعات له من جميع أنحاء العالم.

ومن أهداف هذا المجلس العالمي كما أعلن في هذا الكتاب تكوين قوة صوفية واحدة لنشر هذه العقيدة كما قال:

(أما عن الأنشطة التي يمارسها المجلس الصوفي العالمي فإن من أبرزها على الإطلاق هي الدعوة إلى وحدة الحركة الصوفية العالمية، وهذا هو الهدف الأصيل والثابت من إنشاء المجلس الصوفي العالمي... والدعوة إلى وحدة الحركة الصوفية العالمية هي في جوهرها دعوة إلى نبذ الكسل والخمول والركود والعزلة والتنطع، وإنها دعوة إلى العمل والإنتاج).

ولكل هذه الطرق اجتماع سنوي واحد تحت رئاسة شمس الدين الفاسي، يتوافد رؤساؤها إليه من كل الأقطار، ويتدارس مع نوابه وخلفائه في كل البلاد أحوال الصوفية ونشاطاتها، ويتخذون ما يلزم من قرارات.

1- إنشاء المدارس التي تقوم بنشر العقيدة الفاسية، ومن هذه المدارس مدارس برادفورد في بريطانيا وأخرى في سيريلانكا والهند والسنگال.

2- طرح مسابقات باسم المجلس الصوفي العالمي وإعطاء الفائزين مصاريف السفر إلى الحج مع إضافة مصروف نقدي قدره ثلاثمائة جنيه.

هذه بعض مناشط هذه الفرقة وبعض بدعها، وفي الكتب المنشورة والمجلات التي يصدرونها ما يؤكد لكل مسلم أن الصوفية من أشد الفرق عداوة للسنة وأكثرها محبة للبدعة، وفيما ذكرته عن الطريقة الفاسية الشاذلية دلالة على بقية الطرق المنتشرة في العالم الإسلامي، ومن تأمل مسالك هذه الطرق الاعتقادية والعملية ازداد يقيناً بأن طريق السلف أقوم وأعلم وأسلم وأحكم وازداد يقيناً بقوله صلى الله عليه وسلم: (كل بدعة ضلالة).

الملامتية

مرجع قديم من مراجع الصوفية، وهو كتاب أبي عبد الرحمن السلمي، من كبار الصوفية المعروفين، مؤلف التفسير الإشاري وحقائق التنزيل، كتب كتاباً عن الملامية، أو الملامتية:

وهم فرقة الصوفية في المشرق، وهم من أوائل الزنادقة الذين أسسوا هذه الفكرة، وهي فكرة أن الأولياء مخالفون لظواهر الشرع، ومخالفون لأحوال الناس.

ويقول عن هؤلاء الملامية أو الملامتية، في صفحة [98] من كتابه الملامتية، الذي حققه أبو العلا عفيفي، طبع في مصر سنة (1364هـ)، يقول: إنهم رأوا التدبُّن بشيء من العبادات في لظواهر شريكاً والتزُّين بشيء من الأحوال في الباطن ارتداداً يقولون: (إن من يظهر شيئاً من الطاعات، أو من العبادات فهذا مشرك، وإذا أسرَّ في قلبه شيئاً من الأحوال فهو أيضاً مرتد).

ويقولون:

(إن كلَّ عملٍ وطاعةٍ وقعت عليه رؤيتك، واستحسنته من نفسك فذلك باطل).

وينقل عن أحدهم، فيقول:

هم قوم قاموا مع الله تعالى على حفظ أوقالتهم، ومراعاة أسرارهم، فلاموا أنفسهم على جميع ما أظهروا من أنواع القرب، والعبادات، وأظهروا للخلق قبائح ما هم فيه، وكنموا عنهم محاسنهم، فلامهم الخلق على ظواهرهم، ولاموا هم أنفسهم على ما يعرفون من بواطنهم، فأكرمهم الله بكشف الأسرار والإطلاع على أنواع الغيوب، وتصحيح الفراسة في الخلق، وإظهار الكرامات عليهم!! .

أي: أن هؤلاء القوم لما أظهروا القبائح - بزعمهم - ازدراءً لأنفسهم، وحتى لا يتعلق بهم الناس، وحتى لا يظنوا فيهم أنهم أولياء، وهم يريدون أن يكونوا أولياء في الباطن فقط، ولا أحد يعلم بهم، وينزّهوا عن أنفسهم الرياء، وعن كلام الناس: أظهروا القبائح، وأظهروا المعائب، وأظهروا الشنائع حتى أن منهم من كان يأتي الفاحشة في الدواب علانية أمام الناس، ومنهم من دخل الحمام فسرق لباس أحد الناس، ولبسه بحيث يرى، وخرج في الشارع، وكان الناس يعتقدون فيه الولاية، فلما رأوه أدركوه، وضربوه، وأخذوا الملابس، فقبل له في ذلك، فقال لهم: حتى أسقط من أعينهم، وأبقى في عين الحق!! إلى آخر ما ينسجونه حولهم من الحكايات التي يصنعونها - كما يقولون - في تزكية النفس، وتطهيرها.

وهذا الكلام من المعلوم أنه مخالف لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح:

((من سرته حسنته، وسأئته سيئته، فهو المؤمن)).

فالمؤمن لا يحب ذلك، ولم يؤمر أن يظهر السيئات والقبائح، لكن القضية أكبر من قضية مخالفة هذا الحديث، القضية: أنها مخالفة للإسلام، وهدم له، وإيضاح ذلك بشيء من التفصيل أن نقول:

إن الذين أنشؤوا هذا الدين، وركبوه، ونقلوه إلى المسلمين، ولبسوا به عليهم، هؤلاء واجهتهم الأمة بالإنكار، والرد والتكذيب حتى العوام من المسلمين، ودمغهم بالكفر والزندقة، وقل أن تجد أحداً من كبار الصوفية إلا واتهم بالزندقة، إما أن يكون قتل بتهمة الزندقة، أو اتهم بها، أو سجن كما سجن نو النون، وقتل الحلاج، وغيرهم من هذا النوع.

واستدل العلماء، والمسلمون بظاهر حالهم هذا المخالف للشرع على خبث الباطن، وعلى خبث الطوية؛ لأنه ليس يوسع المسلم أن يرى رجلاً يمشى مكشوف العورة، أو رجلاً يرتكب الفاحشة في البهائم علانية، ويترك

الجمع، والجماعات، ويُقر على ذلك؛ فضلاً عن أن يعتقد أن هذا من رجل الغيب، أو من أولياء الله، لا يمكن هذا أبداً.

فهؤلاء أرادوا أن يخترعوا نقاة، أو نقية، أو خديعة شيطانية، لكي يوقعوا بها الناس، ويلبسوا بها على المسلمين، فقللوا لهم: هؤلاء القوم أولياء، فوصلت بهم مجاهدة النفس إلى حد استعذاب الأذى في ذات الله تعالى، وإلى استجلاب تهمة الناس لهم، هم يذعنون الناس إلى أن يتهموهم، ويلوموهم، ويتكلموا فيهم، ويكرهوهم، ويحتقروهم، هم يريدون بذلك أن ينفقوا أنفسهم، بمحبتهم لله، وأن يتجردوا عن الرياء، وعن الشهرة، وأن يسقطوا من عين الخلق، ويبقوا في عين الحق - كما يقولون - فهم متعمدون في هذا، ويحبون أن يقول الناس: إنهم زنادقة! مخالفون! ويستمرون على إظهار هذه الأحوال على حد قول الشاعر كما يقولون:

أجد الملاحة في هيوالك لفيذة

حباً للذكرك فليمني اللؤم

لكن في الحقيقة أن المسخور منهم، والمستهزأ بهم هم هؤلاء أصحاب الظاهر المغفلون الذين ينتقدون مثل هؤلاء الأولياء، أو يلمزونهم، أو يتكلمون فيهم بدعوى أنهم مخالفون لظاهر الشرع، وهؤلاء شهدوا الحقيقة الكونية، وأدركوا سرَّ القدر، واشتغلوا بإصلاح القلب عن إصلاح الظاهر، واشتغلوا بمحبة الحق عن سماع إنكار الخلق، ويقولون من جملة ما يقولون ويتعللون به: إنكم أنتم يا أهل الظاهر - الفقهاء، والعلماء، والرسوم - تنكرون علينا أن نترك صلاة الجمعة، وأنتم تكتبون في كتب الفقه: أن من خاف ضياع ماله جاز له تركها لأجله، ومن كان مسافراً، ولو كان مسافراً للدنيا أو للتجارة يجمع المال تسقط عنه صلاة الجمعة،

فكيف بالذي في الخلوة مستغرق مع الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - وقلبه متعلق
بمحبة الله الذي هو أغلى من الدنيا كلها؟

وتقولون: هذا لا يمكن أن يترك الجمعة، والجماعات؟ ولا يجوز له أن
يعتكف في خلوة، ويترك الجمع والجماعات؟

ويقولون: أليس الله تعالى أغلى وأعظم من الدرهم والدينار؟
والمجتمع مع الله أليس هو أعظم ممن هو مجتمع على قليل من المال
يخشى أن يضيع منه؟ فيجوز له - عندكم وفي فقهم - أن يترك الجمعة
لأجله؟!

ويقولون: أنتم تقولون: إن الإنسان إذا أغمي عليه؛ فالتكشفت عورته
فهذا جائز، وقد يكون هذا الإغماء بسبب ضربة شمس، أو لمرض، أو
نحوه، فلا حرج عليه أن تكشف عورته. وتذكرون - أيضاً - في كتبكم يا
أهل السنة أن زوج بريرة كان يتبعها في طرقات المدينة، ودموعه تنحدر
حباً لها، ولم يحرّج عليه في ذلك، وكان ذلك في عهد النبي صلى الله عليه
وسلم، لا تنكرون ذلك؟ وتنكرون على من يكون إغماؤه لآية سمعها، أو
كشف جلّى له الحق فأغمي عليه وكشفت عورته، وأخذ يصرخ ويقول: أنا
الحق، أنا الحق، أنا الله، أنا الله!! كيف تعذرون من سقط وتكلم بما لا
يدري من مرض أو نحوه، وبين من لم يسقط إلا حباً، ووجداء، وهياماً
بالمعبود الحق، وبالحيب الأعظم، وهو الله تعالى عندهم!!

ورداً على ذلك نقول:

رأى الزنادقة أن هذه هي أخطر وسيلة لهدم دين الإسلام، وإبعاد الأوامر
والنواهي وإبطالها، وإبطال الجهاد، وإبطال الأمر بالمعروف والنهي عن
المعكر، وإندثار الإسلام بالكلية، والقصاص في ذلك كثيرة، منها: ما
ذكره شيخ الإسلام، وتحدث عنه في كتاب الاستقامة بقوله: (إن بعضهم
كان إذا سمع المؤمن قال له: اسكت يا كلب! لعنك الله! أو نحو ذلك وينهره
ويشتمه، وكثير منهم كان يصنع هذا، فإذا قيل له: كيف تقول ذلك؟! قال:

هؤلاء أهل الظاهر يؤثّن في الظاهر، وهو في الباطن لا يعظم حقيقة التوحيد الذي يقوله عندما يقول: "أشهد أن لا إله إلا الله"، فإذا نقدهم أحد كيف تقول للمؤثّن هذا الكلام؟ يقول: هذا من ولايته، هذا من فهمه للتوحيد يشتم المؤثّن، لأنه يقول: "أشهد أن لا إله إلا الله"، وهو لا يدرك التوحيد... إلى غير ذلك).

المهم أن هذه طريقة لإسقاط الأوامر والنواهي، فأنت لا تتكر على أي إنسان منهم، لأنك لا تدري - في عرفهم، وفي كلامهم - أن هذا المجنوب الذي تراه مطروحاً على المزبلة والناس هناك يصلون، ربما أنه لا يفعل هذا إلا تستراً، و إلا فهو قوأم بالليل، وبكأ بالسحر، وأواه منيب في خلوته حين ينقطع عن الخلق وينفرد بالحق.

وما يدريك أنك قد تتكر على رجل سكران في الشارع، وليس بسكران سكر خمر إنما هو سكر الوله، والمحبة، والوجد، والشوق!! أيضاً: قد ترى امرأة عارية الشعر والنحر تتواجد وتتمايل، فتقول: هذه لاهية، أو راقصة، أو مطربة، وهي وليّة! مستغرقة في عين الجمع مع الله! أنت ترى جسدها على الأرض، ولكن قلبها في السماء عند الله، أو في العرش!!

ويمكن أن ترى مجنوناً يرغي ويزبد ويطارد الصبيان في الشوارع، وتقول: "الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه به"، أو نحو ذلك، لكن لا تدري - على كلامهم - أنك أنت المبتلى بحجاب الغفلة، هذا عارف من العارفين، أو بدل من الأبدال، تستر بالجنون حتى لا يدري من هو، وتكون هذه الولاية خاصة بينه وبين الله، حتى يلومه الناس فيما يفعل؛ فيحصل له الأجر من لومهم.

نقول: إن مثل هذا الكلام هو: تلبيس للحقائق، وإضاعة للمعايير التي نعرف بها الصالح من الطالح، والمجنون من الصحيح، فتضيع المعايير، ثم تنشر هذه الترهات والخزعبلات بين عامة المسلمين وجهلتهم، خاصة في

المناطق النائية في القديم، فماذا يكون رد الفعل عند المسلمين إذا اعتقدوا أن الولي ليس الذي يدرّس كتاب الله، والصحيحين في المسجد الحرام - مثلاً - أو يجاهد في سبيل الله؟ وإنما الولي: هذا الأشعث الأغبر القذر المنتن، الذي نراه يلتقط القمام من جوار الحرم، ولا يمد يده لأحد لأنه متوكل، فيقول: ربما كان هو "القبط الأعظم" أما هذا الذي يمكث في الحرم يدرّس البخاري، أو فتح الباري فهذا من علماء الظاهر، ومن الناس العلويين، وليس من "رجال الغيب"، ولا من "أهل الحقائق" فهنا الخطورة.

وتحت هذا اللبس يذكرون الكرامات، ويذكرون الشراكيات الشنيعة، ويدافعون عن ذلك دفاعاً مريراً، وها نحن ننقل نصّاً واحداً يبين ذلك من كتاب المشرع الروي في فضائل آل با علوي نقلاً عن الياضي الذي له كتاب مرآة الجنان وهو مليء بهذه الخرافات أيضاً.

يقول الياضي في [322/1]: وكثير من هذه الطائفة - أعني: الصوفية - جمعوا بين الولي والتجريد في ظاهر الشرع - تخريباً بانناً - أسقطهم عن أعين الناس، ليستتروا عن شهرة الصلاح، يخفون محاسنهم ويظهرون مساوئهم، ومنهم من يكشف عورته بين الناس، ومنهم من يرى أنه لا يصلي، وهم يصلون، ويجتهدون فيما بينهم وبين الله تعالى، وقد شوهد كثير منهم يصلي في الخلوات، وفي جوف الليل؛ لأنهم كانوا يبالبون في نفي رؤية الخلق، وإسقاطها من قلوبهم، ولا يبالي أحدهم بكونه عند الناس زنديقاً إذا كان عند الله ليس زنديقاً، كنسوا بنفوسهم المزابل لتحيا لمولاهم حياة طيبة قبل المعاد!

يقولون: فليكن زنديقاً عندك، وعند غيرك، لكنه عند الله ولي!!
لو جاء زنديق حقيقي، وقال هذه الكفریات! فما أبرانا أن يكون هذا ولياً؟!

إلى أن يقول: ومنهم من يحتجب بحاله عن أعين الناس، وهم معهم في الصلوات!، أقول: انظروا يصلي مع الجماعة ويمكن أننا لم نره!!

يقولون: هذا موجود فلا تنكر عليه، ولهؤلاء أطوار لا يدركها العقل - هم يسمون اختلاف التشكل: تطورا!! لعننا نقرأ هذا في الكرامات، هذا للتطور من عمل المشعورين، والسحرة، والجن، واستعنتهم بالشياطين، وإنما تدرك بالنور - يعني: بالكشف - ويعرفها العارفون بالله تعالى - يعني: لا نعرفها نحن المحجوبون.

يقول: فقد روينا أن بعضهم كان لا يرى أنه يصلي، فأقيمت الصلاة يوماً وهو جالس، فقال له بعض الفقهاء: قم فصل مع الجماعة - فالفقيه أنكر عليه، وقال له: قم صل - فقام، وأحرم معهم، وصلى الركعة الأولى، والفقير المنكر ينظر إليه، فلما قاموا إلى الركعة الثانية: نظر الفقيه إلى مكان الرجل، فإذا به غيره يصلي؛ فتعجب من ذلك، ثم رأى في الركعة الثالثة شخصاً ثالثاً، ثم في الرابعة رابعاً، فزاد تعجبه - أربعة أشخاص في أربع ركعات - فلما سلم من صلاته التفت، فرأى صاحبه الأول جالساً مكانه، وليس عنده أحد، فتحير الفقيه مما رأى، فقال له الفقير وهو يضحك - الصوفي يسمونه فقيراً -: يا فقيه! أي الأربعة صلى معكم هذه الصلاة؟

يقول اليافعي: فاعترف الفقيه بفضله وزال ما عنده من الإنكار! إذا: مادام أنه يصلي كل ركعة بشكل شخص آخر: إذا يمكن أنه يصلي في أي وقت، وأنت لا تنكر على أي إنسان تراه تاركاً للصلاة، والناس يصلون الجمعة والجماعات لأنك لا تدري؛ لعله صلى في صورة أخرى، كيف تنكر على أولياء الله فأنت من جهلك تنظر بنظرك العقلي، الحسي العادي، وهؤلاء قوم لهم أمور أخرى، ولهم أطوار أخرى!

أقول: إنه بمثل هذا الكلام والتلبيس استطاعت الصوفية أن تضرب بسور عريض بين أولياء الله الحقيقيين المجاهدين في سبيل الله، وعلماء الأمة العظام الذين يقفون في وجه المنكرات، ويحاربون أعداء الله سبحانه وتعالى وبين عامة المسلمين، ضربوا بينهم بسور عظيم؛ فأصبح من لم

يكشف عورته، ومن لم يترك الصلاة، ومن لم يطرح نفسه على المزابل، أولم يظهر للناس أنه بهلول، أو مجنون؛ فهذا ليس بسولي عند علماة المسلمين، وليس من أصحاب الكرامات، ومن ثم فلا يلتبس منه هذى ولا علم؛ لأنه من أصحاب الظاهر، ومن أصحاب الرسوم، ومن الملبس عليهم، ومن المحجوبين.. إلى آخر هذه الألقاب التي ينز بها هؤلاء الصوفية علماء الشريعة، وفقهاء السنة، وأولياء الله تعالى الحقيقيين.

ولم تقف الصوفية عند هذا الحد فحسب؛ بل أصبحت تنكر على من ينكر على أي دين! - أي: لا يكفي أن تنكر على إنسان مسلم أنه كشف عورته، وترك الجمعة، والجماعة، بل يقولون: لا تنكر على أي إنسان أنه منتسب إلى أي دين!!

انظروا إلى كتاب أخبار الحلاج ص [54]، يقول عبد الله بن طاهر الأزدي: كنت أخاصم يهودياً في سوق بغداد، وجرى على لفظي أن قلت له: يا كلب! فمر بي الحسين بن منصور الحلاج، ونظر إلي شزراً، وقال: لا تنبح كلبك، وذهب سريعاً، فلما فرغت من المخاصمة قصدته، فدخلت عليه فأعرض عني بوجهه، فاعتذرت إليه، فرغمي، ثم قال لي: يا بني، الأديان كلها لله عز وجل!! شغل الله بكل دين طائفة لا اختياراً فيهم، بل اختياراً عليهم، فمن لام أحداً ببطلان ما هو عليه: فقد حكم أنه اختار ذلك لنفسه.

وهذا مذهب القدرية، والقدرية مجوس هذه الأمة، واعلم أن اليهودية، والنصرانية، والإسلام، وغير ذلك من الأديان هي ألقاب مختلفة، وأسام متغيرة، والمقصود منها لا يتغير ولا يختلف، ثم قال - أي: أنشد الحلاج شعراً بعد ذلك:-

تفكرت في الأديان جداً محققاً فالفيتها أصلاً لها شغباً جمّاً
فلا تطلبين للمرء دنيا فإتسه يصد عن الأصل الوثيق وإنما

بطلابه أصل يعبر عنده .. جميع المعاني والمعاني فيفهما

يقول: الأثيان كلها واحدة، ولا يجوز لك أن تقول لأحد: إنك يهودي، أونصراني، كل الديانات حق، وكلها طرق موصلة إلى الله هكذا يقول، وهنا تلتقي الماسونية الحديثة بهذه الأفكار القديمة، ومثل هذا قول ابن عربي:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه دان
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح تورا ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أتى توجهت ركايبه، فالحب ديني وإيماني

يقول: ابن عربي: ديني دين الحب - كما قلنا سابقاً أن الثيوصوفية محبة الله - فدينهم دين الحب فقط، فمن أحب الله على أي ملة، وعلى أي نحلة - يهودية كانت أو نصرانية أو إسلامية - فهو حبيب الله عندهم، ولا ينكر عليه على الإطلاق، هنا تلتقي الصوفية مع الماسونية، وهنا ندرك لماذا الماسونية تشجع التصوف؟

لأن الماسونية تحت هذا الكلام يهدمون الأديان جميعاً ليبنوا هيكل سليمان، ودين اليهودية فقط، فيطلبون من الناس أن يتركوا أديانهم. أما اليهود فدينهم مطلق، فهم لا يريدون أن يدخل أحد في دينهم أبداً، فلا يدعون أحداً إلى دينهم، فيريدون من أهل الأديان الأخرى أن يتخلوا عنها، وأن يتركوها، وأن يساهموا جميعاً في بناء هيكل سليمان.

الماسونية والصوفية تلتقي هنا، والمؤسسون متفقون من الأصل وإلى الآن، ولذلك لا عجب أن نرى الماسونية والدول التي تحركها الماسونية في الخفاء تدعم التصوف وتنشره وتحقق تراثه، وتفتح أقسام الدراسات

العليا ونحوها عن الإسلام، وما هي من الإسلام في شيء، وإنما هي عن هذا التصوف.

نقول هذا لنعرف حقيقة هذا الدين، وحقيقة الدوافع التي تدفع الصوفية لإظهار القبائح - كما يسمونها - وعند استعراضنا للكرامات سنجد الكثير من مثل هذه الأمور، ونعرف علتهم، وهدفهم وراء ذلك كله.



الطريقة المهدية

المهدية واحدة من الحركات الثورية التي ظهرت في العالم العربي والإسلامي مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي، وهي ذات مضمون ديني سياسي شالته بعض الانحرافات العقائدية والفكرية، وما يزال أحفاد المهدي وأنصاره يسعون لأن يكون لهم دور في الحياة الدينية والسياسية في السودان.

التأسيس وأبرز الشخصيات:

المؤسس:

محمد أحمد المهدي بن عبد الله:

1260 – 1302 هـ (1845 – 1885 م)، ولد في جزيرة لبب جنوب

مدينة دنقلة، يقال بأن نسبه ينتهي إلى الأشراف. حفظ القرآن وهو صغير ونشأ نشأة دينية متعلمًا على الشيخ محمود الشنقيطي، سالكًا الطريقة السمائية القادرية الصوفية، متلقيًا عن شيخها محمد شريف نور الدائم.

فارق محمد شيخه لما لاحظته عليه من تهاون في بعض الأمور وانتقل إلى الشيخ القرشي وذو الزين في الجزيرة وجدد البيعة على يديه. ويلاحظ أن شيوخه الأول والثاني من أشهر مشايخ الطرق الصوفية آنذاك.

في عام 1870م استقر في جزيرة آبا حيث يقيم أهله والتزم أحد الكهوف مستغرقًا في التأمل والتفكير.

وفي عام 1297 هـ/1880م توفي شيخه القرشي حيث قام المهدي بتشييد ضريحه وتجصيصه وبناء القبة عليه، وصار خليفته من بعده حيث توافد عليه المبايعون مجددون الولاء للطريقة في شخصه.

في عام 1881م أصدر فتواه بإعلان الجهاد ضد الكفار والمستعمرين الإنجليز، وأخذ يعمل على بسط نفوذه في جميع أنحاء غرب السودان.

اعتكف أربعين يوماً في غارهِ بجزيرة آبا وفي غرة شعبان 1298هـ/29 يونيو 1881م أعلن للفقهاء والمشايخ والأعيان أنه المهدي المنتظر الذي سيملا الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

قابل قوة الحكومة التي أرسلت لإخماد حركته في 16 رمضان 1298هـ/أغسطس 1881م وأحرز عليها انتصاراً دعم موقفه ودعواه.

هاجر إلى جبل ماسة ورفع رايته هناك، وعين له أربعة من الخلفاء هم:

1 - عبد الله التعايشي. صاحب الراية الزرقاء ولقبه بأبي بكر.

2 - علي وذ حلو: صاحب الراية الخضراء ولقبه بعمر بن الخطاب.

3 - محمد المهدي السنوسي، رئيس الطريقة السنوسية ذات النفوذ

الكبير في ليبيا، فقد عرض عليه المهدي منصب الخليفة عثمان بن عفان، لكن السنوسي تجاهله ولم يرد عليه.

4 - محمد شريف: وهو ابن عم المهدي الذي جعل له الراية الحمراء ولقبه بعلي بن أبي طالب.

في عام 1882م قابل الشلالي الذي أراد أن ينفذ إرادة جيجلر نائب الحكمдар عبد القادر حلمي، وقد لاقى الشلالي حتفه في هذه المعركة.

في نوفمبر 1883م التقى مع هكس الذي لاقى حتفه أيضاً بعد يومين من بداية المعركة.

التقى جيش المهدي بجيش غوردون في الخرطوم، وفي 26 يناير 1885م اشتدت المعركة وقُتل غوردون الذي جُزَّ رأسه وبُعِثَ به إلى المهدي الذي كان يأمل إلقاء القبض عليه حياً ليبادل به أحمد عرابي الذي أجبر على مغادرة مصر إلى المنفى. وكان سقوط الخرطوم بين يدي المهدي آنذاك إيذاناً بانتهاء العهد العثماني على السودان.

من يومها لم يبق للمهدي منافس حيث قام بتأسيس دولته مبتدئاً ببناء مسجده الخاص الذي تم إنجاء بنائه في 17 جمادى الأولى 1305هـ.

قدَّ القضاء للشيوخ محمد أحمد جبارة ولقبه بقاضي الإسلام.

وفي يوم 9 رمضان 1302هـ/22 يونيو 1885م توفي المهدي بعد أن أسس أركان دولته الوليدة، ودفن في المكان الذي قبض فيه. وجدير بالذكر أن هذه الدولة لم تدم طويلاً ففي عام 1896م قضى اللورد كتشنر الذي كان سرداراً لمصر على هذه الدولة ونسف قبة المهدي ونهب قبره وبعث هيكله وبعث بجمجمته إلى المتحف البريطاني انتقاماً لمقتل غوردون.

شخصيات أخرى:

عبد الله التعايشي:

ولد في دار التعايشة في دارفور، وجاء المهدي في الحلاويين بالجزيرة وهو يشيد قبة على شيخه القرشي وبلبعه، وهو الذي قوَّى في نفسه المهدي ادعاءه المهدية، وقد احتل عبد الله المكاة الأولى في حياة المهدي إذ كان رجل التطبيق والإدارة والتنفيذ.

بعد موت المهدي صار عبد الله الخليفة الأول وذلك بناء على وصية من المهدي ذاته إذ كان يقول عنه: "هو مني وأنا منه".

عندما استلم منصب الخلافة تفرغ لبث الدعوة وجعل أخاه الأمير يعقوب مكانه الذي كان قد بوأه إياه المهدي.

كتب إلى السلطان عبد الحميد وتطلع إلى بسط نفوذ المهدية إلى نجد والحجاز وغربي السودان.

عبد الرحمن النجومي:

من القادة العسكريين، وقد سار على رأس جيش كبير في 3 رمضان 1306هـ/3 مايو 1889م متقدماً نحو الشمال لملاقاة الجيش المصري لكنه رجع دون أن يحقق تقدماً أو نصراً.

الشاعر الصوفي الحسين الزهراء:

1833 – 1895م: من رجال المهديّة، حاول أن يربط بين فلسفة ابن
سينا الإشراقية وبين العقيدة المهديّة.

حمدان أبو عنجة:

كان قائد جيش المهدي أمام هكس الذي التقى به خارج الأبيض.
ثالثاً:

أبناء المهدي وأحفاده:

عبد الرحمن بن محمد أحمد المهدي:

1885 – 1956م ولد في أم درمان وتلقى تعليمًا دينيًا، وعندما شبَّ

سعى لتنظيم المهديّة بعد أن انفرط عقدها، وصار في عام 1914م زعيماً
روحياً للأتصار. وفي عام 1919م بعثت به الحكومة لتهنئة ملك بريطانيا
بانتصار الحلفاء، حيث قام بتقديم سيف والده هدية للملك الذي قبله ثم
أعاده إلى عبد الرحمن طالباً منه أن يحتفظ به لديه نيابة عن الملك
وليدافع به عن الإمبراطورية. وقد شكّل هذا اعترافاً ضمناً بالطائفة
واعترافاً بزعامتة لها. وقد أنشأ عبد الرحمن أيام الاستعمار الإنجليزي
على السودان (حزب الأمة) وهو حزب المهديّة السياسي.

الصادق بن عبد الرحمن: توفي عام 1961م.

الهادي بن عبد الرحمن: قتل في عام 1971م.

وقد انقسم حزب الأمة إلى ثلاثة أقسام:

قسم برئاسة الصادق بن الصادق بن عبد الرحمن وهو أقوى الأقسام
حالياً في السودان.

قسم برئاسة أحمد بن عبد الرحمن.

قسم برئاسة ولي الدين عبد الهادي.

المؤتمر العالمي لتاريخ المهديّة:

أقيم في بيت المهدي بالخرطوم في الفترة من 29 نوفمبر إلى 2 ديسمبر 1981م، وقد ألقى أحمد بن عبد الرحمن المهدي كلمة في هذا الحفل.

الأفكار والمعتقدات:

إن شخصية المهدي القوية، والمعتقد الديني الذي يدعو إليه، والسخط العام الذي كان سائداً ضد الولاة الذين كانوا يفرضون الضرائب الباهظة على الناس، وتفشي الرشوة والمظالم، وسيطرة الأتراك والإنجليز، كان لذلك كله دور مهم في تجمع الناس حول هذه الدعوة بهدف التخلص من الوضع المزري الذي هم فيه إذ وجدوا في المهدي المنقذ والمخلص. دعا المهدي إلى ضرورة العودة مباشرة إلى الكتاب والسنة دون غيرها من الكتب التي يرى أنها تبعد بخلافاتها وشرورها عن فهم المسلم البسيط العادي.

أوقف العمل بالمذاهب الفقهية المختلفة، وحرم الاشتغال بعلم الكلام، وفتح باب الاجتهاد في الدين، وأقر كذلك كتاب كشف الغمة للشعراني، والسيرة الحلبية، وتفسير روح البيان للبيضاوي، وتفسير الجلالين!! ألغى جميع الطرق الصوفية وأبطل جميع الأوراد داعياً الجميع إلى نبذ الخلافات والالتفاف حول طريقته المهدية مؤلفاً لهم ورداً يقرعونه يومياً، ومن هذا الباب دخلت مرة أخرى في بوتقة الصوفية وانصهرت فيها، وداخلتها الأخطاء العقدية كقول المهدي بأنه معصوم وأنه المهدي المنتظر. لما تحركت الحكومة لضرب المهدية في جزيرة آبا كتب المهدي خمس رايات رفع عليها شعار (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وعلى أربعة منها كتب على كل واحدة منها اسم واحد من الأقطاب الأربعة المتصوفة وهم: الجيلاني، والرفاعي، والدسوقي، والبدوي. أما الخامسة فقد كتب عليها "محمد المهدي خليفة رسول الله" وعلى ذلك فهو يزعم أنه الإمام، والمهدي، وخليفة رسول الله.

أبرز ما في دعوته إلحاحه الشديد على موضوع الجهاد والقوة والفتوة.

يزعم المهدي بأن مهديته قد جاءت به بأمر من رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول:

"وقد جاعني في اليقظة ومعه الخلفاء الراشدون والأقطاب والخضر عليه السلام، وأمسك بيدي صلى الله عليه وسلم وأجلسني على كرسيه وقال لي:

أنت المهدي المنتظر ومن شك في مهديتك فقد كفر " !!
نسب إلى نفسه العصمة وذكر بأنه معصوم نظراً لامتداد النور الأعظم فيه من قبل خالق الكون إلى يوم القيامة!!.

كان يلح على ضرورة التواضع وعدم البطر وتشديد النكير على الانغماس في الملاذ والبذخ والنعمة، ويصل على التقريب بين طبقات المجتمع، وقد عاش حياته يلبس الجبة المرقعة هو وأتباعه، لكن أحفاده من بعده عاشوا في ترف ونعيم، كما ترون في الصورة.

حرّم الاحتفال بالأعراس والختان احتفالاً يدعو إلى النفقة والإسراف.
نَسَرَ الزواج بتخفيف المهور وبساطة الولائم وتحريم الرقص والغناء وضرب الدفوف.

منع البكاء على الأموات، وحرّم الاشتغال بالرقي والتمائم، وحارب شرب الدخان وزراعته والاتجار به، وشدد في تحريمه.

أقام حدود الشريعة في أتباعه كالقصاص وحبس النفساء ومصادرتة أموال السارقين والخمارين، وصك العملة باسمه ابتداءً من فبراير 1885م جمادى الأولى 1302هـ.

أقام في المنطقة التي امتد إليها نفوذه نظاماً إسلامياً، ونظم الشؤون المالية وعين الجباة لجمع الزكاة، وكانت مالية الدولة التي أقامها مكونة مما يجبي من زكاة وجبايات.

في العاشر من ربيع الأول عام 1300هـ - تطلع المهدي إلى عالمية الدعوة حيث أعلن أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بشره بأنه سيصلي في الأبيض ثم في بربر ثم في المسجد الحرام بمكة المكرمة فمسجد المدينة فمسجد القاهرة وبيت المقدس وبغداد والكوفة.

بعض انحرافات المهدي:

لقد كفر المهدي من خالفه أو شك في مهديته ولم يؤمن به. سَمَى الزمان الذي قبله زمان الجاهلية أو الفترة. جعل المتهاون في الصلاة كالترك لها جزاؤه أن يقتل حداً. أفتى بأن من يشرب التنبك يؤدب حتى يتوب أو يموت. جعل المذاهب الفقهية والطرق الصوفية مجرد فتوات تصب في بحرهِ العظيم!!.

منع حيازة الأرض لأنها لا تملك إذ إنها محجوزة لبيت المال.

نهى عن زواج البالغة بلا ولي ولا مهر.

الجدور الفكرية والعقائدية:

تأثر المهدي بالشيعة في ادعائه المهدية المعصومة التي ستملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وفي التأكيد على أهمية نسبه الممتد إلى الحسن بن علي، وفي فكرة العصمة والإمام المعصوم.

قيل بأنه أخذ عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب قوله بضرورة الأخذ عن الكتاب والسنة مباشرة، وفتح باب الاجتهاد، ومحاربته لبناء القبور، مع أنه بنى قبة لشيخه!! (انظر للرد على هذا الوهم رسالة " الانحرافات العقيدية والعلمية في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري " للشيخ علي بخيت الزهراني ، ص 997-1001).

كان للفكر الصوفي دور مهم في رسم شخصية المهدي وطريقته.

أخذ عن جمال الدين الأفغاني، وعن محمد عبده - الذي كان على صلة بأفكارهما - أفكاره الثورية.

كان المهدي قريباً من الأحداث الجارية في مصر وبالذات حركة أحمد
عرابي الداعي إلى الثورة.

الانتشار ومواقع النفوذ:

ابتدأ المهدي دعوته من جزيرة آبا التي ما تزال مركزاً قوياً للمهدية إلى
الآن، وقد وثق صلته بالقبائل في مختلف أنحاء السودان.

تطلع المهدي وخليفته التعايشي لنقل المهدية إلى خارج السودان لكن
هذا الأمل تلاشى بسقوط طوكر عام 1891م.

ما يزال للمهدية أنصار كثيرون يجمعهم حزب الأمة الذي يسهم في
الأحداث السياسية الحالية في السودان. كما أن لهم تجمعات وأنصاراً في
أمريكا وبريطانيا يعملون على نشر أفكارهم ومعتقداتهم بين أبناء الجاليات
الإسلامية بعامة والسودانيين بخاصة.

ويتضح مما سبق:

أن الثورة المهدية استطاعت أن تصهر السودانيين في بوتقة واحدة،
وجعلت منهم شعباً واحداً جاهد مع قائده وزعيمه الروحي وحقق انتصارات
باهرة على أعدائه، وقد أسقطت المهدية المذهبية وألغت الطرق الصوفية
إلا طريقتها ! وادعت أنها سلفية تدعو إلى عقيدة السلف في التوحيد
والاجتهاد وفق المصالح المتجددة، وقد اعتبرت الجهاد ضد الكفار مقدماً
على الفرائض الأخرى. وهي تعتبر - على انحرافها - من حركات اليقظة
في العالم الإسلامي. وقد شابتها بعض الانحرافات العقدية، وكساها المهدي
بمسحة من الصوفية بهدف تحريك ضمائر أتباعه وربط ولاء شعبه بألوان
من الرياضات لا سيما وقد كان للطرق الصوفية في عهده جذور ضاربة
في نفوس شعبه لا يمكن إغفالها.

الطريقة الميلوية

أنشأها الشاعر الفارسي جلال الدين الرومي، المتوفى سنة (672هـ) والمدفون بقونية، أصحابها يتميزون بإدخال الرقص والإيقاعات في حلقات الذكر، وقد انتشروا في تركيا وغرب آسيا، ولم يبق لهم في الأيام الحاضرة إلا بعض التكايا في تركيا وحلب ودمشق، وفي بعض أقطار المشرق. وأصل بدعتهم هذه أنهم يقولون إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، كان يرقص على طريقتهم، يدور دورانا مستمرا، وحصل له ذلك، بعد أن سأل الله أن يرضى عنه.

وهذا الحديث مكذوب، أورده الغزالي ومن لف لفه من الصوفية في كتبهم، وهو: حديث ابن عمر (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وعنده أبو بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال إذ نزل جبريل عليه السلام فأقرأه عن الله السلام وقال له:

يا رسول الله ما لي أرى أبا بكر وعليه عباءة قد خللها على صدره بخلال؟ فقال: أنفق ماله على قبل الفتح، قال: فأقرنه من الله السلام، وقل له: يقول لك ربك أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر وقال: يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله ويقول أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟ قال: فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: أعلى ربي أسخط أنا عن ربي راض.

قال الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال /5-127/ عن الحديث بأنه كذب. وأورده الحافظ ابن حجر في لسان الميزان /4-185/ وأقر بأنه كذب. وأقر الحافظ العراقي الذهبي بأن الحديث كذب كما في تخريج أحاديث الإحياء.

الطريقة النقشبندية

يدعي النقشبنديون سنداً لطريقتهم إلى رب العزة، وعنه جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم، إلى أبي بكر الصديق إلى يومنا هذا، مع خلاف وتعارض وتكذيب لبعض الأسانيد، كل يدعي كذب الآخر.

وسميت (نقشبندية) نسبة إلى محمد بهاء الدين نقشبند، الذي ولد سنة (717 هـ) في قصر العارفان - قرية من قرى بخارى على فرسخ منها - وعرفت الطريقة به، لأنه قصر الذكر فيها على الذكر الخفي القلبي، وقد كانوا قبله يجتمعون للذكر جهراً، وإذا انفردوا ذكروا خفية، فلما تلقى سنة (791 هـ)، وكانت تنسب قبله إلى الشيخ عبد الخالق الغجدواني، ولذلك سميت بالغجدوانية، وسميت أيضاً بعد ذلك بالفاروقية نسبة إلى أحمد الفاروقي السمرهندي، وعرفت في بلاد الشام أيضاً بالخالدية، نسبة خالد النقشبندي دفين دمشق، وهو الذي نشرها في هذه البلاد، بعد أن رحل إلى بلاد الهند لتلقيها من عبد الله الدهلوي.

من عقائد النقشبديين:

يعتقد النقشبنديون عامة والأحابش خاصة أن المؤسس الأول للطريقة النقشبندية هو أبو بكر الصديق. وكان يستعمل طريقة الذكر النقشبندية بحبس النفس ولا يتنفس إلا في الصباح وكان الناس يشمون رائحة اللحم المشوي فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الرائحة كبد أبي بكر من كثرة نكره لله.

(إرغام المرید للكوثری صفحة: 30 وانظر مجلة منار الهدى: 20/16)

ويعتقدون أن من لم يسلك طريقه فهو على خطر من دينه.

(انظر الهداية والعرفان صفحة: 41)

ويعاملون مشايخ الطريقة الأموات معاملة الأحياء في الاستغاثة وتلقي فيوضات النور والهدى منهم ومبايعتهم وأخذ العلم عنهم، كل ذلك وهم في قبورهم.

ويعتقدون أن الصلة بالله إنما تحصل بالتقرب إليه بوضع صورة الشيخ في مخيلة المرید وبين عينيه عند ذكر الله.

وهذه الصلة تسمى الرابطة. وهي أوثق وأعظم تأثيراً من الرابطة التي يؤدّيها المسلمون خمس مرات في اليوم واليلة.

ولا يقتصر شيوخ الطريقة على الإنس بل من الحيوانات شيوخ الطريقة كالفرس والهرة والفهد والنحلة والباري. قال صاحب الرشحات:

"وأما الحيوانات فلنا منهم شيوخ، ومن شيوخنا الذين اعتمدت عليهم الفرس فإن عبادته عجيبة، فما استطعت أن أتصف بعبادتهم"

وزعم أن السالكين يرون الله بالطريقة التجلية فيرون الله في جميع الأشياء من إنسان ونباتات وحيوانات بل ويتجلى الله في شكل فرس.

(البهجة السنية ص 6 رشحات عن الحياة ص 133 لطي الهروي).

فإن الله عندهم يتشكل ويظهر بأشكال مختلفة.

بل وذكروا أن الله يصلي (السبع أسرار في مدارج الأخيار صفحة: 83)

وفي الوقت الذي يعتقدون فيه أن الله ظل: يعتقدون أن النبي صلى الله

عليه وسلم لم يكن يرى له ظل لا بالليل ولا بالنهار لأنه نور محض.

(نور الهداية والعرفان: 24)

ويزعم النقشبندیون أن بهاء الدين نقشبند (مؤسس هذه الطريقة) كان

يقول للرجل "مُت" فيموت ثم يقول له "قم حياً" فيحيا مرة أخرى

(المواهب السرمدية: 133 الأنوار القدسية: 137 جامع كرامات الأولياء: 146/1)

ويحكون أن شيخه علمه أن يطلب المدد من كلاب الحضرة النقشبندية

ويخدمهم بإخلاص وأنه اجتمع مرة بكلب وحرباء، فحصل له من لقاتهما

بكاء عظيم وسمع لهما تأوها وحنينا فاستلقى كل منهما على ظهره، ورفع

للكنة قوائمه الأربع إلى السماء وأخذ يدعو الله، وكذلك فعلت العرباء
والشيخ واقف يقول: آمين، يؤمن على دعاء الكلب والحرباء.

(المواهب السرمدية: 118-119 الأنوار القدسية: 130)
وأن رجلاً سلم عليه فلم يرد عليه السلام ثم اعتذر إليه بعد ذلك بأنه
كان مشغولاً بسماع كلام الله. (المواهب السرمدية 130 ، الأنوار القدسية: 135).
"وحين توفي حبيب الله جان جانان النقشبندي ارتفع نصف القرآن إلى
السماء ووقع في الدين فتور" (الأنوار القدسية: 207 ، المواهب السرمدية:
231-232).

كرامات مشايخ الطريقة:

كان الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي يقول كثيراً ما كان يُعرجُ بسي
فوق العرش وأرتفع فوقه بمقدار ما بين مركز الأرض وبينه، ورأيت مقام
الإمام شاه نقشبند. قال: "وأعلم أنني كلما أريد الخروج يتيسر لي"
(المواهب السرمدية 184 الأنوار القدسية 182).

قال: "وكانت الكعبة تطوف به تشریفاً له"

(المواهب السرمدية 185 الحدائق الوردية 180 البهجة السنية: 80).
وكان أحد مشايخهم واسمه عبد الله الدهلوي يقول: "كما أن طلب الحلال
فرض على المؤمنين كذلك ترك الحلال فرض على العارفين"
(المواهب السرمدية 185 الأنوار القدسية 213).

وكان للشيخ عبيد الله أحرار ميزة عجيبة فكان عنده قوة ينقل بها
المرض من شخص لآخر"

(جامع كرامات الأولياء 236/2 ، الأنوار القدسية 177).
ونص الدهلوي على أن نقل المرض من كرامات مشايخ هذه الطريقة.

(شفاء العليل ترجمة القول الجميل: 104)
وأما الشيخ محمد المعصوم فقد كان غوثاً يستغيث به الناس ويصفونه
بحضرة (القيوم) فقد سقط أحد مريديه عن فرسه في الصحراء، قال:

فاستغاث بحضرة (القيوم) فحضر بنفسه وأيقظني"، وكذلك أشرف آخر من أتباعه على الغرق فاستغاث به فحضر في الحال وأنقذه.

وكان يغث الناس في أقصى الأرض وهو جالس في مكانه. فقد استغاث به رجل في سفينة كانت تغرق فمد الشيخ يده وانتشل السفينة وهو في بيته أمام أصحابه الذين رأوا فجأة أن كُمه صارت مبللة بعد أن رأوه يمدّها في الهواء".

(جامع كرامات الأولياء 199/1 المواهب السرمدية 210-213 الأنوار القدسية 195).

وكان الشيخ بهاء الدين نقشبند يجتمع بأرواح سلسلة المشايخ النقشبندية وأخذ العهد والولاية والتكليف منهم في المقبرة.

(المواهب السرمدية 113).

وتلقن الذكر الخفي من روحانية الشيخ عبد القادر غجدواني، وهذا ليس عجباً فإن الروحانيات تجتمع بعد الممات وهو عالم اللاهوت الخارج عن عالم الأجسام" (الأنوار القدسية: 7). 

وقال الكردي: "ولما مات الشيخ بهاء الدين نقشبند بنى أتباعه على قبره قبة عظيمة وجعلوه مسجداً فسيحاً" (المواهب السرمدية 142).

قال: "ولم يزل يستغاث بجانبه ويكتحل بتراب أعتابه ويلتجأ إلى أبوابه". (الأنوار القدسية 142).

معرفة الغيب:

والنقشبنديون يثبتون لمشايخهم علم الغيب، في الوقت الذي نجد بعضهم يصرحون بنفي علم الله للغيب كما نقله صاحب الرشحات عن أولياء النقشبندية أنه قال:

"إن الله تعالى ليس عالماً للغيب"

ونسب السرهندي أصل هذا القول إلى ابن عربي.

(رشحات الحياة: 153 المكتوبات الربانية للسرهندي: 106).

وإما إثبات علم الغيب لأنفسهم فقد قال الدهلوي:
"وللنقشبندية تصرفات عجيبة من التصرف في قلوب الناس"

(شفاء العليل ترجمة القول الجميل 104).

فمن ذلك تصرف الشيخ عبد الله الدهلوي تصرفه في باطن المريدين
وإلقاء الفيوضات والأسرار في صدورهم.

ومن كراماته أيضاً أن زوجة أحد أصحاب هذا الشيخ قد مرضت،
فالتمس من حضرته أن يدعو الله تعالى بتخفيف مرضها فلم يفعل، فآلح
عليه، فقال له: لا تبقى هذه المرأة أكثر من خمسة عشر يوماً، وبقدرة الله
تعالى توفيت يوم الخامس عشر.

(المواهب السرمدية 249 و251 جامع كرامات الأولياء 129/2 الأنوار القدسية
216 و217).

ولم يكن من خاطر في قلوب الناس إلا ويطلع عليه.

(المواهب السرمدية 173 الأنوار القدسية 175 جامع كرامات الأولياء 140/2).

وحكى الكوثري عن أبي الحسن الشاذلي أنه قال:

"أطلعني الله على اللوح المحفوظ، فلو لا التأديب مع جدي رسول الله لقلت
هذا سعيد وهذا شقي".

(ارغام المريـد شرح النظم العتيد لتوسل المريـد برجال الطريقة للنقشبندية 39).

وكان الشيخ عبد الله الخاني يخبر بالأمور قبل وقوعها وكان لا يسأل
أتباعه عن أحوالهم وإنما يخبرهم عنها.

(جامع كرامات الأولياء 222/1-223).

وخطر ببال أحد الواقفين أمام الشيخ محمد سيف الدين الفاروقي أن هذا
الشيخ متكبر فعرف ما في قلبه وقال له:

تكبري من تكبر الحق تعالى

(المواهب السرمدية 215 الأنوار القدسية 200 جامع كرامات الأولياء 204/1).

الطريقة الواحدية

هذه الطريقة نشأت على تربة إندونيسيا، وليست آتية من الخارج، كما أنها تعتبر طريقة مستقلة، وليست متفرعة عن طريقة من الطرق الصوفية.

والواحدية طريقة حديثة، لم يبلغ عمرها أكثر من ثلاث وثلاثين سنة، لكنها انتشرت الآن في كثير من مناطق إندونيسيا، فهي إذا لها رواج وإقبال من بعض المسلمين هناك؛ فلذلك قامت وزارة الشؤون الدينية التي لها اهتمام بأحوال المسلمين كما أن لها اهتماماً بأمن الدولة، قامت بالدراسة الميدانية لهذه الطريقة في عدة مناطق بجلاوا الشرقية وجاوا الوسطى عن طريق المكتب الخاص التابع لهذه الوزارة، وهو مكتب دراسة الفرق الروحية أو الدينية.

نشأتها ونسبتها: 

من الجدير بالتنبيه على أن أتباع هذه الطريقة وبعض الناس غير هؤلاء الأتباع لا يعتبرون الواحدية طريقة من الطرق الصوفية بل يسمونها "الصلوات الواحدية"، ذلك لأن أشهر ما فيها ترديد الصلوات التي ألفها مؤسسها بكيفية وآداب معينة على ما سوف نبين بالتفصيل بعد هذا إن شاء الله، كما أنها لا تفرض على أتباعها البيعة التي تكون أصلاً من أصول الطرق الصوفية، كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

لكن من حيث أنها تقدم منهجاً معيناً وتعاليم معينة للتقرب إلى الله تبارك وتعالى أو لتصفية القلوب على حد تعبيرهم، فلا مانع من اعتبارها طريقة من الطرق الصوفية، كما أطلقت وزارة الشؤون الدينية عليها اسم الطريقة أيضاً في الدراسة الميدانية المذكورة.

والكلام عن نشأة هذه الطريقة يعني الكلام عن نشأة الصلوات الواحدية؛ لأنها فعلاً أهم ما في هذه الطريقة من التعاليم، وبظهور تلك الصلوات ظهر اسم الواحدية.

وقبل ذلك ينبغي التعرف على مؤلف تلك الصلوات الواحدية ومؤسس هذه الطريقة الواحدية.

كياهي الحاج عبد المجيد معروف:

ولد سنة (1920م)، وتوفي في كدونج او كديري جاوا الشرقية في (29) من رجب سنة (1409هـ) الموافق (7) من مارس سنة (1989م) ([21]).

وهو قبل تأليفه لتلك الصلوات وبعده كان مدير بساتين كدونج لو كديري جاوا الشرقية، فهو من العلماء البارزين في منطقته. هذا القدر من ترجمة حياته هو الذي عثرنا عليه، ولم نجد أكثر من ذلك.

والمراد بالصلوات الواحدية هي مجموعة من الأذكار والصلوات التي ألفها كياهي الحاج عبد المجيد معروف، والتي يشتمل بقراءتها أتباعه في أوقات معينة كما سيأتي.

وقصة ظهور تلك الصلوات كما يشكي أتباعه على النحو التالي:
في شهر يوليو سنة (1951م) تقريباً حدث لكياهي الحاج عبد المجيد معروف شيء غير معتاد، وهو أنه في ذلك الوقت رأى إشارة غيبية في يقظته لا في المنام، وتلك الإشارة هي أنه يطلب منه أن ينقذ المجتمع عن طريق القناة الباطنية. فبعد ذلك الحادثة أصبح كياهي الحاج عبد المجيد معروف يتضرع إلى الله سبحانه وتعالى ويتقرب إليه بإكثار العبادة وقراءة الصلوات المتنوعة.

وفي سنة (1963م) حدث له مرة أخرى ما حدث في سنة (1959م) وعليه أن يسرع إلى القيام بما تضمنه الإشارة، وهو إنقاذ المجتمع، فزاد

تضرعه لله تعالى وتقربه إليه بمجاهدات، وبعد ذلك بمدة - الظاهر في نفس السنة - وقع له للمرة الثالثة نفس ما وقع له في المرتين السابقتين مع شيء من التهديد إن لم يسرع إلى القيام بإتقان المجتمع، وكان حينئذ يرتجف لشدة ذلك التهديد، فبدأ عبد المجيد معروف يؤلف الصلوات، وهي كالآتي:

1- اللهم كما أنت أهلكه صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا وشفيعنا وحبیبنا وقرۃ أعیننا محمد صلی الله علیه وسلم كما هو أهلكه، نسالک اللهم بحقه أن تغرقنا فی لجة بحر الوحدة حتی لا نری ولا نسمع ولا نجد ولا نحس ولا نتحرك ولا نسكن إلا بها، وترزقنا تمام مغفرتک یا الله، وتعلم نعمتک یا الله، وتعلم معرفتک یا الله، وتعلم محبتک یا الله وتعلم رضواتک یا الله، وصل وسلم وبارک علیه وعلى آله وصحبه عدد ما أحاط به علمک وأحصاه کتابک برحمتک یا أرحم الراحمین، والحمد لله رب العالمین.

وبالتالي تسمى هذه الصلاة "صلاة المعرفة".

ثم يؤلف بعد ذلك بمدة الصلاة الأخرى، وهي كالآتي:

اللهم یا واحد یا أحد، یا واحد یا جواد، صل وسلم وبارک على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد في كل لمحبة ونفس بعدد معلومات الله وفيوضاته وأمداده.

وكل من هاتين الصلاتين تعطى لبعض طلابه ومن يعرفه من الزملاء إجازة منه إياهم.

ثم يؤلف جملاً أخرى (تنص بصراحة على الاعتقاد بالحقيقة المحمدية) وهي كالآتي:

يا شافع الخلق! الصلاة والسلام عليك نور الخلق هادي الأنام وأصله وروحه، أدركني فقد ظلمت أبداً وربني، وليس لي يا سيدي سواك، فإني ترد كنت شخصاً هالِكاً.

وفي سنة (1965م) يؤلف جملاً أخرى (مضمونها مخاطبة الغوث للاستجد)، وتلك الجملة هي:

يا أيها الغوث سلام الله عليك ربني بإذن الله، وانظر إلي سيدي بنظرة موصلة للحضرة العلية، ثم يؤلف الصلاة الآتية:

يا ربنا اللهم صل وسلم على محمد شفيع الأمم والآل، واجعل الأئمة مسرعين بالواحدية لرب العالمين يا ربنا اغفر يسر افتح واهدنا قرب، وألف بيننا يا ربنا.

وفي سنة (1971م) أو قبل ذلك بقليل يؤلف الصلاة الأخرى، وهي كالآتي:

يا شافع الخلق حبيب الله صلاته عليك مع سلامه، ضلت وضلت حولي في بلدتي، خذ بيدي يا سيدي والأمة.

وفي سنة (1972م) يزداد إلى ذلك الدعاء الآتي:

اللهم بارك فيما خلقت وهذه البلدة يا الله، وهذه المجاهدة يا الله.

ثم في سنة (1973م) يأتي دعاء آخر يكمل الدعاء السابق وهو:

اللهم بحق اسمك الأعظم وبجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وببركة غوث هذا الزمان وأعواته وسائر أوليائك يا الله يا الله يا الله رضي الله عنهم، [3 مرات]، بلغ جميع العالمين نداعنا واجعل فيه تأثيراً بليغاً، [3 مرات].

فإنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير [3 مرات].

ففرؤا إلى الله، وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

هكذا تؤلف بالتدرج الصلوات التي يسمونها "الصلوات الواحدية".

ثم حصل فيها تقديم وتأخير وتحديد عدد القراءة وزيادة بعض الجمل الأخرى، وأصبح ترتيب تلك الصلوات كما هي مكتوبة في صفحة الصلوات للواحدية المنشورة بين الناس على النحو التالي:

1- إلى حضرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الفاتحة [7 مرات].

2- وإلى حضرة غوث هذا الزمان وأعوأته وسائر أولياء الله رضي الله تعالى عنهم الفاتحة [7 مرات].

3- اللهم يا واحد يا أحد، يا واجد يا جواد، صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد في كل لحظة ونفس بعد معلومات الله وفيوضته وأمداده [100 مرة].

4- اللهم كما أنت أهلك، صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا وشفيعنا وحبیبنا وقرۃ أعیننا محمد صلی الله علیه وسلم كما هو أهلك، نسألك اللهم بحقه أن تفرقنا في لجة بحر الوحدة؛ حتى لا نرى ولا نسمع ولا نجد ولا نحس ولا نتحرك ولا نسكن إلا بها، وترزقنا تمام مغفرتك يا الله، وتعلم نعمتك يا الله، وتعلم معرفتك يا الله، وتعلم محبتك يا الله، وتعلم رضوانك يا الله، وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه عدد ما أحاط به علمك وأحصاه كتابك برحمتك يا أرحم الراحمين، والحمد لله رب العالمين [7 مرات].

5- يا شافع الخلق، الصلاة والسلام عليك، نور الخلق هادي الأنام وأصله وروحه، أدركني فقد ظلمت أبداً وربني، وليس لي سيدي سواك، فإن ترد كنت شخصاً هالكاً [3 مرات].

6- يا سيدي يا رسول الله.

7- يا أيها الغوث سلام الله عليك، ربني بإذن الله، وانتظر إلي سيدي بنظرة موصلة للحضرة العلية [7 مرات].

8- يا شافع الخلق حبيب الله، صلته عليك مع سلامه، ضلت وضلت حيلتي في بلدتي، خذ بيدي يا سيدي والأمة [3 مرات].

9- يا سيدي يا رسول الله [7 مرات].

10- يا ربنا! اللهم صل وسلم على محمد شفيع الأمم والآل، واجعل الأنام مسرعين بالواحدية لرب العالمين، يا ربنا اغفر يسر افتح واهدنا قرب وألف بيننا يا ربنا [3 مرات].

11- اللهم بارك فيما خلقت وهذه للبلدة يا الله، وفي هذه المجاهدة يا الله [7 مرات].

12- استغراق... (أي: الصمت مدة معينة) ثم قراءة الفاتحة مرة.

13- الدعاء: اللهم بحق اسمك الأعظم وبجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وببركة غوث هذا الزمان وأعوانه وسائر أوليائك، يا الله يا الله يا الله رضي الله تعالى عنهم [3 مرات] بلغ جميع العالمين ندائنا هذا، واجعل فيه تأثيراً بليغاً [3 مرات] فبأنك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير [3 مرات].

ففرّوا إلى الله [7 مرات].

وقل جاء الحق، وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقاً [3 مرات].
الفاتحة مرة.

هذه هي التي تسمى بالصلوات الواحدية، ألفها عبد المجيد معروف بالتدرج واحدة بعد أخرى. فعبد المجيد معروف هو مؤسس هذه الطريقة الواحدية.

وقراءة تلك الصلوات بآداب معينة تسمى عندهم المجاهدة.

وإلى هنا يمكن أن تستخلص الأمور التالية:

- إن الطريقة الواحدية نشأت في إندونيسيا وبالتحديد في كدونغ لو كديري جلوا الشرقية، وذلك في سنة (1963م)، لأن أول صلاة من مجموع تلك الصلوات ألفت في تلك السنة كما سبق، وقد بدأ العمل بقراءتها وإجازتها لبعض الناس، ثم تولى الصلوات الأخرى واحدة تلو أخرى إلى أن تركبت مجموعة الصلوات مختلفة الصياغة والمعنى كما هو مذكور أعلاه.

- إن مؤلف تلك الصلوات هو كياهي الحاج عبد المجيد معروف، إندونيسي الأصل، ولد في كديري جلوا الشرقية.

وهكذا ينكر مريدو الواحدية أنه "مؤلف الصلوات الواحدية"، لكن إذا اتفقتا على أن الواحدية يمكن أن يطلق عليها اسم الطريقة؛ فنقول بأن عبد المجيد معروف هو مؤسس الطريقة الواحدية.

- إن هذه الطريقة لا تنسب إلى اسم مؤسسها كما كانت معظم الطرق الصوفية ومنها الطرق الآتفة العرض، وإنما تنسب إلى كلمة "واحد" الواردة في الصلاة الثانية من حيث الولادة والأولسي من حيث ترتيب القراءة، وهي: اللهم يا واحد... إلخ. وهذا ما ينصون عليه في كتاباتهم.

ومن الجدير بالفتكر أن هذه الطريقة لها مركز رسمي حيث تقام فيه برامجها وأنشطتها الصوفية التي على مستوى الدولة، وهو مكان نشأتها ومقر مؤسسها، وهو كدونج لو كديري جلوا الشرقية.

وكما أن سائر الطرق الصوفية تضمن لأتباعها نيل شيء معين وتدعي الأفضلية، كما سبق بسط الكلام عن ذلك في كل طريقة من الطرق الأربع السابقة، فإن الواحدية كذلك تضمن لكل من قرأ تلك الصلوات بآداب معينة أنه سوف يجد طمأنينة في القلب، وإلا فليقاض مؤلفها في الدنيا والآخرة. كما أن أتباع هذه الطريقة يعتقدون أن المقصود من غوث هذا الزمان الوارد ذكره في تلك الصلوات هو مؤسس هذه الطريقة كياهي الحاج عبد المجيد معروف، ويقولون:

نحن على يقين بأنه لا يوجد من بين الواحديين من هو أفضل من مؤلف الصلوات الواحدية في جميع كمالاته إلى يوم القيامة.

وبهذا يتبين لنا أن أتباع كل طريقة من الطرق الصوفية يعتقدون أن مؤسس وشيخ الطريقة التي انضموا إليها هو الغوث أو سيد الأولياء أو قطب الأقطاب، فعبد القادر الجيلاني والنقشبندي والشاذلي والتجاني وعبد المجيد معروف أن كل هؤلاء كلهم أخوات.

وقد مضى معنا المراد بالغوث في المصطلح الصوفي، وهو عند أهل الحق لفظ لا يستحقه إلا الله، فهو غياث المستغيث، فلا يجوز لأحد الاستغاثة بغيره لا بملك مقرب ولا بنبي مرسل.

لكن مع كل ما ذكرنا لعل الواحدية في هذا الجانب أقل غلواً من بقية الطرق الصوفية المذكورة، فإننا لم نسمع حتى الآن، لا من أتباعها ولا من كتابتها ما يومئ -فضلاً عن التصريح- إلى أن مؤسسها تكلف في إيصال نسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ادعى أنه علم جميع ما سيحدث إلى يوم القيامة ونحو ذلك.

كما أنها في أقل جرأة من غيرها من الطرق فيما تضمنه لأتباعها، فإن الواحدية لا تضمن لأتباعها الذين يداومون على قراءة تلك الصلوات الواحدية أو على المجاهدة، كما يحلو لهم أن يسموها دخول الجنة مثلاً، فيما تضمن حصول الطمأنينة والراحة القلبية فقط، والله أعلم.

مبادئها ونشاطها:

تختلف الطريقة الواحدية عن عموم الطرق الصوفية في عدم اعتمادها على بيعة المريد، ولهذا لم يدرجها بعض الناس في عداد الطرق الصوفية. وهي لا تعرف السلسلة الصوفية أيضاً، إذ تلك الصلوات المذكورة كلها من اختراع مؤسسها كما سبق أيضاً. ولعلها في هذا الجانب تشبه التجانية، إلا أن التجاني ادعى أن الأوراد التجانية كلها لفتها إياه رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة في اليقظة، فلذلك يقول:

"إنا أخذنا عن مشايخ عدة رضي الله عنهم، فلم يقض الله منهم بتحصيل المقصود، وإنما سئدنا وأستأذنا في هذا عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، قد قضى الله بفتحنا ووصولنا على يديه ليس لغيره من الشيوخ فإنا تصرف وكفى".

كما أن الواحدية لا تفرض على المريد الخلوة أو العزلة الصوفية المعروفة. وللواحدية مبادئ خاصة، نوجزها فيما يأتي:

مبدأ العمل:

إن أي عمل عند الواحدية لابد أن يكون مبنياً على أساس: الله بالالله -
للرسول بالرسول - للغوث بالغوث.

الله بالالله:

مفهوم الله هو أن يكون كل عمل، ظاهراً كان أو باطناً، يتعلق بالله سبحانه وتعالى، أو يتصل بالبشر أو المخلوق، واجباً أو سنة أو مباحاً، أن يكون كل ذلك لله وحده.

بالله: يقصدون به أن أي عمل يعمل الإنسان إنما الله هو الذي خلق ذلك العمل، وألا يشعر بأن له قوة من نفسه.

فالمرید الواحدی عندما يعمل عملاً ينبغي له أن ينوي هذه النية:
الله بالالله.



للرسول بالرسول:

مفهوم للرسول أن ينوي المرید الواحدی - بجانب النية لله بالالله - لتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، والدليل على ذلك الآية:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا
أَعْمَالَكُمْ {محمد 33}

أما مفهوم "بالرسول" فهو أن يشعر المرید بأن كل شيء، ومنه تصرفاتنا وأعمالنا، إنما تكون بسبب فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لـلغوث بالغوث:

مفهوم "لـلغوث بالغوث" هو مثل مفهوم للرسول بالرسول، أي: نية اتباع غوث هذا الزمان، والشعور بنيل فضله في عمل من الأعمال.

هذا هو مبدأ العمل عندهم، أن يكون لله وللرسول وللغوث، وبالله وبالرسول وبالغوث، شيء جديد في دنيا الطرق الصوفية.

ونكرر مرة أخرى أن المراد بغوث هذا الزمان هو مؤلف الصلوات
الواحدية نفسه لا غير، فلا يكفي عندهم إخلاص النية لله وحده، بل لابد أن
يقرن ذلك النية للرسول والغوث.

أليس في ذلك تناقض؟ أليس إشراك النية للرسول والغوث يناقض قولهم
الصحيح بأن يكون العمل لله وحده؟

هذا بغض النظر عن مشكلة "الغوث" نفسه، فإنه ليس له وجود في
معجم العقيدة الإسلامية.

الذكر الواحدي:

صحيح ما قاله الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق من أن الطريقة الصوفية
تعني أولاً النسبة إلى شيخ يزعم لنفسه الترقى في ميادين التصوف
والوصول إلى رتبة الشيخ المربي، ويكون له بالطبع ذكر خاص ينفرد عن
سائر الطرق الصوفية.

فها هي الطريقة الحديثة، الإندونيسية النشأة، حتى أذكر خاصة تتقدم
إلى الساحة لمنافسة الأتكار الصوفية الأخرى.

وهذه الأتكار هي تلك الصلوات الواحدية لا غير، تلك الصلوات التي
تمتليء بالتوسلات بل وبالاستغاثة بالرسول صلى الله عليه وسلم وبغوث
هذا الزمان - على حسب اعتقادهم - وهما من الأموات.

وهم وضعوا لقراءة تلك الصلوات، أو المجاهدة مرة أخرى، آداباً وهي:
- أن يستشعر المريد مدة المجاهدة مبدأً لله بالله وللرسول بالرسول
وللغوث بالغوث.

- أن يستحضر الرسول صلى الله عليه وسلم، أي: أن يشعر بأنه صلى
الله عليه وسلم حاضر بين يديه.

- أن يتذلل ويعترف بالذلل والإثم.

- أن يشعر بالافتقار إلى رحمة الله، وشفاعة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وإلى بركة غوث هذا الزمان وكرامته ونظريته.

- أن تكون قراءة الصلوات الواحدة بنفس النغم والكيفية التي مثلها مؤلفها كياهي الحاج عبد المجيد معروف.

- عند المجاهدة الجماعية لابد أن تكون الأصوات متساوية في الارتفاع والانخفاض، ويكون الذكر بصوت جهري مقروناً بالبكاء.

والأمكنة التي اختاروها لتلك المجاهدة هي البيت والمسجد أو المصلى والقبور. ولعل الواحدة تختلف عن غيرها في كونها شبه منظمة رسمية، حيث تكون لها إدارة مركزية في مدينة كديرى بجاوا الشرقية، وتحتها فروع في كثير من مناطق إندونيسيا. وتلك الإدارات هي التي تنظم نشاطهم القوي البارز، الذي يتمثل في المجاهدات التي تعقد في أوقات ومناسبات عديدة معينة وهي على النحو التالي:

- مجاهدة يومية:

يقومون بها مرة في اليوم، وذلك بعد صلاة المغرب عادة، أو في أي وقت ممكن، وهذه إما فردية، أو جماعية مع أفراد الأسرة.

- مجاهدة أسبوعية:

يقام بها في كل أسبوع مع أعضاء الواحدة في قرية واحدة، وأظن أنهم يختارون ليلة الجمعة.

- مجاهدة شهرية:

يقام بها شهرياً مع الجماعة أيضاً، وهي أكبر وأوسع، لأنها تضم أعضاء الواحدة في ناحية واحدة (كتشامتان بالإندونيسية).

- مجاهدة ربع سنوية:

وهذه أوسع ضمناً من التي قبلها، فهي مجاهدة أعضاء الواحدة في محافظة واحدة، تقام في كل ثلاثة أشهر.

- مجاهدة نصف السنة:

تقام هذه المجاهدة في كل ستة أشهر، يشترك فيها أعضاء الواحدية في منطقة واحدة، أوسع من مجاهدة ربع السنة.

– مجاهدة كبرى:

تقام هذه المجاهدة في مقر الإدارة المركزية يحضرها أعضاء الواحدية من جميع مناطق إندونيسيا.

وهناك مناسبتان تقام فيهما هذه المجاهدة الكبرى، وهما شهر محرم في مناسبة مولد هذه الطريقة، وشهر رجب في مناسبة الإسراء والمعراج.

وهناك مجاهدات أخرى ترتبط بمؤسس الواحدية، حيث يطلب من الواحديين القيام بها، وذلك في مناسبة مولده ووفاته. فتقام المجاهدة في ليلة الجمعة في كل شهر، لأنه ولد يوم الجمعة، وتقام في التاسع والعشرين من شهر رجب في كل سنة، يحضرها أعضاء الطريقة في قرية واحدة، وهذا التاريخ هو تاريخ وفاته.

ومن الأشياء المزعجة، إن جاز هذا التعبير، والمثيرة لردود الفعل من قبل المجتمع، أنهم في تلك المجاهدات يقرؤون تلك الصلوات بصوت عال جماعي، ويطلب منهم أن يبكوا بشكل جماعي أيضاً، كلما اشتد البكاء كلما تكون المجاهدة أكمل.

كما أنهم في آخر المجاهدة، عند قراءتهم الآية:

{فَقِرُّوا إِلَى اللَّهِ} الذاريات 50

يقومون متجهين إلى الجهات الأربع، بدءاً من الغرب ثم إلى الشمال ثم إلى الشرق ثم إلى الجنوب، ثم يتدنون إلى جهة الغرب. وهذا أيضاً من آدابهم التي ما أنزل الله بها من سلطان.

أعلام التصوف

ابن أحنى

جاء في كتاب (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) للإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (775-832 هـ) :

فلما ابن أحنى: فهو على ما وجدت بخط أبي حيان، نقلاً عن الأستاذ أبي جعفر بن الزبير الغرناطي أبو عبد الله محمد بن علي بن أحنى اللورقي، كان لزم بمزنية ابن المرأة، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأومسي الملقب، شارح " الإرشاد لإمام الحرمين " ونقل عنه مذهب ابتداع لم يسبق إليه. فمن ذلك قولهم بتحليل الخمر، وتحليل نكاح أكثر من أربع، وأن المكلف إذا بلغ درجة العطاء عندهم، سقطت عنه التكليف الشرعية، من الصلاة والصيام وغير ذلك.

وقد استبان بهذا شيء من حل ابن أحنى، وابن المرأة، لأنه أخذ عنه. وزاد ابن المرأة بأنه كان على ما ذكر أبو جعفر بن الزبير صاحب حيل و تواريخ مستطرفة، يُلهي بها أصحابه ويؤنسهم، وكان يستطيع أشياء غريبة من الخواص وغيرها، وبذلك فتن الجهلة. وقال أبو حيان الأندلسي صاحب التفسير، في سورة المائدة عند قوله تعالى:

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} المائدة 17

(صفحة: 142-143):

(ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من أقر بالإسلام ظاهراً، واقتضى إلى الصوفية، حلول الله في الصور الجميلة، وذهب من ذهب من ملاحظتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة، كالحلاج، والشعوزي، وابن أحنى، وابن عربي المدفون بدمشق، وابن الفارض، وأتباع هؤلاء كابن سبعين).

وعد جماعة ثم قال: (وإنما سررت هؤلاء نصحاء لدين الله وشفقة على ضعفاء المسلمين).

ابن عربي الأندلسي

هو أبو بكر محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائفي الأندلسي، المعروف بابن عربي، صاحب كتاب الفصوص، والفتوحات المكية، توفي سنة (638 هـ)، عداؤه في غلاة الصوفية من أهل وحدة الوجود، الذين تقوم بدعتهم على القول بالوحدة الذاتية لجميع الأشياء مع تعدد صورها في الظاهر، فكل شيء هو الله، واختلاف الموجودات هو اختلاف في الصور والصفات، مع توحد في الذات، وقد اعتبر ابن عربي نفسه خاتم الأولياء.

ولد بالأندلس، ورحل منها إلى مصر، وحج وزار بغداد، واستقر في دمشق حيث مات ودفن، وله فيها الآن مسجد وقبر يُزار.

قال الذهبي رحمه الله: (ومن أروى تواليقه كتاب "الفصوص" ! فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة. فوا غوثاه بالله). (سير أعلام النبلاء: 23-48).

قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان:

(سألت شيخنا الإمام سراح الدين البلقيني عن ابن عربي، فبادر الجواب: بأنه كافر. فسألته عن ابن الفارض قُتل: لا أحب أن أتكلم فيه. قلت: فما الفرق بينهما والموضع واحد؟ وأشدته من التائية فقطع علي بعد إنشاء عدة أبيات بقوله: هذا كفر هذا كفر)). (لسان الميزان: 4-364).

وقال الحافظ أيضاً: (ولا أرى يتعصب للحلاج إلا من قال بقوله الذي ذكر أنه عين الجمع فهذا هو قول أهل الوحدة المطلقة ولهذا ترى ابن عربي صاحب الفصوص يعظمه ويقع في الجنيد، والله الموفق).

(لسان الميزان: 2-315)

مباهلة الحافظ ابن حجر أتباع ابن عربي في حال شيخهم وضلاله.

قال الحافظ السخاوي "رحمه الله" في الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني:

(ومع وفور علمه — يعني شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني — وعدم سرعة غضبه، فكان سريع الغضب في الله ورسوله، إلى أن قال: واتفق كما سمعته منه مراراً أنه جرى بينه وبين بعض المحبين لابن عربي منازعة كثيرة في أمر ابن عربي، أدت إلى أن نال شيخنا من ابن عربي لسوء مقلته. فلم يسهل بالرجل المنازع له في أمره، وهنّده بسلن يغري به الشيخ صفاء الذي كان الظاهر برقوق يعتقد، ليذكر للسلطان أن جماعة بمصر منهم فلان ينكرون الصالحين بالسوء ونحو ذلك. فقال له شيخنا: ما للسلطان في هذا مدخل، لكن تعال نتباهل؛ فقلما تناهل اثنين، فكان أحدهما كاذباً إلا وأصيب. فأجاب لذلك، وعلمه شيخنا أن يقول:

اللهم إن كان ابن عربي على ضلال، فالعني بلغتك، فقال ذلك.

وقال شيخنا:

اللهم إن كان ابن عربي على هدى فالعني بلغتك. وافترقا.

قال: وكان المعتد يسكن الروضة، فاستضافه شخص من أبناء الجند جميل الصورة، ثم بدا له أن يتركهم، وخرج في أول الليل مصمماً على عدم المبيت، فخرجوا بشيعونه إلى الشختور، فلما رجع أحسن بشيء مرّ على رجله، فقال لأصحابه: مرّ على رجلي شيء ناعم فتظروا، فنظروا فلم يروا شيئاً. وما رجع إلى منزله إلا وقد عمي، وما أصبح إلا ميتاً.

وكان ذلك في ذي القعدة سنة سبع وتسعين وسبع مئة، وكانت المباهلة في رمضان منها.

وكان شيخنا عند وقوع المباهلة عرّف من حضر أن من كان مبطلاً في المباهلة لا تمضي عليه سنة). الجواهر والدرر (1001/3-1002).

وكذلك نقل قصة المباهلة تلميذ الحافظ ابن حجر، نقي الدين الفاسي.

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين (2-198).

وقال العز بن عبد السلام "رحمه الله" في ابن عربي:
(شيخ سوء مقبوح، يقول بقدم العالم، ولا يحرم فرجاً).

(سير أعلام النبلاء: 23 — 48).

وَألف الشيخ برهان الدين البقاعي المتوفى سنة (885 هـ) كتاباً سماه:
تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي، ذكر فيه أسماء جماعة من السذنين
صرحوا بكفره، أو ذمه ذماً شنيعاً، منهم:

شمس الدين محمد بن يوسف الجزري (صفحة: 141)

وحفيده إمام القراء محمد بن محمد الجزري صاحب الجزرية (صفحة:

176)

وعلي بن يعقوب البكري (صفحة: 144)

ومحمد بن عقيل البالسي (صفحة: 146)

وابن هشام ، صاحب مقى اللبيب (صفحة: 150)

وشمس الدين محمد العيزري (صفحة: 152)

وعلاء الدين البخاري الحنفي (صفحة: 164)

وعلي بن أيوب (صفحة: 182)

وشمس الدين الموصلي (صفحة: 154)

وزين الدين عمر الكتاني (صفحة: 142)

وبرهان الدين السفافيني (صفحة: 159)

وسعد الدين الحارثي الحنبلي (صفحة: 153)

ورضي الدين بن الخياط (صفحة: 163)

وشهاب الدين أحمد ابن علي الناشري (صفحة: 163).

ومنهم: محمد بن علي النقاش قال: ((وهو مذهب الملحدين كاهن عربي

وابن سبعين وابن الفارض)).

وحدة الوجود (صفحة: 147)

ومنهم شرف الدين عيسى الزواوي المالكي المتوفى عام 743 هـ قال:

(ويجب على ولي الأمر إذا سمع بمثل هذا التصنيف (أي مؤلفات ابن عربي كالفصوص والفتوحات المكية) البحث عنه وجمع نسخه حيث وجدها وإحراقها، وتأديب من اهتم بهذا المذهب)). (العقد الثمين 2/176-177).

ومنهم تقي الدين الفاسي الذي ألف كتاباً سماه: عقيدة ابن عربي وحياته.

ومنهم علاء الدولة أحمد بن محمد السمناني المفسر الصوفي.
الدرر الكامنة: (1-250).

ومنهم: أبو حيان الأندلسي صاحب التفسير، فقد قال في تفسير سورة المائدة عند قوله تعالى:

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} المقعدة 17 (صفحة: 142-143):

(ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من أقر بالإسلام ظاهراً، واتمسى إلى الصوفية حلول الله في الصور الجميلة، وذهب من ذهب من ملاحدتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة كالحلاج، والشعوزي، وابن أحلي، وابن عربي المقيم بدمشق، وابن الفارض، وأتباع هؤلاء كابن سبعين). وعد جماعة ثم قال: (وإنما سردت هؤلاء نصحاً لدين الله وشفقة على ضعفاء المسلمين وليحذروا، فإتهم شر من الفلاسفة الذي يكذبون الله ورسله، ويقولون بقدوم العالم، وينكرون البعث، وقد أولع جهلة ممن ينتمي إلى التصوف بتعظيم هؤلاء، وادعائهم أنهم صفوة الله!!)).

ومنهم: تقي الدين السبكي:

(ومن كان من هؤلاء الصوفية المتأخرين كابن عربي وغيره فهم ضلال جهال خارجون عن طريقة الإسلام فضلاً عن الطماء وقال ابن المقري اليماني الشافعي في روضه إن الشك في كفر طائفة ابن عربي كفر).

مغني المحتاج للشربيني (3-61)

ومنهم السعد التفتازاني في كتابه "فاضحة الملحدين"

(مخطوطة محفوظة بمكتبة برن 2891 حسب بروكلمان ج 2 ص 35)

ومنهم القاضي بدر الدين بن جماعة قال: (حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم، يأذن في المنام بما يخالف ويعاند الإسلام - يشير إلى زعم ابن عربي أنه تلقى كتاب الفصوص من الرسول مكتوباً-، بل ذلك من وسواس الشيطان ومحنته وتلاعبه برأيه وفتنته.. وقوله في آدم: إنه إنسان العين، تشبيهه لله تعالى بخلقه، وكذلك قوله: الحق المنزه، هو الخلق المشبه إن أراد بالحق رب العالمين، فقد صرح بالتشبيه وتعالى فيه.. وأما إنكاره ما ورد في الكتاب والسنة من الوعيد: فهو كافر به عند علماء أهل التوحيد.. وكذلك قوله في قوم نوح وهود: قول لغو باطل مردود وإعدام ذلك، وما شابه هذه الأبواب من نسخ هذا الكتاب، من أوضح طرق الصواب، قبلها ألفاظ مزوقة، وعبارات عن معان غير محققة، وإحداث في الدين ما ليس منه، فحكمه: رده، والإعراض عنه).

عقيدة ابن عربي وحياته لتقي الدين الفاسي. (صفحة: 29، 30).

وقال نور الدين البكري الشافعي: *بسم الله الرحمن الرحيم*

(وأما تصنيف تذكر فيه هذه الأقوال ويكون مراد بها ظاهرها فصاحبها ألعن وأقبح من أن يتأول له ذلك بل هو كاذب، فسلجور كافر في القول والاعتقاد ظاهراً وباطناً وإن كان قائلها لم يرد ظاهرها فهو كافر بقوله ضال بجهله، ولا يعذر بتأويله لتلك الألفاظ إلا أن يكون جاهلاً للأحكام جهلاً تاماً علماً ولا يعذر بجهله لمعصيته لعدم مراجعة العلماء والتصنيف على الوجه الواجب من المعرفة في حق من يخوض في أمر الرسل، ومتبعيهم أعني معرفة الأدب في التعبيرات على أن في هذه الألفاظ ما يتعذر أو يتعسر تأويله، بل كلها كذلك، وبتقدير التأويل على وجه يصح في المراد فهو كافر بإطلاق اللفظ على الوجه الذي شرحناه)).

(مصرع التصوف صفحة: 144)

قال ابن خلدون:

(ومن هؤلاء المتصوفة: ابن عربي، وابن سبعين، وابن برجان، وأتباعهم، ممن سلك سبيلهم ودان بنحلّتهم، ولهم تواليف كثيرة يتداولونها، مشحونة من صريح الكفر، ومستهجن البدع، وتلويل الظواهر لذلك على أبعاد الوجوه وأقبحها، مما يستغرب الناظر فيها من نسبتها إلى الملة أو عذّاها في الشريعة، وليس ثناء أحد على هؤلاء حجة ولو بلغ المثني عسى ما يبلغ من الفضل لأن الكتاب والسنة أبلغ فضلاً أو شهادة من كل أحد، وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة وما يوجد من نسخها في أيدي الناس مثل الفصوص والفتوحات المكية لابن عربي.. فالحكم في هذه الكتب وأمثالها إذهاب أعينها إذا جدت بالتحريق بالنار والفصل بالماء حتى ينمحي أثر الكتاب). (مصرع التصوف صفحة: 150).

وقال ابن خلدون أيضاً:

(هذا العلم - السّحر - حدث في الملة بعد صدر منها، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة، الحلاج، ابن عربي، الغنوي، التلمساني، ابن سبعين، ابن الفارض. وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم والتصرفات في عالم العناصر، وتدوين الكتب والاصطلاحات ومزاعمهم في تنزل الوجود عن الواحد وترتيبه. وزعموا أن الكمال الأسماقي مظاهر أرواح والأفلاك والكواكب وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء فهي سارية في الأكوان).

مقدمة ابن خلدون (صفحة: 930)

وقال نجم الدين البالسي الشافعي:

(من صدّق هذه المقالة الباطلة أو رضيها كان كافراً بالله تعالى يراق دمه ولا تنفعه التوبة عند مالك وبعض أصحاب الشافعي، ومن سمع هذه المقالة القبيحة تعين عليه إنكارها)).

(مصرع التصوف صفحة: 146)

وقال الشيخ شمس الدين محمد بن يوسف الجزري الشافعي:

(الحمد لله، قوله: فإن آدم عليه السلام، إنما سمّي إنساناً: تشبيهه وكذب باطل، وحكمه بصحة عبادة قوم نوح للأصنام كفر، لا يقر قائله عليه، وقوله: إن الحق المنزه: هو الخلق المشبه، كلام باطل متناقض وهو كفر، وقوله في قوم هود: إنهم حصلوا في عين القرب، لفتراء على الله ورذ لقوله فيهم، وقوله: زال البعد، وصيرورية جهنم في حقهم نعيماً: كذب وتكذيب للشرائع، بل الحق ما أخبر الله به من بقاتهم في العذاب.. وأما من يصدقه فيما قاله، لعلمه بما قال: فحكمه كحكمه من التضليل والتكفير إن كان عالماً، فإن كان ممن لا علم له: فإن قال ذلك جهلاً: عُرف بحقيقة ذلك، ويجب تعليمه وردعه مهما أمكن.. وإكراهه الوعيد في حق سائر العبيد: كذب وردّ لإجماع المسلمين، وإنجاز من الله عز وجل للعقوبة، فقد نلت للشرعية دلالة ناطقة، أن لا بدّ من عذاب طائفة من عصاة المؤمنين، ومنكر ذلك يكفر، عصمنا الله من سوء الاعتقاد، وإنكار المعاد).

(عقيدة ابن عربي وحياته لتقي الدين الفاسي صفحة: 31، 32)

وقال الحافظ العراقي: *مركز حقيقته تكوّن من علوم راسخ*

(وأما قوله فهو عين ما ظهر وعين ما بطن، فهو كلام مسموم ظاهره القول بالوحدة المطلقة، وقائل ذلك والمعتقد له كافر بإجماع العلماء).
(مصرع التصوف صفحة: 64).

وقال أبو زرعة ابن الحافظ العراقي:

(لا شك في اشتغال "الفصوص" المشهورة على الكفر الصريح الذي لا شك فيه، وكذلك فتوحاته المكية، فإن صبح صدور ذلك عنه، واستمر عليه إلى وفاته: فهو كافر مخلد في النار بلا شك).

(عقيدة ابن عربي وحياته لتقي الدين الفاسي صفحة: 60).

ومنهم ابن طولون حيث قال وهو يذكر من طعن في ابن عربي:

(وسمعت الشيخ الكفر السوسي يقول: رقام بعض المتأخرين إلى نحو خمسمائة منهم: قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز

المصري، والعلامة شهاب الدين أحمد بن حمدان الحراني، وعلامة زمته
 تقي الدين ابن تيمية، والعلامة كمال الدين جعفر الأنفوي، والحافظ ابن
 كثير، ونادرة زمنه علماً وعملاً علاء الدين البخاري، وقاضي القضاة أبو
 زرعة العراقي، وقاضي القضاة بدر الدين العيني، وشيخ الإسلام شمس
 الدين البلاتنسي، والعلامة محمد بن إمام الكاملية الصوفي، وحافظ العصر
 شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني، والفقيه تقي الدين ابن الصلاح،
 وقاضي القضاة ابن دقيق العيد، وبدر الدين ابن جماعة، وشيخ الإسلام
 تقي الدين السبكي. (القلاد الجوهريّة في تاريخ الصالحية 538/2 - 539).

زعم ابن عربي أنه نقل علمه وكتبه عن الرسول صلى الله عليه وسلم
 مباشرة، وكتب عن اللوح المحفوظ بلا وساطة.

وصاغ ابن عربي عقيدة وحدة الوجود بكل جرأة وبلا مواربة، بل بقليل
 من التلّيس والمراوغة، واستطاع أن يخرف آيات القرآن فيزعم أن قوم
 هود الكافرين كانوا على الصراط المستقيم، وأن فرعون كان مؤمناً كاملاً
 الإيمان، وأن قوم نوح كانوا مؤمنين، فجأهم الله بأن أغرقهم في بحر
 الوحدة، وأدخلهم نار الحب الإلهي ليتنصوا فيها، وأن هارون أخطأ لأنه
 نهى بني إسرائيل عن عبادة العجل، وما كان العجل إلا المعبود الحق، أو
 صورة من صور المعبود الحق، وأن قوم نوح أصابوا في عدم تركهم وداً
 وسواهاً ويغوث ويعوق ونسراً لأنها مظاهر للإله الواحد، وأن النار عذوبة
 لا عذاب، وأنه ما من إنسان إلا مرحوم مرضى عنه، وأن الله لا يعظم شيئاً
 قبل وجوده، لأن وجود الشيء هو وجود العظم، بل وجود كل شيء هو
 ترجمة لوجود الله (تعالى الله عن ذلك) أقول:

بالرغم من أن ابن عربي قال هذا الكلام كله، بل هذا جزء يسير جداً مما
 قاله، فبقه أدعى بأن كل ذلك قد نقله بلا زيادة ولا نقصان عن الرسول
 الذي أمره بتبليغ ذلك للناس، وبالرغم أيضاً من كل ذلك فقد وجد هذا
 الرجل من المروجين والأتباع ما لا يقع تحت الحصر منذ ظهوره إلى

زماقنا هذا، ومن أمة الإسلام الذين يشهدون في كل يوم مرات كثيرة بأن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وهذا من أعجب العجب.
وهاك الآن نقولاً من كتبه تلك على هذه العقيدة.

1- قال في مطلع كتابه "فصوص الحكم" وهو الكتاب الذي جعله خاتمة لأعماله جامعاً لعقيدته: "أما بعد فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مبشرة أريتها في العشر الآخر من المحرم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده صلى الله عليه وسلم كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم خذ واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا" ثم يقول:

فحققت الأمنية، وأخلصت النية، وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي الرسول صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان" (الفصوص، ص 47، طبع بيروت. تحقيق: أبو العلاء عفيفي).

ويقول في مكان آخر بعد أن ذكر مواضيع الكتاب: "فأقتصرت على ما ذكرته من هذه الحكم في هذا الكتاب على حد ما ثبت في أم الكتاب، فامتثلت ما رسم لي، ووقفت عند ما حد لي، ولو رمت زيادة على ذلك ما استطعت فإن الحضرة تمنع من ذلك" (ص 58).

ويقول أيضاً في "فص حكمة علوية في كلمة موسوية": "وأنا إن شاء الله أسرد منها في هذا الباب على قدر ما يقع به الأمر الإلهي في خاطري فكان هذا أول ما شوفت به من هذا الباب" (ص 58).

وهذه النقول من مقدمة الكتاب ومن ثلثها تطمك إصرار الرجل أنه ينقل عن الله مباشرة بل مشافهة، وعن اللوح المحفوظ رأساً، وعن الرسول الذي أمره في تلك الرؤيا المزعومة أن يخرج على الناس بهذا الكتاب، فماذا في هذا الكتاب من العلم بالله ورسالاته والهدى والنور؟ لننظر.

2- يزعم ابن عربي أن قوم نوح أجابوا رسولهم إجابة حقيقية، وأن نوحاً مكر بهم فمكروا به، وأن تمسكهم بآلهتهم إنما هو تمسك بحق أراد نوح أن يزيلهم عنه، وهك نص عباراته في ذلك:

"علم الطماء بالله ما أشار إليه نوح عليه السلام في حق قومه من النشاء عليهم بلسان الذم، وعلم أنهم إنما لم يجيبوا دعوته لما فيها من الفرقان، والأمر قرآن لا فرقان، ومن أقيم في القرآن لا يصفي إلى الفرقان وإن كان فيه... دعاهم ليغفر لهم، لا ليكشف لهم، وفهموا ذلك منه صلى الله عليه وسلم. لذلك {جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ} نوح 7 وهذه كلها صورة الستر التي دعاهم إليها، فلجأوا دعوته بالفعل، لا بلبسك. قال نوح في حكمته لقومه:

{يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً} هود 52

وهي المعارف العقلية في المعاني والنظر الاعتباري،

{وَيُمْنِدْكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ} نوح 12

أي بما يميل بكم إليه، فإذا مال بكم إليه رأيتم صورته فيه، فمن تخيل منكم أنه رآه فما عرفه، ومن عرف منكم أنه رأى نفسه فهو العارف" (ص 71).

فتنظر كيف جعل المطر والخصب الذي هو نتيجة للصلاح والتقوى والإيمان والاستغفار والمعارف العقلية.. وكيف جعل الأموال أي ما يميل بهم إليه فيرون صورته فيه، وهذه هي وحدة الوجود، ولذلك يقول بعدها: "فمن تخيل أنه رآه فما عرف وأما من رأى نفسه فهو العارف".

ثم يقول: {وَمَكْرُوا مَكْرًا كَبِيرًا} نوح 22

لأن الدعوة إلى الله مكر بالمدعو، أدعو إلى الله فهذا عين المكر، فلجأوه مكرأ كما دعاهم (ص 72)، فتنظر كيف جعل الدعوة إلى الله مكرأ

بالمدعوين، بل عين المكر ثم بين نوع المكر الذي قابل قوم نوح نوحاً،
ليقول: "فَقَاتِلُوا فِي مَكْرِهِمْ:"

﴿لَا تَدْرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَسُرًّا﴾ نوح 23

فبتهم إذا تركوهم جهلوا من الحق على قدر ما تركوا من هؤلاء، فإن
للحق في كل معبود وجهاً يعرفه من يعرفه، وجهه من وجهه...، فما عبد
غير الله في كل معبود" (ص72).

وبهذا يجعل ابن عربي تلك الآلهة الباطلة التي عبدها قوم نوح آلهة
حقة، لأنها في زعمه وجه من وجوه الحق.

ثم يقول مكملاً تبديل آيات الله: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ﴾ لأنفسهم
(المصطفين) الذين أورثوا الكتاب أول الثلاثة، فقمه على المقتصد
والسابق ﴿إِلَّا ضَلَالًا﴾ إلا حيرة" (ص73).

وهنا يجعل ابن عربي قول الله في شأن قوم نوح:

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ نوح 24

وهو الدعاء الذي دعا به نوح على قومه، يجعل ابن عربي هذا الظلم
كالظلم الذي وصف الله به طائفة من الذين أورثهم الكتاب حيث قال:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ
وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ فاطر 32

فيجعل هذا الظلم كذلك الظلم، وهذا غاية التلبس والتعطية.

ثم يقول ابن عربي: ﴿مما خطيئاتهم﴾ فهي التي خطت بهم، ففرقوا في
بحار العلم بالله. ﴿فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾ فكان الله عين
أنصارهم، فهلكوا فيه إلى الأبد" (ص33)، ثم يحرف قول الله تعالى:

﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ بَضَلُوا عِبَادَكَ﴾ قللاً:

"أي يحبروهم، فيخرجوهم من العبودية إلى ما هم فيه من أسرار الربوبية، فينتظرون أنفسهم أرباباً بعدما كانوا عند أنفسهم عبيداً، فهم العبيد الأرباب" (ص74).

فيجعل ضلال قوم نوح إنما هو حيرة، لأنهم عرفوا أسرار الربوبية، وأن كل موجود هو الله، فأصبحوا بذلك أرباباً عند أنفسهم..

ثم يحرف كلمات الآية الباقية فيجعل (رب اغفر لي) وهو بقية كلام نوح أي استرني، (ولوالدي) يعني العقل والطبيعة و (لمن دخل بيتي) يعني قلبي، (والمؤمنين) أي العقول. (والمؤمنات) أي النفوس (ولا تزد الظالمين) أي أهل الغيب، (إلا تباراً) أي هلاكاً، فلا يعرفون نفوسهم لشهودهم وجه الحق دونهم، ثم يقول بعد ذلك: "ومن أراد أن يعرف أسرار نوح فعليه بالرقى في فلك نوح، وهو في (التنزيلات الموصلية) لنا والله يقول الحق" (ص74).

3- لم يكتف ابن عربي بتصحيح موقف قوم نوح الضالين المكنيين، بل عمد إلى جميع كفار الأرض فجعلهم مؤمنين موحدتين عارفين واصلين، وعمل إلى المسلمين فجعلهم مؤمنين بجزء من الحق فقط كافرين بالأجزاء الأخرى، ولم ينس ابن عربي فرعون اللعين الذي لم تعرف الأرض قبله أكفر منه ولا أظلم، فجعله من المؤمنين الموحدين الفائزين بالجنة حيث يقول:

"ولما كان فرعون في منصب التحكم صاحب الوقت، وأنه الخليفة بالسيف، وإن جار في العرف الناموسي، لذلك قال: (أنا ربكم الأعلى) أي وإن كان الكل أرباباً بنسبة ما فأتا ربكم الأعلى منهم، بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيكم، ولما علمت السحرة صدقه في مقاله لم ينكروه، بل أقروا له بذلك، فقالوا: (إنما تقضي هذه الحياة الدنيا). (فالقض ما أنت قاض) فالدولة لك، فصح قوله: أنا ربكم الأعلى" (ص210،211).

وهذا الكلام واضح ووازنه بكلام الحلاج الآنف في شأن فرعون، لتعظم وحدة العقيدة التي دعا إليها هؤلاء الأقوام. بقي أن تعظم إشارات الخبيثة في كلامه، نحو: أن فرعون كان الخليفة بالسيف، ويعني بالخليفة قول الله لداود:

﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ ص 26

فيقيس الخلافة الشرعية النبوية على الملك المتسلط الفاجر، ثم شريعة موسى عرفاً، أي ما يعرفه موسى، ولذلك اتهم بعض الصوفية الآخرين موسى عليه السلام بالجهل، وفرعون بالعلم والمعرفة، فقال:

كان فرعون أعلم بالله من موسى، لأنه عرف حقيقة الحق، وأما موسى فما عرف إلا وجهاً واحداً، ولم يعرف أن الكل أرباب وأنهم مخلوقون في نفس الوقت، فالإنسان عندهم هو الحق والخلق، كما سيأتي بالنص إن شاء الله من كلام ابن عربي، ولذلك قال ابن عربي مطلقاً كلمة فرعون:

(أنا ربكم الأعلى) أن الكل أرباب بنسبة ما؛ وفرعون أعلى من هؤلاء الأرباب، لأنه الملك المطاع في ذلك الوقت.

وعلى هذا فقد حكم له بالإيمان والجنة زاعماً أنه آمن عندما رأى انفلاق البحر لبني إسرائيل، فنجاه الله من العذاب الآخروي، وعمته النجاة حساً ومعنى، وأتكر على من يقول: إنه من المعذبين قائلاً: ليس لديهم نص في هذا المعنى، مع العلم أن الله يقول عنه:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَمَلَطْنَا مِيقَاتِهِ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمُلْكِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبُنِسَ الْوَرْدَ الْمُرْوَدُ * وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بُنِسَ الرِّفْدَ الْمُرْفُودُ﴾ (هود: 96-99).

وما غلب هذا النص عن ابن عربي، ولكنه التلبيس والشغبية والمكر، ومخالفة سبيل المؤمنين من أولهم إلى آخرهم.

وعلى هذه العقيدة الباطلة أيضاً صحح ابن عربي موقف السامري، وصناعته للعجل الذي فتن به بنو إسرائيل، فعبدوه من دون الله، وخطأ ابن عربي هارون عليه الصلاة والسلام، لأنه ما عرف الحق، وأنكر على بني إسرائيل، وزعم ابن عربي أن موسى عرف الحق وأنكر على السامري أن يحصر الإله في شيء واحد فقط، لأن عين كل شيء هي عين الإله، وهي عين الحق (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

يقول ابن عربي في ذلك:

ثم قال هارون لموسى عليه السلام:

{إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} طه 94

فتجعلني سبباً في تفريقهم، فإن عبادة العجل فرقت بينهم، فكان منهم من عبده اتباعاً للسامري وتقليداً له، ومنهم من توقف عن عبادته حتى يرجع إليهم موسى فيسألونه عن ذلك، فخشي هارون أن ينسب ذلك للفرقان بينهم إليه، فكان موسى أعلم بالأمر من هارون، لأنه علم ما عبده أصحاب العجل، لعلمه أن الله قضى ألا يعبد إلا إياه.. وما حكم الله بشيء إلا وقع.. فكان عتب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتساعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء (الفصوص ص 192).

فانظر كيف زعم الخبيث أن موسى علم أن أصحاب العجل ما عبدوا إلا الله، لأن الله قال:

{وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ} (الإسراء: 23)،

فجعل هذا القضاء قضاء كونياً قديراً، وأن الله ما حكم بشيء إلا وقع، ومعنى هذا عنده أن كل معبود في الأرض إنما هو الله، وما عبد الإنسان شيئاً حجراً أو غيره إلا عبد الله، مستدلاً بالآية السالفة بمعنى حكم وأمر، وهذا الحكم والأمر حكم شرعي، فمن هداه الله ووفقه إليه امتثلته. ومن

اتبع سبيل الغواية والشيطان انحرف ومال عنه، كبقية الأوامر الشرعية،
نحو وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، ونحو قوله تعالى:

﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن
يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ (الأحزاب: 36).

وقد خالف قضاء الله وأمره كثير من الكفار والملاحدة والجاهليين،
وخالف بعض المؤمنين بعض ما قضى الله به ورسوله، وكثيراً مما أمر
به.

وما قد رأيت أن ابن عربي ختم عبارته بقوله:

"فلعارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء"

وهذا منتهى العقيدة الصوفية، والفرق هو الاصطلاح الصوفي لمن
تحقق من هذه العقيدة الخبيثة، ووصل النهاية في هذا العلم الخبيث
(والحق) هو الله في زعمهم، تعالى الله عن ذلك وسبحانه، وهو حسينا ونعم
الوكيل.

ثم يتم ابن عربي شرح عقيدته الباطلة، فيحرف معنى قول الله تعالى:
﴿فما خطبك يا سامري﴾ قائلًا: "يعني فما صنعت من عدو لك إلى صورة
العجل على الاختصاص" أي لماذا خصصت العجل فقط بكونه إلهًا، والحال
في هذه العقيدة أن كل شيء هو الله، ولذلك حرق موسى العجل حتى لا
يحصر الإله في شيء واحد (تعالى الله عن ذلك) ثم يستطرد الخبيث قائلًا:
"وقال له: (وانظر إلى إلهك) فسماه إلهًا بطريق التنبيه للتعظيم أنه بعض
المجالي الإلهية"

فاتظر كيف زعم أن قول موسى للسامري: (وانظر إلى إلهك) أن هذا
اعتراف موسى بالوهمية العجل، لأنه بعض الأشياء التي يتجلى فيها الرب
(سبحانك هذا بهتان عظيم، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا
كذباً).

ثم يفلسف ابن عربي عدم تسلط هارون على نفس العجل وإحراقه،
 وكون موسى هو الذي سلط على ذلك، زاعماً أن هذا كان ليعبد الله في كل
 صورة، والعجل هو إحدى هذه الصور التي يجب عنده -لعنه الله- أن يعبد
 الله فيها، ويحرف في ذلك قول الله تعالى: {ارفع الدرجات} فله درجات
 يعبد فيها، وكل صنم وإله عبد في الأرض، فهو إحدى درجات الله في
 زعمه (تعالى الله عن ذلك) ثم يجعل عبادة الهوى أعظم هذه الدرجات
 وأسماءها. وهك نص عبارته في ذلك:

"فكان عدم قوة إرداع هارون بالفعل أن ينفذ في أصحاب العجل بالتسلط
 على العجل كما سلط موسى عليه حكمة من الله تعالى ظاهرة في الوجود،
 ليعبد في كل صورة وإن ذهبت تلك الصورة بعد ذلك، فما ذهبت إلا بعد ما
 تلبست عند عابدها بالأكوهمية"



ثم يقول:

"وما عبد شيء من العالم إلا بعد التلبس بالرفعة عند العابد، والظهور
 بالدرجة في قلبه، وكذلك تسمى الحق لنا برفع الدرجات، ولم يقل.. رفع
 الدرجة، فكثير الدرجات في عين واحدة، فبقه قضى أن لا يعبد إلا إياه في
 درجات كثيرة مختلفة، أعطت كل درجة مجلى إلهياً عبد فيها، وأعظم مجلى
 عبد فيه وأعلاه (الهوى) كما قل:

{أفرعيت من اتخذ إلهه هواه} (الجنّة: 23)

وهو أعظم معبود، فبقه لا يعبد شيء إلا به.. ولا يعبد هو إلا بذاته،
 وفيه أقول:

وحق الهوى إن الهوى سبب الهوى

ولولا الهوى في القلب ما عبد الهوى

(الفصوص ص 194)

ثم يقول بعد ذلك:

"والعارف المكمل من رأى كل معبود مجلى للحق يعبد فيه، ولذلك سموه كلهم إلهاً مع اسمه الخاص بحجر أو شجر، أو حيوان أو إنسان، أو كوكب أو ملك" (الفصوص ص195).

ثم جعل ابن عربي بعد ذلك كفار قريش الذين تمسكوا بآلهتهم الباطلة قاتلين:

{ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى} (الزمر:3)

غير منكرين الله، بل متعجبين لأنهم وقفوا مع كثرة الصور، ونسبوا الألوهية إليها، ثم يزعم أن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قد جاء داعياً لهم إلى إله يعرف، ولا يشهد.. ثم يصف ابن عربي هذا الإله قاتلاً: "فدعا (أي الرسول محمد صلى الله عليه وسلم) إلى إله يصمد إليه ويعظم من حيث الجملة.. ولا يشهد ولا تدركه الأبصار، للطفه وسريته في أعيانه الأشياء، فلا تدركه الأبصار كما أنها لا تترك أرواحها المدبرة أشباحها وصورها الظاهرة، وهو اللطيف الخبير، والخبرة نوق، والنوق تجل، والتجلي في صور فلا بد منها، ولا بد منه، فلا بد أن يعبد من رآه بهواه إن فهمت.."، ثم يقول مستهزئاً بعقول الجاهلين: "وعلى الله قصد السبيل..".

وأظنك أيها القارئ قد فهمت الآن العقيدة التي دعا إليها ابن عربي والإله الذي تخيله، وهو ما زعم أنه الروح الذي يسري في جميع الموجودات، بل الموجودات هي صورته الظاهرة.. وهي عينه (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) ولم يكتف أن ينسب هذا إلى نفسه، ومن شايعه، بل زعم أن هذه هي عقيدة موسى وعيسى ومحمد، بل وجميع الأنبياء والمرسلين الذين عرفوا الأمر على حقيقته، وأن الرسول قد أعطاه هذا الكتاب، ليخرج به على الناس ليبلغهم الدين الحق، والرسالة الصحيحة، وأنه نقل فقط، وما تصرف في شيء، بن سر في حدود ما أمر به، ولم يزد حرفاً واحداً.

4- ولم تستطع عقبة أن تقف أمام ابن عربي لترده إلى صوابه، وليعلم العقيدة الحقّة، ولكنه مضى في شوط التلبّيس والتخطيط إلى منتهاه. وكنت من هذه العقبات للعقيدة في النار: جهنم التي أَعَدَّها الله للكافرين، والتي يصطرخون فيها:

لَرَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عَذَابَا ظَالِمُونَ { (المؤمنون: 107)

والتي يتمنون فيها الموت، بل يكون هو منتهى آمالهم وغاية مطلبهم {ونادوا يا مالِك ليقض علينا ربك} فيرد عليهم مالِك قاتلاً {إنكم ماكثون} (الزخرف: 77)، جهنم التي يدعو أهلها على أنفسهم بالويل والثبور، ويرد الله عليهم قاتلاً:

{لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً} (الفرقان: 14) لأنه لا استجابة لهم، ولا خروج منها، فلا يموتون فيها ولا يحيون، وآيات كثيرة في وصف جهنم، وبشاعتها وحرقتها، وعذاب أهلها بها، كل هذه الآيات لم تمنع ابن عربي الذي حكم لقوم توج بالمعرفة والإيمان، ولقوم فرعون وكفار مكة كذلك، بل لكل كافر على الأرض أنه ما عبد إلا الله في صورة من الصور، أقول: كذلك هذه الآيات لم تمنع ابن عربي أن يحكم لأهل النار بالنعيم المقيم، والسعادة والهناء. وأين ذلك؟.. في النار نفسها، هذه النار التي وصفها الله بما وصف، ووصف أهلها بما وصف.. هذه النار دار سعادة عند ابن عربي، لا دار شقاوة وعذاب، بل دار عذوبة وهناء. وهاك نص عبارته في ذلك:

وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم

على لذة فيها نعيم مبين

نعيم جنات الخلد، فالأمر واحد

وبينهما عند التجلي تباين

يسمى عذاباً من عذوبة طعمه

وذاك له كالفشر والقشر صاين

(الفصوص ص 94)

فاتظر كيف جعل نعيم النار كنعم الجنة، لأن الأمر واحد في زعمه، وأن العذاب من العذوبة، وأن النار قشرة تخفي وراءها النعيم المقيم لأهل النار. ويقول أيضاً: "فمن عبداً لله من تتركه تلك الآلام في الحياة الأخرى في دار تسمى جهنم، ومع هذا لا يقطع أحد من أهل العظم الذين كشفوا الأمر على ما هو عليه إنه لا يكون لهم في تلك الدار نعيم خاص بهم، إما بفقد ألم كانوا يجدونه، فارتفع عنهم، فيكون نعيمهم راحتهم عن وجدان تلك الآلام.. أو أن يكون النعيم مستقلاً زائداً كنعم أهل الجنان والله أعلم" انتهى. (الفصوص ص 114).

ومع أنه تناقض هنا مع ما قرره في أبياته السابقة، وقال:

يكون النعيم لأهل النار بفقد آلام سابقة، أو بحصول لذة ومتاع بالنار كنعم الجنة و (أو) تقتضي الشك، ولذلك قال:

والله أعلم، مع العلم أنه قال في مطلع الكتاب: في ثلثياه أنه ينقل عن الله بلا زيادة ولا نقصان.. فتأمل هذا التهافت والتخبط والعصى.. نعوذ بالله من الخذلان.

أقول مع هذا يعود ويقرر دون شك أن النار ستكون برداً وسلاماً على أهلها، كما كانت نار إبراهيم برداً وسلاماً عليه، يقول في (الفصوص ص 169): "وأما أهل النار فمآلهم إلى النعيم ولكن في النار.. إذ لا بد لصورة النار بعد انتهاء مدة العقاب أن تكون برداً وسلاماً على من فيها، وهذا نعيمهم، فينعم أهل النار بعد استيفاء الحقوق نعيم خليل الله حين ألقى في النار، فبأنه عليه السلام تحب برؤيتها. وبما تعود في علمه، وتقرر من أنها صورة تؤلم من جاورها من الحيوان"

5- أظنك أيها القارئ الكريم قد عرفت الآن فرعبات هذه العقيدة للصوفية الباطلة، ولمزيد من هذه المعرفة والتوضيح سأنتقل إليك بيتاً واضحاً من كلام ابن عربي مما تتصور به هذه العقيدة، ويكفي في إبطالها أن تتصورها، فهذه العقيدة لا تحتاج إلى رد يبطلها، وإنما تصورها تصوراً صحيحاً يكفي لبطلانها. فما عرف البشر في تاريخهم الطويل كفراً وإلحاداً أعظم من هذا الكفر؛ فإِنَّ الله تبارك وتعالى استعظم مقلّة من قلّوا:

{اتخذ الله ولداً} سبحانه وتعالى عن ذلك قتلاً:

لو ينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً * ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً {الكهف: 4-5}.

وقل جل وعلا:

لو قالوا اتخذ الرحمن ولداً * لقد جئتم شيئاً إداً * تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً * أن دعوا للرحمن ولداً * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً * إن كل من في السماوات والأرض إلا عاتي الرحمن عبداً * لقد أحصاهم وعدهم عدداً * وكلهم عاتيه يوم القيامة فرداً {مريم: 88-95}.

فإذا كانت السماوات تكاد تتفطر من تلك المقلّة الخبيثة، بل وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً، فكيف بمن ينسب كل شيء خبيث في الأرض إلى ذات الله، بل جعله عين الله؟.. فالذين نسبوا لله ولداً نسبوا شيئاً صالحاً كنبى لو ملك، أما الذي جعل الله عين كل شيء..

أقول: إن تصور هذه العقيدة يكفي لبطلانها عند من له أدنى حس أو شعور، ولا أقول عقل ولب، فالقضية لا تحتاج معقولة لردّها، وإنما تحتاج قليلاً من الإحساس والشعور، والحياء والخجل، وقد لبس هؤلاء الشياطين على الناس زاعمين أن كلامهم لا يفقهه إلا من ذاق نوقهم، ووجد وجدهم،

وعرف معرفتهم، هاتنا ذا أعطيك مفاتيح هذه المعارف الباطنية، والنوق الخبيث، والوجد اللعين، لتعرف الأمر عندهم على ما هو عليه، ولذلك فسأورد لك طائفة أخرى من الشرح التفصيلي لهذه العقيدة، وكل هذا الشرح من كلام القوم حتى لا يبقى عندك في الحق لبس، ولتعلم أيضاً أن من زعم منهم أن هذا الكلام المنقول عن أساتذة الضلال إنما هو شطح فقط، وغلبة حال فزعمه باطل، لأن الأمر ليس شطحاً، وإنما هو عقيدة فلسفية مقررة مشروحة في عشرات الكتب، وأن كل آي القرآن قد حرفوها واستدلوا بها، ليغيروا عقيدة المسلمين الحققة في إلههم سبحانه وتعالى، الذي يتصف بصفات الكمال، والذي لا يشبه أحداً من خلقه، بل هو الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولمن يكن له كفواً أحد.

يقول ابن عربي شارحاً عقيدته مستنداً عليها بالحديث الموضوع: "من عرف نفسه عرف ربه" قال: "قال عليه السلام: من عرف نفسه عرف ربه"، وهو أعلم الخلق بالله، فإن بعض الحكماء وأبا حامد ادعوا أنه يعرف الإله من غير نظر في العالم، وهذا غلط، نعم تعرف ذات قديمة أزلية، لا تعرف أنها إله حتى يعرف المألوه، فهو الدليل عليه، ثم بعد هذا في ثلثي حال يعطيك الكشف أن الحق نفسه كان عين الدليل على نفسه وعلى ألوهيته، وأن العالم ليس سوى تجليه في صور أعيانهم الثابتة التي يستحيل وجودها بدونه، وأنه يتنوع ويتصور بحسب حقائق هذه الأعيان وأحوالها، وهذا بعد العلم به منا أنه إله لنا، ثم يأتي الكشف الآخر، فيظهر لك صورنا فيه، فيظهر بعضنا لبعض في الحق، فيعرف بعضنا بعضاً.

(الفصوص ص 81، 82).

فهنا قد أنكر ابن عربي على أبي حامد وبعض المتصوفة الآخرين الذين قالوا: إن الحق لا يشترط لمعرفته النظر في الكون، بل قد يأتي ذلك عن طريق الكشف رأساً دون استدلال بالكون المشاهد على الخالق سبحانه وتعالى. وقال ابن عربي: "إن هذا لا يكفي إلا لمعرفة ذات قديمة أزلية،

ولكن لا بد من النظر في الكون لتعلم أن الذي تشاهده هو الحق، وهو الدليل على الحق، أي أن الصور المشاهدة في الكون هي الله، وهي الدليل عليه، ثم يأتي بعد ذلك الكشف الآخر الذي يتحقق الإنسان فيه من نفسه أيضاً بأنه نفسه صورة من صور الحق، فعند ذلك يعرف نفسه، فيعرف ربه، يعرف نفسه أنه الله، فيعرف الله أنه كل موجود...

ولم يكتب ابن عربي بأن يتبع أسلوب الثعالب في اللف والدوران والمراوغة، بل اتبع أيضاً أسلوب الاستفزاز لكل مؤمن، والنيل من عقيدة الإسلام بكل احتقار واستهزاء، ويدلك على ذلك أن اسم الله عز وجل (العلي) يفهم منه سلف الأمة وعلمائها الأفاضل أن المقصود به العلو الحقيقي المستلزم مباينته تعالى لخلقه، والعلو المجازي الذي هو علو المكانة، فالله على بذاته سبحانه وتعالى لأنه فوق عرشه، والعرش سقف المخلوقات كما مدح نفسه بذلك في سبع آيات من كتابه الكريم، وكما قال مالك بن أنس:

"الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة"، وأما المكانة فمنزلة الله عز وجل فوق كل منزلة، فهو العلي العظيم سبحانه وتعالى، والخالق القوي القدير، وما سواه معبود مربوب مقهور، فحتى العلماء الذين نفوا عن الله العلو الحقيقي، وأثبتوا علو المكانة فقط ما نفوا عن الله هذه الصفة، ولكن انظر إلى ابن عربي كيف فهم هذه الصفة، وطبقها حسب عقيدته الباطلة:

قال في (الفصوص ص 76-77):

"ومن أسمائه الحسنی العلي، على من.. وما ثم إلا هو؟ فهو العلي لذاته. أو عن ماذا. وما هو إلا هو؟ فعلوه لنفسه، وهو من حيث الوجود عين الموجودات، فالسمى المحدثات هي العلية لذاتها، وليست إلا هو، فهو العلي، لا علو إضافة، لأن الأعيان التي لها العدم الثابتة فيه ما شمت رائحة من الوجود، فهي على حالها مع تعداد الصور في الموجودات،

والعين واحدة من المجموع في المجموع، فوجود الكثرة في الأسماء، وهي النسب، وهي أمور عسمية، وليس إلا العين الذي هو الذات فهو العلي لنفسه لا بالإضافة، فما في العالم من هذه الحيثية علو إضافة لكن الوجوه الوجودية متفاضلة، فعلو الإضافة موجود في العين الواحدة من حيث الوجوه الكثيرة، لذلك نقول في: هو لا هو، أنت لا أنت، قال الخراز (رحمه الله تعالى) وهو وجه من وجوه الحق ولسان من ألسنته ينطق عن نفسه بأن الله تعالى لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه بها، فهو الأول والآخر، والظاهر والباطن، فهو عين ما ظهر، وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثم من يراه غيره، وما ثم من يبطن عنه، فهو ظاهر لنفسه باطن عنه، وهو المسمى أبا سعيد الخراز وغير ذلك من أسماء المحدثات.

فانظر استهزائه باسم الله (العلي) حيث يقول: علي من؟ وعن ماذا؟ وليس في الوجود غيره، فهو المحدثات، بل هو المسمى أبو سعيد الخراز، وأبو سعيد هذا أحد أئمة القوم في القرن الثالث الهجري..

وانظر كيف جعلوا العلو إنما هو لبعض المحدثات على بعض، وما دام أن جميع المحدثات هو الحق، وهو الله عندهم، فلا يوصف الله بالعلو إضافة أبداً، لأنه ليس شيء غيره في الكون، ولكن يوصف -عندهم- بالعلو لذاته فقط.

ولا يتورع ابن عربي مع ذلك أن ينسب ما في الوجود من شر وقبائح وظلم وسفك دم إلى الله، بل يجعل كل ذلك هو الله فيقول:

"فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق به جميع الأمور الوجودية، حيث لا يمكن أن يفوته نعت منها، وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلا لمسمى الله خاصة"

(المصوص ص 79).

فاتنظر كيف جعل مسمى الله يستغرق جميع الأمور الوجودية، سواء كانت ممدوحة في العرف والعقل والشرع، أم كانت مذمومة في العرف والعقل والشرع، وليس هناك كفر على الأرض أكبر من هذا الكفر، بل ليس هناك وقاحة وسوء أدب مع الله أعظم من هذا، فאלلهم رحمتك بنا ونعمتك بأولئك، أبعدهم الله..

ولقد كرر هذا المعنى كثيراً في كتابه فقال أيضاً:
"ألا ترى الحق يظهر بصفات المحدثات، وأخبر بذلك عن نفسه وبصفات النقص وبصفات الذم؟"
(الفصوص ص 80).

ولم يكتف بهذا القول المجمل، بل فصل ذلك أيضاً حيث جعل الكباش الذي أنزله الله فداه لإسماعيل من الذبح هو الله (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً).

قال ابن عربي:



فيا ليت شعري كيف ناب بذاته
شخص كباش عن خليفة رحمان

(الفصوص ص 84)

فوقناً يكون العبد رباً بلا شك
ووقناً يكون العبد عبداً بلا إفك
فإن كان عبداً كان بالحق واسعاً
وإن كان رباً كان في عيشة ضنك

(الفصوص ص 90)

بل لم يكتف بهذا أيضاً حتى زعم أن الحق لا يشهد أتم شهود، ولا يعرف حق المعرفة إلا في المرأة.. حال اللذة والشهوة.. وهناك نصوص عباراته القبيحة في ذلك، والله لولا وجوب بيان هذا الباطل وتحذير الأمة منه ما كان لنا أن نخط قلماً بهذا الإثم والفجور، ولكن ما حولتنا وبين

أظهرنا من يدافع عن هذا الباطل، ويعتقد الولاية لقليله، بل ويكفر من تعرض لهذا الإثم والفجور، ويرميهم بالكفر والزندقة، وهؤلاء الضالون قد ملؤوا أكبر المراكز الدينية في بلادنا، واتبعهم عوام الناس دون وعي منهم بما خلف هذه المعالم الفارغة، والشهادات الزائفة من الإثم والفجور والباطل؟

هذا ابن عربي سيد الصوفية وشيخها من لدنه إلى هذا يفسر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: [حبيب إلى من دنياكم الطيب والنساء، وجعلت قرّة عيني في الصلاة] فيقول:

"اشتق الله من الإنسان شخصاً على صورته سماه امرأة، فظهرت بصورته فحن إليها حنين الشيء إلى نفسه، وحنّت إليه حنين الشيء إلى وطنه، فحبيت إليه النساء، فإن الله أحب من خلقه على صورته، وأسجد له ملائكته النوريين على عظم قدرهم ومنزلتهم، وعلو نشأتهم الطبيعية، فمن هناك وقعت المناسبة والصورة أعظم مناسبة، وأجلها وأكملها"

(الفصوص ص 216).

وقبل أن نستطرد في النقل عن ابن عربي نشرح لكم الإفك الذي أفكّه هنا، فقد زعم أن الإنسان أحب المرأة، لأنها جزء منه ولا مانع في ذلك، وقد يكون هذا قولاً صحيحاً، ثم قاس على هذا أن الله أحب الإنسان لأنه خلقه على صورته، يعني أن ابن آدم ظهر في الوجود على صورة الرحمن، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فكان ابن عربي مشبهاً لله بخلقه أيضاً، وهذا القول منه يخالف عقيدته السابقة في وحدة الوجود، وأن جميع الموجودات هي صورة للحق، ولا تنفرد صورة واحدة بأن تكون مثلاً للخالق بل جميع الصور ذاتها ذات الخالق، وهذا يدل على تناقضه وخبطه وتعلبيته، ويجعل السبب الذي من أجله أحب الله الإنسان أن الصورة التي خلق عليها هي أعظم مناسبة وأقرأ عبارته السابقة مرة أخرى حتى تفهم ما يقول. ثم يستطرد ابن عربي شارحاً ومفسراً عقيدته قائلاً:

فبنتها زوج (أي صورة الإنسان آدم) أي شفعت وجود الحق كما كانت المرأة شفعت بوجودها الرجل، فصيرته زوجاً، فظهرت الثلاثة: حق ورجل وامرأة!!! فحن الرجل إلى ربه الذي هو أصله حنين المرأة إليه، فحبب إليه ربه النساء، كما أحب الله من هو على صورته، فما وقع الحب إلا لمن تكون عنه، وقد كان حبه لمن تكون منه، وهو الحق، فلهذا قال (حبيب) ولم يقل (أحببت) من نفسه، لتعلق حبه بربه الذي هو على صورته حتى في محبته لامراته، فبنته أحبها بحب الله إياه تخلقاً إلهياً

فاتنظر كيف جعل حب الرجل للمرأة من التخلق بأخلاق الله في زعمه، لأن الله قد أحب محمداً الذي خلقه على صورته (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً)، ولأن محمداً هو أول موجود حسب عقيدة ابن عربي.

ثم يستطرد قائلاً:

"ولما أحب الرجل المرأة طلب الوصلة أي غاية الوصل التي تكون في المحبة، فلم يكن في صورة النشأة العنصرية أعظم وصلة من النكاح، ولهذا تعم الشهوة أجزاءه كلها، ولذلك أمر بالاغتسال منه، فصمت الطهارة كما عم الفناء فيها عند حصول الشهوة، فإن الحق غيور على عبده أن يعتقد أن يلتذ بغيره!! فطهره بالغسل، ليرجع بالنظر إليه فيمن فني فيه، إذ لا يكون إلا ذلك، فإذا شاهد الرجل الحق في المرأة كان شهوداً في منفعل، وإذا شاهد في نفسه - من حيث ظهور المرأة عنه - شاهده في فاعل، وإذا شاهده في نفسه من غير استحضار صورة ما تكون عنه كان شهوده في منفعل عن الحق بلا وساطة، فشهوده للحق في المرأة أتم وأكمل.. ولأنه يشاهد الحق من حيث هو فاعل منفعل.. ومن نفسه من حيث هو منفعل خاصة، فلهذا أحب الرسول صلى الله عليه وسلم النساء، لكمال شهود الحق فيهن.. إذ لا يشهد الحق مجرداً عن المواد أبداً.."

(الفصوص ص 217).

ونظن ليس بعد هذا الكلام كلام، وليس بعد هذا البيان بيان، ولا يملك المسلم الذي عصمه الله من هذا التردّي الخلقى والعقلى إلا أن يقول (يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك).

ويمتطرد ابن عربي مقررّاً هذا المعنى شارحاً له بمثل هذه العبارات: "فشهود الحق في النساء أعظم الشهود وأكملهُ...".
وقالاً أيضاً:

"فمن أحب النساء على هذا الحد فهو حب إلهي".

(الفصوص ص 218).



مركز تحقيقات علوم اسلامی

ابن عطاء الله السكندري

أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن عطاء الله السكندري الشافلي الملكي المتوفى بالقاهرة سنة (709 هـ).
يعتبر ابن عطاء الله السكندري من أشهر الوعاظ عند الصوفية، والحقيقة أن في عباراته ومواعظه الشيء المفيد الذي لا ينكره إلا متعصب، ولكن الذي سننقله من كتبه يظهر مدى المخالفات الشرعية العقلية التي وقع فيها كثيره من الصوفية، مما يفيدنا البعد عن هذه الكتب والتحذير منها، ومن مؤلفها، وما سبب هذا إلا الغلو والبعد عن العلم.

يقول ابن عطاء الله السكندري: (لو كشف عن حقيقة الولي لعبد، لأن أوصافه من أوصافه، ونعوته من نعوته).
(الطيف المنن، صفحة: 85)

ويقول أيضاً في كتابه تاج العروس (صفحة: 36) طبعة دار ابن القيم دمشق الطبعة الأولى سنة: (1999 م) ما نصه:
(كل من كان مراعيًا لحق الله تعالى، لا يُحدثُ الله حدثًا في المملكة إلا أعلمه. نظر بعضهم إلى جماعة فقال لهم: هل فيكم من إذا أحدث الله سبحانه وتعالى في المملكة حدثًا أعلمه؟ قالوا: لا. فقال لهم: ابكوا على أنفسكم). وقال ابن عطاء في الصفحة (75) ما نصه:

(عن الشيخ مكيين الدين الأسمر رضي الله عنه أنه قال:
كنتُ بالإسكندرية فرأيت شمساً قد طلعت مع الشمس فتعجبت من ذلك،
فدنوت منه فإذا هو شاب قد خطَّ عذاره — أي بداية نبت شعر لحيته — قد
غلب نوره على نور الشمس، فسلمت عليه فرد علي السلام، فقلت له: من
أين؟ فقال: صليت الصبح في المسجد الأقصى ببيت المقدس، وأصلي

الظهر عندكم، والعصر بمكة، والمغرب بالمدينة!! فقلت له: تكون ضيفي، قال: لا سبيل إلى ذلك، ثم ودعني وانصرف).

قلت: قال في الفتاوى الهندية — من أهم مراجع المذهب الحنفي — قسم الفتاوى البزازية، الطبعة الثالثة، تركية الجزء الرابع، صفحة (348): (وسئل الزعفراني عن يزعم أنه رأى ابن أدهم يوم التروية بالكوفة، وراه أيضاً في ذلك اليوم بمكة، قال:

كان ابن مقاتل يكفره، ويقول: ذلك من المعجزات لا من الكرامات، وقال محمد بن يوسف: يكفر، وقد ذكر علمائنا: أن ما هو من المعجزات الكبار كإحياء الموتى، وقلب العصا حية، وانشقاق القمر، وإشباع الجمع من الطعام القليل، وخروج الماء من بين الأصابع، لا يمكن إجراؤه بطريق الكرامة للولي، وطى المسافات من قبيل المعجزات، لقوله عليه الصلاة والسلام: (زويت لي الأرض) فلو جاز لغيره أيضاً لم يبق فائدة التخصيص، أو لأنه كالإسراء بالجسم وذلك خاصيته عليه الصلاة والسلام). وقال ابن عطاء في الصفحة (47) ما نصه:

(كان لبعضهم زوجة، فقالت له يوماً: لا أقدر على أن تغيب عني ولا أن تشغل بغيري. فتودى: إذا كنت هذه لا خالقة ولا موجدة، وهي تحب أن تجمع قلبك عليها، فكيف لا أحب أنا أن تجمع قلبك علي؟).

قلت: واضح من العبارة أن المتكلم هو الله، مما يفيد أن ابن عطاء يقول بأن الأولياء يتكلم معهم الله، ومن البديهي أن الكلام منه سبحانه وتعالى وحي، فهل يصح مثل هذا؟!

وقال ابن عطاء صفحة: (30) ما نصه: (الأحقق من مات ولده وجعل يبكي عليه، ولا يبكي على ما فاتته من الله عز وجل، فكأنه يقول بلسان حاله: أنا أبكي على ما كان يشغلني عن ربي، بل كان ينبغي له الفرح بذلك، ويقبل على مولاه لأنه أخذ منه ما كان يشغله عنه، وقبيل بك أن تشيب وأنت طفل العقل صغيرة).

قلت: إذا تكلمنا بمقياس الفطرة التي فطر الناس عليها من حسب الولد والبكاء على فقده، سيقول لنا المتصوفة: هذا حال النقص وحال العامة وربما قيل: حال المحروم والمطرود، ولكنني سأستدل هنا بحال سيد ولد آدم بابي وأمي هو صلى الله عليه وسلم، فقد روى البخاري ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه قال: دخلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على إبراهيم عليه السلام - أي ابن رسول الله من مارية القبطية - فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إبراهيم فقبله وشمه. ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه فجعلت عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: (يا ابن عوف؟ إنها رحمة). ثم أتبعها بأخرى فقال: (إن العين لتدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون).

وأنا أبرأ إلى الله تعالى، من أن يوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بأي وصف فيه نقص، ولكنني أردت أن أظهر مدى المخالفة التي وقع فيها ابن عطاء غفر الله له، عندما نسب ما نسب للرجل يبكي على موت ولده، وما هذا الذي وصل إليه ابن عطاء إلا نتيجة البعد عن السنة، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ويقول ابن عطاء الله السكندري: (سمعت شيخنا - يقصد المرسى أبو العباس - يقول في قوله عز وجل:

{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّثْلَهَا أَوْ مِثْلُهَا} البقرة 106

أي: ما نذهب من ولي الله إلا ونأت بخير منه أو مثله.

(لطائف المنن صفحة: 63)

ويعتبر كتاب (الحكم العطائية) من أشهر كتب ابن عطاء الله السكندري، وقد وجد فيها ما يدل على أن ابن عطاء كغيره من غلاة الصوفية يعتقد وحدة الوجود.

ابن حجر الهيتمي

إن أصدق الكلام وأعدلُه للتعريف بصاحب الترجمة، هو كلامه المنقول من كتبه، وإليك هنا أسطر قليلة، ولكنها كبار شواهد تُعرف بصاحب الترجمة، حيث يقول ابن حجر الهيتمي في كتابه الفتاوى الحديثية صفحة: (215).

(الذي أثرناه عن أكابر مشايخنا العلماء الحكماء الذين يستسقى بهم الغيث، وعليهم المعول وإليهم المرجع في تحرير الأحكام وبيان الأحوال والمعارف والمقامات والإشارات، أن الشيخ محي الدين بن عربي من أولياء الله تعالى العارفين ومن العلماء العاملين، وقد اتفقوا على أنه كان أعلم أهل زمانه، بحيث أنه كان في كل فن متبوعاً لا تابعاً، وأنه في التحقيق والكشف والكلام على الفرق والجمع بحر لا يجارى، وإمام لا يغالط ولا يمارى، وأنه أروع أهل زمانه وأزعمهم للسنة وأعظمهم مجاهدة حتى أنه مكث ثلاثة أشهر على وضوء واحد، وقس على ذلك ما هو من سوابقه ولواحقه، ووقع له ما هو أعظم من ذلك، ومنه أنه لما صنف كتابه الفتوحات المكية وضعه على ظهر الكعبة ورقاً من غير وقاية عليه فمكث على ظهرها سنة لم يمسه مطر ولا أخذ منه الريح ورقة واحدة مع كثرة الرياح والأمطار بمكة، فحفظ الله كتابه هذا من هذين الضدين دليل أي دليل، وعلامة أي علامة على أنه تعالى قبل منه ذلك الكتاب وأثابه عليه، وحمد تصنيفه له).

ومن أراد الاستزادة في جمع التناقض عند ابن حجر الهيتمي، فليُنظر ما حوى كتابه "الفتاوى الحديثية"

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله رب العالمين.

ابن سبعين

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

(هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن محمد بن نصر بن محمد بن قطب الدين أبو محمد المقدسي الرقوتي، نسبة إلى رقوطة بلدة قريبة من مرسية، ولد سنة أربع عشرة وستمئة، اشتغل بعلم الأوائل والفلسفة، فتولد له من ذلك نوع من الإلحاد، وصنف فيه، وكان يعرف السيميا، وكان يلبس بذلك على الأغبياء من الأمراء والأغنياء.

جاور في بعض الأوقات بغار حراء يرتجى فيما ينقل عنه، أن يأتيه فيه وحى، كما أتى النبي صلى الله عليه وسلم، بناء على ما يعتقد من العقيدة الفاسدة، من أن النبوة مكتسبة، وأنها فيض يفيض على العقل إذا صفا، فما حصل له إلا الخزي في الدنيا والآخرة، إن كان مات على ذلك.

وكان إذا رأى الطائفين حول البيت يقول عنهم: كأنهم الحمر حول المدار، وأنهم لو طافوا به كان أفضل من طوافهم بالبيت.

فإنه يحكم فيه وفي أمثاله، وقد نقلت عنه عظام من الأقوال والأفعال، توفي في الثامن والعشرين من شوال بمكة). وكانت وفاته سنة (669 هـ) (البداية والنهاية: 261/13)

وقال الإمام الذهبي عن ابن سبعين:

(كان صوفياً على قاعدة زهاد الفلاسفة وتصوفهم، وله كلام في العرفان على طريق الاتحاد والحلول والزندقة، نسأل الله السلامة في الدين). (تاريخ الإسلام: 30-27).

وقال الإمام الذهبي أيضاً:

(اشتهر عنه أنه قال: لقد تحجر على نفسه ابن آمنة — يقصد النبي صلى الله عليه وسلم — واسعاً بقوله: لا نبي بعدي).

ومن الذين ذموا ذماً شنيعاً يدل على تكفيره: محمد بن علي النقاش، قال في وحدة الوجود (صفحة: 147): (وهو مذهب الملحدين كابن عربي، وابن سبعين، وابن الفارض، ممن يجعل الوجود المخلوق!!)
وقال أبو حيان الأندلسي صاحب التفسير، في سورة المائدة عند قوله تعالى:

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} المائدة 17 (صفحة: 142-143):

(ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من أقر بالإسلام ظاهراً، وانتمى إلى الصوفية حلول الله في الصور الجميلة، وذهب من ذهب من ملاحظتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة، كالحلاج، والشاذلي، وابن أبي عمير، والمقيم بدمشق، وابن الفارض، وأتباع هؤلاء كابن سبعين). وعد جماعة ثم قال: (وإنما سردت هؤلاء نصحاء لدين الله وشفقة على ضعفاء المسلمين).
وجاء في كتاب (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) للإمام تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (775-832 هـ)

قال الذهبي: وذكر شيخنا قاضي القضاة تقي الدين بن دقيق العيد، قال: جلست مع ابن سبعين من ضحوة إلى قريب الظهر، وهو يسرد كلاماً تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته.

وقال الذهبي: حدثني فقير صالح، أنه صحب فقيراً من السبعينية، وكنوا يهوتون له ترك الصلاة، وغير ذلك. ولقد لقي ابن سبعين في الدنيا عذاباً، فمما لقي في الدنيا على ما ذكره بعض المغاربة: أنه قصد زيارة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما وصل إلى باب المسجد النبوي، أهرق دماً كثيراً، كدماء الثنيش، فذهب وغسله، ثم علا ليدخل، فأهرق الدم كذلك، وصار دأبه ذلك، حتى امتنع من زيارته صلى الله عليه وسلم.

ومنها على ما قاله الذهبي: أنه سمع أن ابن سبعين قصد نفسه، وترك الدم يخرج حتى تصفى ومات. والله أعلم. [5-332].

عقيدة ابن سبعين في وحدة الوجود:

يقول ابن سبعين في الرسالة النورية مخاطباً تلميذه:

وجميع ما توجه الضمير إليه اذكره به ولا تبال، وأي شيء يخطر ببالك

سمه به، من اسمه (الوجود) كيف يخص بأسماء منحصرة؟

هيهات! الله لا اسم له إلا الاسم المطلق أو المفروض، فإن قلت: نسميه

بما سمى به نفسه أو نبيه، يقال لك: من سمى نفسه (الله) قال لك: أنا كل

شيء، وجميع من تنادي أنا. وقد يصعب عليك هذا فحسب أن تسلم أنه

معك بالعلم والفعل، فإذا سلمت هذا تسلم أن الذي استجاب لك هو الوجود،

فإذا سلمت ذلك فعجل بذلك، ولا تكن كذلك فما بحق لك ذلك؛ يا هالك يا

مالك انظر من حالك وقل بعد ذلك: يا حق يا أبد يا راحم يا أحد يا أكبر يا

واجب الوجود، الذي الوجود ووحدته واحد، يا ماهية كل ماهية، يا آنية كل

آنية.. لا شيء عندي إلا أنت.. لأن الكذب لا يجوز على الله ولا مع الله،

ولا شيء أكذب من لسان الإضافة، ولا شيء أقبح من شركها... ولا يعتبر

المحقق في ذلك إلا الله، وبدء البدء، والهو هو.

يعني بقوله: (لسان الإضافة) إضافة شيء إلى الله، مثل (عبد الله، أو

مخلوقات الله...) أو إضافة الله إلى شيء، مثل: (خالق الكون...) لأن

الإضافة تعني الاثنينية، أي: وجود اثنين، خالق ومخلوق وهذا عند

الصوفية كذب وشرك لأنه لا موجود إلا الله، والكون هو الله.

ويقول في إحدى رسائله:

واضرب عن الوهم والحس والخيال والعادة، واخرج عن لواحقك

ومحمولك وموضوعك... واطلب واحدك بوحدتك، واخرج عن وترك

الخاص بك كما خرجت عن شفقتك التابع لك، حتى يبقى الواحد. (أقول: هذا

الكلام مثل كلام الشيخ رسلان).

وكان ابن سبعين يقول هو وأصحابه في ذكرهم: (ليس إلا الله) بدل قول

المسلمين: (لا إله إلا الله).

ويقول في أحد الفصول التالية لـ (ملاحظات على يد العارف):
يا هذا، غص بصر إدراكك عن غير الله، ثم قل لنفسك:
ياخسيسة المنزل، متى ثبت سواه؟ حتى تستريبي فيه وتغضي بصرك
عنه! هو الله.. فلا هو إلا هو ولا يمكن غير ذلك.
- أرجو الانتباه والتدقيق في معنى العبارة الأخيرة: (... ولا يمكن غير
ذلك).

ويقول: لو كان فيهما موجود غير الله لكان الله وبألوههم لفسدت...
ويقول في (رسالة الإحاطة):

رب ملك وعبد هلك، ووهم حالك، وحق سالك، وأنتم ذلك! اختلط في
الإحاطة الزوج مع الفرد، واتحد فيه النجو مع الورد، واتفق فيه السقر مع
القر، وبالجملة السبت هو يوح الأحد.
والموحد هو عين الأحد.



ويوم الفرض هو يوم العرض.
والذاهب من الزمان هو الحاضر.

والأول في العيان هو الآخر.

والباطن في الجنان هو الظاهر.

والمؤمن في الجنان هو الكافر.

والغني هو الولي.

والفقير هو الغني.

وهذه وحدات حكمية، لا أحداث وهمية.

يريد بقوله: (عبد هلك) أي: لا وجود للعبد؛ والنجو هو الغلط.

ويقول في إحدى رسائله:

الله فقط، الله المستعان والمستعين، والإعانة معنى فيه في كونه معيناً
ومستعيناً، والحمد لله في الأزل والأبد ولي المجد، ومن هو بهما عين

الحامد والحمد... ولا حول ولا قوة إلا بالساري بذاته في أفعاله عن
أسمائه بصفاته، أحب فتسمى بالحي، وأحاط فتسمى بالعالم...
هو عين كل ظاهر، فحق له أن يتسمى بالظاهر، وهو معنى كل معنى
فحق له أن يتسمى بالباطن.

ويقول في رسالة ثانية:

استمع لما يوحى ويستقرا... من أبصر مقصوده كف عن سواه لأنه
سواه، وشرط من سري واستوى قطع وهم السوى، فمن قربه الله يقول:
الله فقط... ويحرر قضيته البسيطة بإطلاق الهوية على الآنية.
- للتذكير: الهوية من قولهم: (هو) إشارة إلى الله سبحانه، والآنية

إشارة إلى المخلوقات التي هي تعينات.

(الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ) للمؤلف: (محمود عبد الرؤوف

القاسم).



مركز تحقيقات علوم إسلامي

ابن عجيبة

وعقيدة وحدة الوجود

ابن عجيبة واحد من كبار أرباب التصوف، حيث أن كتبه منتشرة في كثير من الأقطار، وقد بث في هذه المصنفات عقائد ظنها من الدين وهي بعيدة عنه كل البعد، وهنا نبين نتفاً من عقائده حول القول بوحدة الوجود....

يقول ابن عجيبة شارحاً قول ابن عطاء الله السكندري:

الحق ليس بمحجوب عنك، إنما أنت المحجوب عن النظر إليه، إذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر، وكل حاصر لشيء فهو قاهر له، وهو القاهر فوق عباده، يقول: ...قلت: الحق تعالى محال في حقه الحجاب. فلا يحجبه شيء، لأنه ظهر بكل شيء، وقبل كل شيء، وبعد كل شيء، فلا ظاهر معه، لا موجود في الحقيقة سواه، فهو ليس بمحجوب عنك، وإنما المحجوب أنت عن النظر إليه، لاعتقادك الغيرية، وتعلق قلبك بالأمر الحسية، فلو تعلق قلبك بطلب المولى، وأعرضت بالكلية عن رؤية سوى، لنظرت إلى نور الحق ساطعاً في مظاهر الأكوان، وصار ما كان محجوباً عنك بالوهم في حق الشهود والعيان، والله در القائل:

لقد تجلى ما كان مخبئ والكون كله طويت طي
سني علي دارت كؤوسي من بعد موتي تراني حي

فالناس كلهم يشاهدون ولا يعرفون، وكلهم في البحر ولا يشعرون،
وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول:

والله ما حجب الناس عن الله إلا الوهم، والوهم أمر علمي لا حقيقة له.
ويقول ابن عجيبة أيضاً:

واعلم أن هذه الأوصاف البشرية التي احتجبت بها الحضرة، إنما جعلها
الله منديلاً لمسح أقدار القدر (كالنفس والشيطان والدنيا)، فجعل الله النفس
والشيطان منديلاً للأفعال المذمومة، وجعل البشرية منديلاً للأخلاق الدنيئة،
وما ثم إلا مظاهر الحق وتجليات الحق، وما ثم سواه.
ويقول:

فإذا تكامل إشراق نور الإيقان، وغطى وجود الأكوان، ووقع العيان على
فقد الأعيان، ولم يبق إلا نور الملك الديان؛ كما أشار (أي: ابن عطاء الله)
إلى ذلك بقوله: ما حجبك عن الله وجود موجود معه، إذ لا شيء معه،
ولكن حجبك عنه توهم موجود معه.

قلت: الحق تعالى ظاهر، ونوره للبصائر باهر، وإنما حجبه مقتضى
اسمه الحكيم واسمه القاهر، فما حجبك عن شهود الحق وجود شيء معه:
(أَلَا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) النمل: 63،

ولكن حجبك عن شهوده توهم وجود موجود معه، ولا شيء معه، وكما
كان ولا شيء، بقي ولا شيء.

- أرجو أن ينتبه القارئ إلى كيفية تفسيرهم للآية: (أَلَا مَعَ اللَّهِ)
النمل: 63.

ويقول: واعلم أن سر الخصوصية الذي جطه الله في بواطن أوليائه،
وستره بظهور وصف بشريتهم، قد يظهره عليهم على وجه خرق العادة،
فقد يظهر على وليه من قدرته وعلمه وسائر كمالاته ما تحار فيه العقول،
وتذهل فيه الأنذان، لكن لا يدوم ذلك لهم، بل يكون على سبيل الكرامات
وخرق العادات، يشرق عليهم شمس أوصافه، فيتصفون بصفاته، ثم

ينقبض تلك عنهم فيردهم إلى حدودهم، فنور الخصوصية، وهي المعرفة، ثابت لا يزول، ساكن لا يحول؛ وسرها، وهو كمالاته تعالى، تارة يشرق على أفق بشريتهم فيستتير بأوصاف الربوبية، وتارة ينقبض عنهم فيردون إلى حدودهم وشهود عبوديتهم، فالمعرفة ثابتة، والواردات مختلفة، والله تعالى أعلم.

ويقول: ... وقال سيدي علي رضي الله عنه، على قول الشيخ أبي الحسن للشافعي في شأن الخلق: أراهم كالهباء في الهواء، إن فتشتهم لم تجدهم شيئاً، قال: بل إن فتشتهم وجدتهم شيئاً، وذلك الشيء ليس كمثله شيء يعني: وجدتهم مظاهر من مظاهر الحق، أنواراً من أنوار الملكوت فائضة من بحر الجبروت.

- نرى في هذا النص أن عبارات عارفهم ليست دائماً موافقة لما يريدون، فقد يخطئون ويخطئون.

ويقول ابن عجيبة أيضاً: والتحقيق ما قدمناه من أن التعلق بأوصاف الربوبية يكون في الباطن، والتحقيق بأوصاف العبودية يكون في الظاهر، فالحرية في الباطن على الدوام، والعبودية في الظاهر على الدوام، فحرية الباطن هي شهود أوصاف الربوبية، وهو معنى التعلق بها؛ لكن إن كان مجاهدة فهو تعلق، وإن كان طبيعة وغريزة فهو تحقق.

والحاصل أن عظمة الربوبية ظهرت في مظاهر العبودية، فمن نظر للعظمة صرفاً تحقق بعظمة الربوبية، ومن نظر بظاهر المظهر تحقق بأوصاف العبودية، والكامل ينظر لهما معاً، فيتحقق بعظمة الربوبية في الباطن، ويتحقق بأوصاف العبودية في الظاهر، فيُعطي كل ذي حق حقه. فالتجمع في باطنه مشهود، والفرق في ظاهره موجود.

ويقول: اعلم رحمك الله ووفقك للتسليم لأوليائه، أن الحرية إذا تحققت في الباطن، لا بد من رشحت تظهر على الظاهر، فكل إناء بالذي فيه

يرشح...ولذلك نجد أهل الباطن رضي الله عنهم، جلهم أقوياء في الظاهر،
 فربما تصدر منهم مقالات تستخرجها القدرة منهم، فيظن الجاهل بحالهم أن
 ذلك دعوى وظهوراً وليس كذلك. وإنما ذلك رشحت من قوة الباطن لا
 قدرة لهم على إمساكها، منها ما يكون تحدثاً بالنعم، ومنها ما يكون نصحاً
 للعباد ليعرفوا حالهم فينتفعوا بهم في طريق الإرشاد، ومن هذا الأمر
 رفضهم كثير من أهل الظاهر المتعمقون في العبادة أو المتجمعون على
 ظاهر الشريعة...

- يوضح ابن عجيبة في هذا النص سبب تصريح العارفين بمعارفهم
 وطبعاً، صار القارئ الآن يعرف معنى عبارة (الحرية)، فهي ضد العبودية،
 وتحققها في الباطن يعني استشعار السالك أنه ليس عبداً بل هو الله.

ويقول: وقال في لطائف المنن: وأشبه شيء بوجود الكائنات إذا نظرت
 إليها بعين البصيرة وجود الظلال...ومن هاهنا تبين لك أن للحجاب ليس
 أمراً وجودياً بينك وبين الله تعالى، ولو كان بينك وبينه حجاب وجودي
 للزم أن يكون أقرب إليك منه! ولا شيء أقرب من الله، فرجعت حقيقة
 الحجاب إلى توهم الحجاب...

ويقول (مطلقاً على قول ابن البنا السرقسطي):

حتى إذا جاء بطور القلب	خوطف إذ ذاك بكل خطب
فقبل لو عرفتني بكوني	قيل إن فاخلع نعل الكون

يقول: إذا وصل النور، من ناحية المذكور، إلى جبل الطور، وهو قلبك
 المستور، بحجاب هيبة المذكور، رفع عنه الستور، وخاطبه حينئذ بكل أمر
 جليل، وسر جليل، فلا تعظم نفس ما خصص به من المساررة، والمصافاة،
 والمكالمة، والمناجاة، فيناديه لسان الملكوت مترجماً عن عالم الجبروت:

يا أيها العبد الشائق إلى حضرتي، لتعطين سر قدرتي، هلا عرفتني بكوني،
وقنعت بذلك مني؟

فيقول العبد المشتاق إلى حضرة التلاق:

لا أريد إلا وجهك الكريم، ومشاهدة شرك العظيم، فيقول له الحق جل
جلاله:

إن أردت هذا الخطب الجسيم، والأمر العظيم، فاخلع عنك نعل الكونين،
وتخط بقدم همتك نعيم الدارين، فإذا خلعت عنك الحظوظ والهوى، فأتت
بالوادي المقدس طوى. ويقول:

فأوصاف الربوبية رفيعة القدر عظيمة الشأن، وأوصاف العبودية
خسيسة القدر دنينة المقدار، فلا مناسبة بينهما في القدر، مع تلازمهما في
المحل بتحقيق الوحدة، فهما متلازمان في القيام، متضادان في الأحكام...

- هذا القول مثل قولهم: واتحد فيه النجوم مع الورد، وقولهم: وفي
الخنازير مع القروء.. وغيرها...
ويقول:

إذا حققت أن الأكوان ثابتة بإثباته، محوطة بأحدية ذاته، علمت علم يقين
أن الأكوان والمكان والزمان لا وجود لها، وأن الحق كما كان وجوده
وحده ولا أين ولا مكان، بقي كذلك، لا أين ولا مكان ولا زمان، نوراً أحديته
محي وجود الأكوان، فانتفى بوجوده الزمان والمكان، ولم يبق إلا الواحد
المنان...

ويقول:

ثم قال أي ابن البنا السرقسطي:

أو قال بالظهور والحلول فبدعة يقدح في الأصول

قلت -القاتل ابن عجيبة-:

مراده بالظهور: ظهور الذات العالية لبصر الحس، حتى تترك بالبصر الحسي، وقد قال تعالى: (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) الأنعام: 103، وإنما تتركه البصيرة، فإذا انفتحت وقوي نورها، استولت على البصر، فصار الحكم لها، فالبصر لا يرى إلا الحس، والبصيرة لا ترى إلا المعنى؟ وقد يتلطف الحس فيصير كأنه معنى، فيكون ما تراه البصيرة في حق العيان، وهو محل الشهود، إذ الحس لا يفارق المعنى، وأما الحلول، فمعناه: إثبات السوى وحلول الألوهية فيه، وهو كفر صراح، فمن ادعى شيئاً من الظهور والحلول فرفضه، فقد أتى ببدعة تقذح في أصول إيمانه والعيان بالله من الزلل.

ثم قال (أي: السرقسطي):

وقوله أنا الذي أهواه قبل الفنا عنه فما أقصاه



إذا قال الفقير: أنا من أهوى ومن أهوى أنا، قبل تحقق فناءه، فما أبعد عن الصواب، وإذا تحقق فناءه، فلا يقول ذلك إلا مع من يصدق في حاله، وإلا تعرض لقتله...

* تعليق:

يعني بالظهور:

الرؤية بالعين المجردة (الحاسة البصرية)، في عصرنا هذا، عن الحلول بقولهم: التلبس، وقد سمعت من يقول: إن الولي يتلبسه الله، وفي هذه الحالة عندما يتكلم الولي، فالمتكلم حقيقة هو الله، وطبعاً قائل هذا القول هو إنسان جاهل بالصوفية، فالحلول عندهم كفر، وكذلك الاتحاد! لأن هذا وذاك لا يكون إلا بين اثنين، ولا يوجد إلا واحد.

(الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ) للمؤلف: (محمود عبد الرؤوف

القاسم).

ابن قضيب البان

عبد القادر بن محمد أبي الفيض، المعروف بابن قضيب البان، ولد في مدينة حماة من بلاد الشام سنة: (971) للهجرة، هاجر به أبوه إلى مدينة حلب وتوطن بها إلى سنة ألف هجرية، ثم توطن بمكة إلى حدود سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ومنها إلى القاهرة، وفيها تتلمذ على القاضي يحيى بن زكريا وأخذ عنه الطريقة النقشبندية والقليرية والخلوتية. ثم عاد إلى حلب إلى أن مات فيها سنة: (1040) للهجرة. من مؤلفاته "الفتوحات المدنية" والتي ألفها على وتيرة "الفتوحات المكية" لابن عربي، وكتاب "تهج السعادة" وكتاب "تافوس الطباع في أسرار السماع، ورسالة في أسرار الحروف، وكتاب "المواقف الإلهية"، وله من الشعر ثمانية مشي فيها على وتيرة تائية ابن الفارض. كان ابن قضيب البان على مذهب أهل وحدة الوجود. ومن قوله:

شربت لحبه خمراً سقائي	كصحي فانتشي منها جنائي
شطحتُ بشربها بين الندامي	ورشدي ضاع مما قد دهاني
فاكرمني وتوجني بتاج	يقوم بسرّه قطب الزمان
وأمرني على الأقطاب حتى	سرى أمري بهم في كل شأن
وأطلعني على سر خفي	وقال: الستر من سر المعاني

رايتك في كل شيء بدا	وليس سواك لعيني حجب
فأنت هو الظاهر المرتجى	وأنت هو الباطن المرتقب

وأنت الوجود لأهل الشهود وأنت الذي في كل شيء وهب
وعيني بعينك قد أبصرت لعينك في كل تلك النسب
ومن طوامه ما جاء في كتابه "المواقف الإلهية":

(ثم نوديت من مكان قريب، وذلك من جهاتي الست: يا حبيبي
ومطلوبي، السلام عليك، ففضت عيني، وكنت أسمع بقلبي ذلك الصوت
حتى أظنه من جوارحي لقربه مني، ثم نوديت: انظر عليّ، ففتحت عيني
فصرت كلي أعيناً، وكان ما أراه في ظاهري، وصرت كلي برزخ بين
كونين وقلب، كما يرى الراي عند النظر في المرآة ما في خارجها. ثم
سمعت بقارئ يقرأ:

{أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا
وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} البقرة 285

وإذا بذلك الحجاب قد رفع وأني لي بدخوله، ولما دخلته رأيت الأنبياء
صفوفاً صفوفاً ودونهم الملائكة، ورأيت أقربهم للحق أربعة أنبياء، ورأيت
أولياء أمة محمد أقرب الناس إلى محمد وهو أقرب الخلق على الله تعالى
وأقرب إليه أربعة أولياء، فعرفت منهم السيد محي الدين عبد القادر، وهو
الذي تلقاني إلى باب الحجاب، وأخذ بعضدي حتى دنوت من سيدنا محمد
صلى الله عليه وآله، فنولني يمينه فأخذته بكلتا يدي.

فلا زال يجنبني وينيني حتى ما بقي بيني وبين ربي أحد، فلما حققت
النظر في ربي ورأيت على صورة النبي، إلا أنه كالثلج أشبه شيء أعرفه
في الوجود من غير رداء ولا ثياب.

ولما وضعت شفتي على محل منه لأقبله أحسست ببرد كالثلج مسبحته
وتعالى، فأريت أن آخر صغراً، فمسكني سيدنا محمد صلى الله عليه وآله))
(المواقف الإلهية لابن تين صفحة: 164 - 169)

قال الدباغ في كتابه الإبريز:

(قال محي الدين بن عربي:

ومن شرط المرید أن یعتقد فی شیخه أنه علی شریعة من ربه وبیئة منه، ولا یزن أحواله بمیزاته، فقد تصدر من الشیخ صورة مزمومة فی الظاهر وهي محمودة فی الباطن والحقیقة، فوجب التسلیم، وکم من رجل أخذ كأس خمر بیده ورفعہ إلى فیه وقلبه الله فی فیه عسلاً، والناظر یراه شرب خمرأ وهو ما شرب إلا عسلاً ومثل هذا کثیر، وقد رأینا من یجسد روحانیته علی صورة ویقیمها فی فعل من الأفعال ویراها الحاضرون علی ذلك الفعل، فیقولون: رأیناه فلاناً یفعل کذا، وهو عن ذلك الفعل بمعزل، وهذه کانت أحوال أبی عبد الله الموصلی المعروف بقضیب البیان، وقد علینا هذا مراراً فی أشخاص).

(الإبریز صفحة: 130).



مركز تحقیقات علوم اسلامی

أبو مدين الأندلسي

جاء في حاشية كتاب (الديباج المذهب) للشيخ أحمد بن أحمد المعروف ببابا التتبعتي صفحة: 127 في ترجمة الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي: كان له مجلس وعظ يتكلم فيه على الناس وتمر به الطيور وهو يتكلم فتقف تسمع وربما مات بعضها، وكثيراً ما يموت بمجلسه أهل الحبة.

ثم روى عن أبي مدين أنه قال: وبقيت مدة وأخبار (أبي يعزى) ترد عليّ وكراماته يتداولها الناس فملاً قلبي حبه فقصدته مع الفقراء فلما وصلنا إليه أقبل عليهم دوني، وإذا حضر الطعام منعي من الأكل معهم، فبقيت ثلاثة أيام فأجهدني الجوع وتحيرت من خواطر ترد عليّ وقلت في نفسي:

إذا قام الشيخ من موضعه مرّغت فيه وجهي، فلما قام مرّغت فإذا أنا لا أبصر شيئاً، فبكيت ليلتي، فلما أصبح دعاني وقربني فقلت: يا سيدي قد عميت، فمسح بيده على عيني فبصرت، ثم على صدري فزالت عني تلك الخواطر، وفقدت ألم الجوع، وشاهدت في الوقت عجائب بركاته، ثم استأذنته في الانصراف للحج فأذن لي وقال: ستلقى في طريقك الأسد فلا يرعك، فإن غلب عليك خوفه فقل له: بحرمة آل النور إلا انصرفت عني، فكان الأمر كما قال. وعن بعض الأولياء قال:

رأيت في النوم قللاً يقول: قل لأبي مدين بث العلم ولا تبالي، ترتع غداً مع العوالي، فإني في مقام آدم أبي الذراري، فقصصتها عليه فقال لي: عزمت على الخروج للجبال والفيافي وأبعد عن العمران، ورؤيتك هذه تأمرني بالجلوس وترك العزم.

وعن العارف عبد الرحيم المغربي قال: سمعت أبا مدين يقول:

أوقفني ربي عز وجل بين يديه، وقال لي:

يا شعيب ماذا عن يمينك؟

فقلت: يارب عطلوك.

قال: وماذا عن شمالك؟

قلت: يارب قضاؤك.

قال: يا شعيب قد ضاعفت لك هذا وغفرت لك هذا، فطوبى لمن رآك أو

رأى من رآك.

وعن أبي العباس المرسى قال:

جئت في الملكوت فرأيت سيدي أبا مدين متعلقاً بساق العرش وهو

يومئذ رجل أشقر أزرق، فقلت له: وما علومك وما مقامك؟

فقال: علومى أحد وسبعون علماً، ومقامى رابع الخلفاء، ورأس السبعة

الأبدال.

وسئل عما خصه الله به فقال: مقامى العبودية، وعلومى الألوهية،

وصفلى مستمدة من الصفات الربانية؛ ملأت عظمتى سرى وجهى

وأضاء بنوره برى وبحرى

أبو يزيد البسطامي

هو طيفور بن عيسى بن آدم بن شروسان، ولد في بسطام من أصل مجوسي، نسبت إليه أقوال شنيعة، توفي سنة (261هـ) ولم يعرف عنه التأليف.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

(وقد حكى عنه شطحات ناقصات، وقد تأولها كثير من الفقهاء والصوفية، وحملوها على محامل بعيدة، وقد قال بعضهم إنه قال ذلك في حال الاصطلام (الاصطلام: القطع عن الوجود أو الفناء - والغيبة). ومن العلماء من بدّعه وخطأه وجعل ذلك من أكبر البدع، وأنها تدلُّ على اعتقاد فاسد كامن في القلب ظهر في أوقاته). (البداية والنهاية: 11-38).

وقال الإمام الذهبي: ((نعوذ بالله من الإشارات الحلاجية، والشطحات البسطامية، وتصوف الاتحادية، فواحرنا على غربة الإسلام والسنة)). (سير أعلام النبلاء 13-442).

ومن أقوال أبي يزيد:

قوله ناعياً على علماء الشريعة مفاخرأ لهم:

(أخنتم علمكم ميتاً عن ميت، وأخذنا علماً عن الحي الذي لا يموت، حدثني قلبي عن ربي، وأنتم تقولون: حدثني فلان، وأين هو؟ قالوا: مات، عن فلان وأين هو؟ قالوا: مات).

(الفتوحات المكية ج1-ص365، والمواهب السمرمية صفحة 49، والأشوار القدسية 99، وطبقات الشعرائي 1-5، وتلخيص إلهيس صفحة 344، والرحمة الهابطة صفحة 309).

ويقول أبو يزيد البسطامي:

(خضنا - أي نحن الأولياء - بحوراً وقفت الأنبياء بسواحلها).

(الإبريز: 2-212)

ويقول أيضاً:

(تالله إن لوائي أعظم من لواء محمد صلى الله عليه وسلم، لوائي من نور تحته الجن والإنس كلهم من النبيين). (الإنسان الكامل للجيلي: 16).

وقال الغزالي غفر الله له:

(وكان أبو يزيد وغيره يقول:

ليس العالم الذي يحفظ من كتاب، فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً، إنما العالم الذي يأخذ علمه من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس!)

(الإحياء: 3-24).

ويحدثنا عنه أبو حامد الغزالي فيقول:

(حكى أن شاهداً عظيم القدر من أعيان أهل (بسطام) كان لا يفارق مجلس أبي يزيد البسطامي فقال يوماً:

أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر ولا أفطر، وأقوم ولا أنام، ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئاً وأنا أصدق به وأحبه!

مركز تحقيقات مكتبة نور

فقال أبو يزيد:

ولو صمت ثلاثمائة سنة، وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرة!! قال: ولم؟ قال: لأنت محجوب بنفسك. قال: فلهذا دواء؟ قال: نعم. قال: قل لي حتى أعمله. قال: لا تقبله. قال: فاذكره لي حتى أعمل. قال: اذهب إلى المزين فاحلق رأسك ولحيتك، واتزج هذا (الاباس)، وأتزر بعباءة، وعلق في عنقك مخللة مملوءة جوزاً، واجمع الصبيان حولك، وقل.. كل من صفطني صفقة أعطيته جوزة، وادخل السوق، وطف الأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك، وأنت على ذلك!!

فقال الرجل: سبحان الله، تقول لي مثل هذا؟ فقال أبو يزيد: قولك.. "سبحان الله" شرك! لا تقبل! وكيف؟ قل: لأنت عظمت نفسك، فسبحتها، وما سبحت ربك. فقال: هذا لا أفعله، ولكن دلني على غيره. فقال ابتدئ بهذا قبل كل شيء. فقال: لا أطيقه. فقال: قد قلت لك.. (تك لا تقبل...!).

ويذكر البسطامي كذلك عن نفسه ما يأتي:

(رفعني مرة فأقامني بين يديه، وقال لي: يا أبا يزيد! إن خلقي يحبون أن يروك، فقلت: زيني بوجدانيتك، وألبسني أنانيتك، وارفعني إلى أحديتك، حتى إذا رأي خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا).

(اللمع: صفحة 461).

وحكى القشيري في ترجمة أبي يزيد البسطامي (وسئل عند ابتدائه وزهد، فقال: ليس للزهد منزلة، فقيل له: لماذا؟ فقال: لأنني كنت خلال ثلاثة أيام في الزهد، فلما كان اليوم الرابع خرجت منه، ففي اليوم الأول زهدت في الدنيا وما فيها، وفي اليوم الثاني زهدت في الآخرة وما فيها، وفي اليوم الثالث زهدت فيما سوى الله تعالى، فيما كان اليوم الرابع لم يبق لي سوى الله تعالى فهمت، فسمعت قائلا يقول: يا أبا يزيد لا تقو معنا، فقلت: هذا الذي أريد، فسمعت قائلا يقول: وجدت وجدت).

(الرسالة القشيرية صفحة 395)

قال أبو عبد الرحمن السلمي في كتابه المحن:

(وأنكر أهل بسطام على أبي يزيد البسطامي ما كان يقول حتى إنه ذكر للحسين بن عيسى أنه يقول: لي معراج كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم معراج فأخرجوه من بسطام، وأقام بمكة سنتين ثم رجع إلى جرجان فأقام بها إلى أن مات الحسين بن عيسى ثم رجع إلى بسطام).

وقال القشيري:

(قيل لأبي يزيد: ما أشد ما لقيت في سبيل الله؟ فقال: لا يمكن وصفه، فقيل له: ما أهون ما لقيت نفسك منك؟ قال: أما هذا فنعم، دعوتها إلى شيء من الطاعات فلم تجبني فمنعتها الماء سنة).

(الرسالة القشيرية صفحة 395)

وكان يوماً يرتدي جبة ففتحها وقال:

(سبحلتي ما أعظم شلتي ، ما في الجبة إلا الله).

(شذرات الذهب 2س142 ، وفيض القدير 1—456).

ونقل ابن الجوزي عن أبي يزيد أنه قال:

(إن الله عبداً لو بصقوا على جهنم لأطفئوها ولقد وددت أن قامت القيامة حتى أنصب خيمتي على جهنم ، فسأله رجل: ولم ذلك يا أبا يزيد ؟ فقال: إني أعلم أن جهنم إذا رأنتي تخدم فأكون رحمة الله للخلق)).
ثم قال:

(اللهم إن كان في سابق علمك أن تعذب أحداً من خلقك بالنار فعظم خلقي حتى لا تسع معي غيري).
وقال:

(وما النار؟ والله لنن رأيتها لأطفئنها بطرف مرقعتي).

(تلبيس إبليس 341—343—346).



مركز تحقيقات علوم اسلامی

أبو عبد الرحمن السلمي

أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى بن خالد بن سالم بن زاوية بن سعيد بن قبيصة بن سراق، الأردني.

قال الإمام الذهبي: شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم، تكلّم فيه، وليس بعدة، قال الخطيب: قال لي محمد بن يوسف القطان: كان يضع الأحاديث للصوفية.

له الكثير من المصنفات منها: حقائق التفسير، وطبقات الصوفية وغيرها. وفي الجملة ففي تصانيفه أحاديث وحكايات موضوعة، وفي حقائق تفسيره أشياء لا تسوغ أصلاً عدّها بعض الأئمة من زندقة الباطنية، وعدّها بعضهم عرفاً وحققة.

ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة، وتوفي في شعبان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

(سير أعلام النبلاء: 17-247). (ميزان الاعتدال: 6-118).

وقال الإمام المفسر أبو الحسن الواحدي:

(صنف أبو عبد الرحمن السلمي، حقائق التفسير، وهو تفسير على الطريقة الصوفية بما يعرف بالتفسير الإشاري - فإن كان يعتقد أن ذلك تفسير فقد كفر). (فتاوى ابن الصلاح: صفحة 29).

حتى إن السيوطي الصوفي لم يستطع تحمل ما في تفسير أبي عبد الرحمن السلمي فقال بعد أن أورد السلمي في كتابه طبقات المفسرين ضمن من صنف في التفسير من المبتدعة: (وإنما أوردته في هذا القسم لأن تفسيره غير محمود). (طبقات المفسرين: 31).

وكذلك اعتمد المناوي رمية بالوضع، عند تخريج أحاديثه، كما في كتاب: "فيض القدير" شرح الجامع الصغير. انظر منه (1-560) و (6-22).

أبو بكر الشبلي

هو دلف بن جحدر الشبلي أبو بكر، (247-334 هـ) بغدادى المولد والمنشأ، وأصله أسروشنه من بلاد ما وراء النهر، صاحب الجنيد ومن فى عصره، وتوفى ببغداد.

قال محمد بن الحسين أبو عبد الرحمن السلمى، أحد كبار الصوفية ومؤلفيهم:

سمعت منصور بن عبد الله يقول:

سمعت الشبلي يقول:

كنت أنا والحسين بن منصور الحلاج، شيئاً واحداً، إلا أنه أظهر وكتمت. وقد روى عن الشبلي من وجه آخر أنه قال وقد رأى الحلاج مصلوباً: ألم أنك عن العالمين؟.

(البداية والنهاية: 11-132)

(سير أعلام النبلاء: 14-331)

(شذرات الذهب: 2-256).

أبو الحسن الشاذلي

هو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم المغربي أبو الحسن الشاذلي، وكما هي عادة الصوفية دائماً ينسبون أوليائهم إلى البيت النبوي، فقد نقل ابن عبد نسب أبا الحسن الشاذلي من كتاب "اللطيفة المرضية في شرح دعاء الشاذلية" للشيخ شرف الدين أبي سليمان داود السكندري، فقال:

هو الشريف الحسيب ذو النسبتين الطاهرتين الجسدية والروحية المحمدي العلوي الحسني الفاطمي: أبو الحسن علي الشاذلي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطل بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

ومن له أدنى خبرة بنسب آل البيت يعلم أن هذا الصود مركباً مفتعل، ولهذا قال السكندري، وهو من المعتقدين في ولاية الشاذلي:

لم يكن من أولاد الحسن بن علي من اسمه محمد له عقب، وإن الذي أعقب من أولاد الحسن السبط: زيد الأبلج، والحسن المثنى، كما نص عليه غير واحد، ولما كان لا بد من تصحيح نسب الولي، قالوا:

(وصوابه محمد بن الحسن المثنى بن الحسن السبط)

وفاتهم أن العقب في الحسن المثنى إنما هو في خمسة هم:

عبد الله المحض، وإبراهيم الغمر، والحسن المثلث، وداود، وجعفر.

وأما محمد بن الحسن المثنى فلا بقية له بالاتفاق كما قلل ابن عتبة في

"عمدة الطالب" وغيره

ولهذا قال الصفدي في "نكت الهميان" عن أبي الحسن الشاذلي:

وقد انتسب في بعض مصنفاته إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: بعد يوسف المذكور بن يوشع بن برد بن بطل بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب. قال الشيخ شمس الدين الذهبي: هذا نسب مجهول لا يصح ولا يثبت، وكان الأولى به تركه، وترك كثير مما قاله في تآليفه من الحقيقة.

ومن الغرائب أن عبد السلام بن مشيش لما قابل أبا الحسن الشاذلي قال له على وجه الكشف:

مرحباً بعلي بن عبد الله بن عبد الجبار. وساق نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال له:

يا علي ارتحل إلى إفريقية واسكن بها بلداً تسمى شاذلة، فإن الله يسميك الشاذلي، وبعد ذلك تنتقل إلى مدينة تونس ويؤتى عليك بها من قبل السلطنة، وبعد ذلك تنتقل إلى بلاد المشرق، وترث فيها القطبانية.

ومن المفارقات ههنا: أن أبا الحسن الشاذلي مكتوب على قبته وضريحه سياق النسب إلى الحسين رضي الله عنه لا الحسن.

ولد في قرية (غمارة) قرب (سبته) بالمغرب الأقصى سنة (590 هـ) تقريباً، انتقل إلى تونس واتخذ رباطاً في جبل (زغوان) وأخذ ينشر دعوته في بلدة (شاذلة) القريبة من رباطه، سعى به أبو القاسم بن البراء قاضي الجماعة بتونس إلى السلطان أبي زكريا الحفصي فنفاه عن تونس فجاء إلى الإسكندرية.

قال ابن العماد:

(وأخرجوه بجماعته من المغرب، وكتبوا إلى نائب الإسكندرية: إنه يقدم عليكم مغربي زنديق وقد أخرجناه من بلدنا فاحذروه.

ولما قدم الإسكندرية كان بها أبو الفتح الواسطي — يعني من الأقطاب — فوقف بظاهرها واستأذنه فقال: طافية لا تسع رأسين. فمات أبو الفتح في

تلك الليلة، وذلك لأن من دخل بلداً على فقير بغير إننه فمهما كان أحدهما
أعلى سلبه أو قتله، ولذلك ندبوا الاستئذان.

قال الحنفي — أحد الأقطاب — اطلعت على مقام الجيلاني والشاذلي فإذا
مقام الشاذلي أرفع.

سكن الإسكندرية وصحبه بها جماعة وله في التصوف مشكلة توهم،
ويُتكلف له في الاعتذار عنها). (شذرات الذهب: 5-279).

وتوفي في صحراء عذاب من صحراء مصر سنة (656 هـ).
اخترع لأتباعه أوراداً وأحزاباً منها: (الحزب الكبير) أو (حزب البر) و
(حزب البحر) و (حزب الإخفاء) و (حزب النصر) و (حزب الطمس على
عيون الأعداء) و (حزب اللطيف) وغير ذلك.

وأوصى "الشاذلي" أصحابه بحفظ "حزب البحر" وقال لهم: حفظوه
أولائكم، فإن فيه اسم الله الأعظم! 
وهذا الحزب عندهم يقرأ بعد العصر، وفيه قوله: "كهيعص كهيعص
كهيعص انصرنا فبتك خير الناصرين. شاهت الوجوه شاهت الوجوه شاهت
الوجوه. طس حمصق (مرج البحرين يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان) حم
حم حم حم حم حم وجاء النصر فعطينا لا ينصرون... الخ .
ومن تخطيط الشاذلي قوله: قلت: يا رب! لم سميتني بـ"الشاذلي" ولستُ
بشاذلي؟

فقال لي: (يا علي ما سميتك بالشاذلي، وإنما أنت الشاذ لي - يعني:
المفرد لخدمتي ومحبتني!).

وقال: إذا عرضت لكم إلى الله حاجة فتوسلوا إليه بالإمام "أبي حامد"
يعني الغزالي.

وحكى الكوثري عن أبي الحسن الشاذلي أنه قال:
(أطلعني الله على اللوح المحفوظ، فقلوا التأديب مع جدي رسول الله لقلت
هذا سعيد وهذا شقي)).

(إرغام المريـد شرح النظم العتيد لتوسـل المريـد برجال الطريقة النقشبندية: صفحة

(39)

ومن كلام الشاذلي:

(لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما يحدث في غد وما بعده إلى يوم القيامة).

(شذرات الذهب: 5-279).

وقيل للشاذلي:

(من شيخك؟)

فقال: أما فيما مضى فعبد السلام بن مشيش، وأما الآن فبني أسقى من عشرة أبحر، خمسة سملوية، وخمسة أرضية).

(شذرات الذهب: 5-279).

ومما ينقله الصوفية الشاذلية عن أبي الحسن الشاذلي أنه كان يتكلم مع الله.

وإليك نماذج من أدعية وأذكار الطريقة الشاذلية:

من أهم معالم الذكر عند أتباع الشاذلي القفر في الهواء أثناء الذكر، وهو أمر معروف مشهور عند البونيين، ومن رآهم يكاد لا يفرق بينهم، كذلك لفظ الذكر عندهم، وهو: آه آه آه، وهو الذكر المعروف عند طائفة من اليهود، حين يقومون بهذا الذكر بعد تشكيل حلقة يدورون فيها لليمين واليسار.

ومن أذكارهم:

(يا خالق السبع سماوات ومن الأرض مثلهن، يتنزل الأمر بينهن، أشهد أنك على كل شيء قدير، وأنت قد أحطت بكل شيء علماً، أسألك بهذا الأمر الذي هو أصل الموجودات، وإليه المبدأ والمنتهى، وإليه غاية الغايات أن تسخر لنا هذا البحر، بحر الدنيا وما فيه، كما سخرت البحر لموسى، وسخرت النار لإبراهيم، وسخرت الجبال والحديد لداود، وسخرت الرياح والشياطين والجن لسليمان، سخر لي كل بحر هو لك، وسخر لي كل جبل،

وسخر لي كل حديد، وسخر لي كل ريح، وسخر لي كل شيطان من الجن والإنس، وسخر لي نفسي، وسخر لي كل شيء، يا من بيده ملكوت كل شيء، وأيدني بالتصير المبين إتيك على كل شيء قدير))

(أبو الحسن الشاذلي لعبد الحليم محمود صفحة 375).

وهذا الدعاء فيه من التعدي الكثير، فبته لا يجوز لنا أن نسأل ما جعله الله لأنبيائه من هذه المعجزات فتسخير الجن والشياطين لسليمان كان شيئاً خاصاً بسليمان فقط، ولذلك روى البخاري بإسناده إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(جاءني عدو الله إبليس بشهاب من نار ليضعه في وجهي ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح موثقاً بسارية المسجد يلعب به صبيان المدينة).

وأما نار إبراهيم الذي يسأل الشاذلي ربه أن يسخرها له!! فإن الله عز وجل جعلها برداً وسلاماً على إبراهيم في مناسبة خاصة وذلك بعد أن تعرض لما تعرض له من البلاء، ولم يسأل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربه ذلك، وكذلك إلهة الحديد لداود إتما كان لأخيه ياكل من عمل يده فكافاه الله بأن ألان له الحديد وعلمه صنعة الدروع، فكان هذا من الله فضلاً له للمناسبة التي فيه.. أما أن يأتي رجل ليس بنبي فيسأل الله جميع معجزات الأنبياء فلا شك أن يكون قد تعدى في الدعاء وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التعدي في الدعاء، فقال صلى الله عليه وسلم:

(إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَتَعَدُونَ فِي الطَّهْورِ وَالِدُّعَاءِ)). [أبو داود

وابن ماجه].

والحق أننا إذا قلنا هذا التعدي الموجود في أدعية أخرى لهان الأمر فيها هو الشاذلي نفسه يقول في دعائه أيضاً:

(اللهم هب لي من النور الذي رأى به رسولك صلى الله عليه وسلم، ما كان ويكون، ليكون العبد بوصف سيده لا بوصف نفسه. غنياً بك عن تجديدات النظر لشيء من المعلومات، ولا يلحقه عجز عما أراد من

المقدورات، ومحيطاً بذات السر بجميع أنواع الذوات، ومرتباً بالبدن مع النفس والقلب مع العقل، والروح مع السر والأمر مع البصيرة والعقل الأول الممد من الروح الأكبر المنفصل عن السر الأعلى).

(أبو الحسن الشاذلي لعبد الحلیم محمود ص168).

فأي تعد أكبر من هذا أن يدعو إنسان ربه ليعطيه نوراً من النور الذي رأى به النبي ما كان يكون - وهذا كذب أيضاً لأن الرسول لم يكن يعلم من الغيب ما كان وما يكون وما لم يكن منه إلا ما أعلمه الله سبحانه وتعالى إياه، ولكن هؤلاء زعموا هذا للنبي صلى الله عليه وسلم ورتبوا على ذلك أن يجعلهم الله أيضاً كالنبي يعلمون الغيب، وقوله حتى يكون العبد بوصف مولاه - يعني أن يتصف بما اتصف به النبي ويكون الوصف راجعاً في النهاية للنبي لا يعفيه هذا أنه يطلب ما كان للنبي من منزلة وعلم، وصدق الله سبحانه حيث يقول في أمثالهم:

{بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة} (المثر:52).

والحق أن الشاذلي في هذا الدعاء قد طلب ما لله من علم وليس ما للرسول فقط فمولاه هنا راجعة إلى الله سبحانه فكل من هؤلاء يريد أن يكون كالله سبحانه وتعالى في علمه وتصريفه وقدرته. والحق أنه لا يتوقف التعدي في الدعاء عند الصوفية أن يطلبوا منازل الأنبياء وخصائصهم وعلومهم بل وصفات الله وخصوصياته، بل وتعدى ذلك أيضاً إلى أن يتناولوا على الله فيعلموه كيف يصفح وكيف يرحم؛ انظر إلى هذا الدعاء للشاذلي أيضاً:

(ولقد شكنا إليك بعقوب فخلصته من حزنه، ورددت عليه ما ذهب من بصره، وجمعت بينه وبين ولده، ولقد نادى نوح من قبل فنجيته من كربه، ولقد ناداك أيوب بعد فكشفت ما به من ضره، ولقد ناداك يونس فنجيته من غمه، ولقد ناداك زكريا فوهبت له ولداً من صلبه، بعد بأس أهله وكبر

سنه، ولقد علمت ما نزل بإبراهيم فأنقذته من نار عدوه، وأنجيت لوطاً وأهله من العذاب النازل بقومه.

فها أنذا عبدك إن تعذبني بجميع ما علمت من عذابك فلنا حقيق به، وإن ترحمني كما رحمتهم من عظيم إجرامي فأتت أولى بذلك وأحق من أكرم به، فليس كرمك مخصوصاً بمن أطاعك وأقبل عليك بل هو مبذول بالسبق لمن شئت من خلقك وإن عصاك وأعرض عنك، وليس من الكرم أن لا تحسن إلا لمن أحسن إليك وأنت الرحيم العلي كيف وقد أمرتنا أن نحسن إلى من أساء إلينا فأتت أولى بذلك منا).

(أبو الحسن الشاذلي لعبد الحليم محمود ص191)

فعلى الرغم من أنه دعا الله سبحانه أن ينجيه كما أنجى عباده الصالحين فإنه تطاول على الله في آخر الدعاء فراح يقول لله (وليس من الكرم أن لا تحسن إلا لمن أحسن إليك)؟! (بل من الكرم أن تحسن إلى من أساء إليك) وكأنه في هذا يعلم الله سبحانه كيف يتفضل وكيف يحسن وعلى هذا القول تكون عقوبة الله للمسيئين ليست جارية على سنة الله في كرمه وعفوه وصفحه وحلمه وهذا خطأ بالغ لأن الله سبحانه وتعالى لا يضع رحمته إلا فيمن يستحقها، ولا يظفر إلا بمن هو أهل للصفح والمغفرة. كما قل تعالى:

﴿ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ (الأعراف:156).

أبو حامد الغزالي

هو محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي، ولد بطوس سنة خمسین وأربع مائة، وبدأ حياته العلمية فيها، ثم سافر إلى جرجان فاستمع إلى أبي نصر الإسماعيلي، وبعد عودته إلى طوس سافر إلى نيسابور ولازم إمام الحرمين، وجد واجتهد وبرع في مذهب الإمام الشافعي ومسائل الخلاف، وقرأ المنطق والجدل والحكمة والفلسفة، وأحكم ذلك كله، وصنف في كل فن من الفنون كتباً أحسن تأليفها وأجاد وضعها.

كان شديد الذكاء، بعيد الغور، غواصاً على المعاني الدقيقة. ولما مات إمام الحرمين، اتصل بالوزير نظام الملك، الذي أعجب به، فولاه التدريس بمدرسته ببغداد فقدمها سنة (484 هـ) وأعجب الخلق بحسن كلامه، وكمال فضله، وفصاحة ألفاظه، وإشاراته اللطيفة. وأقام على التدريس مدة عظيم الجاه، عالي الرتبة، ثم شرفت نفسه فعزفت عن الدنيا، فرفض ما فيها من الجاه، وترك كل ذلك وراء ظهره، فقصد بيت الله الحرام، فحج ثم توجه إلى الشام سنة (488 هـ) وجاور في بيت المقدس ثم عاد إلى دمشق، واعتكف في زاويته بالجامع الأموي، المعروفة بالغزالية نسبة إليه، حيث لبس الثياب الخشنة، وقلل طعامه، وأخذ في تصنيف الإحياء.

ثم رجع إلى بغداد وعقد مجلساً بالمدرسة النظامية، ثم تابع طريقه إلى طوس، واتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء ووزع أوقاته على وظائف ختم القرآن والتدريس وإدامة الصلاة والعبادة، إلى أن انتقل إلى رحمة الله تعالى، يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة.

قال الذهبي رحمه الله: (وأدخله سيّلانُ ذهنه في مضايق الكلام، ومزال الأقدام).

(سير أعلام النبلاء: 19-323).

وقال الذهبي أيضاً:

(وقد ألف الرجل في نمّ الفلاسفة كتاباً "التهافت"، وكشف عوارهم، ووافقهم في مواضع ظناً منه أن ذلك حقٌّ أو موافقٌ للملّة، ولم يكن له علمٌ بالآثار، ولا خبرةٌ بالسنة النبوية القاضية على العقل، وحبّب إليه إيمانُ النظر في كتاب "رسائل إخوان الصفا"، وهو داءٌ عضالٌ، وجربٌ مردٍ، وسمٌ قتل، ولولا أن أبا حامد من كبار الأتكياء، وخيار المخلصين لتلف، فالحذار الحذار من هذه الكتب، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل وإلا وقعتم في الحيرة)) (سير أعلام النبلاء: 19-328).

وقال أبو بكر بن العربي رحمه الله:

(شيخنا أبو حامد: بلغ الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع).

(سير أعلام النبلاء: 19-327).



مصنفاته:

مصنفات الغزالي كثيرة، منها: كتاب تهذيب الأصول

في الفقه:

البسيط، والوسيط، والوجيز، والخلصة.

وفي الأصول:

المنحول، والمستصفي الذي اختصره من كتابه: تهذيب الأصول.

وفي الفلسفة والمنطق والكلام:

مقاصد الفلاسفة، وتهافت الفلاسفة، والمنقذ من الضلال، والاقتصاد في

الاعتقاد، وفصل التفرقة، وقواعد العقائد، والمقصد الأسنى في شرح

أسماء الله الحسنى، ومعار العظم، ومحك النظر، وإلجام العوام عن علم

الكلام، وجواهر القرآن.

وفي التصوف والتربية والأخلاق:

إحياء علوم الدين، ومنهج العابدين، وبداية الهداية، وميزان العمل،
ومعراج السالكين، وأيهما الولد.
وفي الفرق والأديان:

فضائح الباطنية، وحجة الحق، ومفصل الخلاف .. وغير ذلك.
ويعد كتاب (إحياء علوم الدين) من أشهر كتب الغزالي، وقد أخذ مكنثه
في المكتبة الإسلامية، وفرض وجوده على مر الأيام، منذ ألفه مصنفه
وحتى وقتنا الحاضر.

وقد تضمن الكتاب مواعظ ورقائق، وكلام ينم عن فهم حقيقة الإنسان
وتفكيره، وقواعد تربوية جميلة، وترتيب وتبويب متقن للكتاب، ولكنه
حشاه بكثير من أباطيل الفلاسفة والمتصوفة، والآثار الموضوعة
والضعيفة، وهذا يعود لغلو المؤلف في التصوف والفلسفة، وقلة علمه
بالحديث والآثر وطريقة السلف.
ولقد أجمل الشيخ صالح الشامي الانتقادات على كتاب الإحياء في ثلاثة
نقاط هي:

حشو الكتاب بالأحاديث الضعيفة بل الموضوعة.
ذكر أغاليط الصوفية وترهاتهم، وبعض كلماتهم وحكاياتهم المجانبة
للحق.

خلط الكتاب ببعض المعارف الفلسفية.
ونذكر الآن نقطتين هامتين هما أقوال بعض العلماء المنصفين في كتاب
الإحياء، وبعض النقولات لما حوى الكتاب من مخالفات.

قال القاضي عياض اليحصبي رحمه الله المتوفى سنة (544هـ):
(والشيخ أبو حامد ذو الألباء الشنيعة، والتصانيف الفظيعة غلا في
طريقة التصوف، وتجرد لنصر مذاهبهم، وصار داعية في ذلك، وألف فيه
تواليقه المشهورة، أخذ عليه فيها مواضع، وساعت به ظنون أمه، والله

أعلم بسرّه، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب وفتوى الفقهاء بإحراقها
والبعد عنها، فامتثل ذلك).

(سير أعلام النبلاء 327-19).

وقال ابن الجوزي رحمه الله المتوفى سنة (597 هـ):

(اعلم أن في كتاب الإحياء آفات لا يعلمها إلا العلماء، وأقلها الأحاديث
الباطلة الموضوعة، وإنما نقلها كما اقتراها لا أنه افترأها، ولا ينبغي التعبد
بحديث موضوع والاغترار بلفظ مصنوع، وكيف أرتضى لك أن تصلي
صلوات الأيام والليالي، وليس فيها كلمة قلها رسول الله صلى الله عليه
وسلم، وكيف أوتر أن يطرق سمعك من كلام المتصوفة الذي جمعه وندب
إلى العمل به ما لا حاصل له من الكلام في الفناء، والبقاء، والأمر بشدة
الجوع، والخروج إلى السياحة في غير حاجة، والدخول في الفلاة بغير
زاد، إلى غير ذلك مما قد كشفت عن عوارضه في كتابي تلبيس إبليس))
(مختصر منهاج القاصدين: 16-17).

وقال أيضاً:

(وجاء أبو حامد الغزالي فصنف لهم - أي للصوفية - كتاب الإحياء
على طريقة القوم، وملاه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها، وتكلم في
علم المكاشفة، وخرج عن قانون الفقه، وجاء بأشياء من جنس كلام
الباطنية))
(تلبيس إبليس: 217 بتصرف يسير).

وقال أيضاً:

(سبحان الله من أخرج أبا حامد من دائرة الفقه بتصنيفه كتاب الإحياء
فليت له ما يقل فيه مثل هذا الذي لا يحل، والعجب منه أنه يحكيه ويستحسنه
ويسمى أصحابه أرباب أحوال).

وقال أيضاً:

(فما أرخص ما باع أبو حامد الغزالي الفقه بالتصوف..).

وقال الإمام الذهبي رحمه الله المتوفى سنة (748 هـ):

(أما الإحياء ففيه من الأحاديث الباطلة جملة، وفيه خير كثير لولا ما فيه من آداب ورسوم وزهد من طرائق الحكماء، ومنحرفي الصوفية، نسل الله علماً نافعا، تدري ما العلم النافع؟ هو ما نزل به القرآن، وفسره الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلاً. فطيك يا أخي بتدبر كتاب الله، وبإدمان النظر في الصحيحين، وسنن النسائي، ورياض النووي، وأذكاره تفلح وتتجج. وإياك وآراء عباء الفلاسفة، ووظائف أهل الرياضات، وجوع الرهبان، وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات، فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة، فواغوثاه بالله، اللهم اهدنا صراطك المستقيم))

(سير أعلام النبلاء: 19-340).

وقام الملك علي بن يوسف بن تاشفين ملك المرابطين، بإحراق كتاب الإحياء، قال الذهبي:

وكان شجاعاً مجاهداً عادلاً ديناً ورعاً صالحاً، معظماً للطعام مشاوراً لهم).

(سير أعلام النبلاء: 20-124) مركز تحقيق التراث
(وقد حرقه — أي كتاب الإحياء — علي بن يوسف بن تاشفين، وكان ذلك بإجماع الفقهاء الذين كتوا عنده).

(المعيار للمعرب: 12-185).

وقال الإمام المازري رحمه الله ﷻ سنة (536 هـ):
(ثم يستحسنون — أي: بعض المالكية — من رجل — أي: الغزالي رحمه الله — فتاوى مبناه على ما لا حقيقة له، وفيه كثير من الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم لفق فيه الثابت بغير الثابت، وكذا ما أورد عن السلف لا يمكن ثبوته كله، وأورد من نزعت الأولياء، ونفثت الأصفياء ما يجزئ موقعه، لكن مزج فيه انتفع بانضار: كإطلاقات يحكيها عن بعضهم لا يجوز إطلاقها لشناعتها، وإن أخذت معانيها على ظواهرها: كانت كالرموز إلى قدح الملحدين..).

قال الذهبي رحمه الله:

ولصاحب الترجمة - أي: المازري - تأليف في السرد على "الإحياء" وتبيين ما فيه من الواهي والتفلسف أنصف فيه، رحمه الله.

(سير أعلام النبلاء: 20-107).

وقال محمد بن علي بن محمد بن حمدين القرطبي رحمه الله المتوفى سنة (508 هـ):

(إن بعض من يعظ ممن كان ينتحل رسم الفقه ثم تبرأ منه شفاهاً بالشرعة الغزالية والنحلة الصوفية أنشأ كراسة تشتمل على معنى التعصب لكتاب "أبي حامد" إمام بدعتهم. فإين هو من شنع مناكيره، ومضاليل أساطيره المبينة للدين؟ وزعم أن هذا من علم المعاملة المفضي إلى علم المكاشفة الواقع بهم على سر الربوبية الذي لا يسفر عن قناعه، ولا يفوز بإطلاعه إلا من تمطى إليه ثبج ضلالتة التي رفع لها أعلامها، وشرع أحكامها).

وممن انتقد الغزالي أيضاً الإمام ابن عقيل الحنبلي، والذي قال فيه كلاماً لا أجزى نقله هنا.

(غاية الأمل: 2-369).

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله المتوفى سنة (774 هـ):

(وصنف في هذه المدة كتابه إحياء علوم الدين وهو كتاب عجيب يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوف وأعمال القلوب، لكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات وموضوعات، كما يوجد في غيره من كتب الفروع التي يستدل بها على الحلال والحرام، فالكتاب الموضوع للرفائق والترغيب والترهيب أسهل أمراً من غيره، وقد شنع عليه أبو الفرج ابن الجوزي ثم ابن الصلاح في ذلك تشنيعاً كثيراً، وأراد المازري أن يحرق كتابه إحياء علوم الدين، وكذلك غيره من المغاربة، وقالوا: هذا كتاب إحياء علوم دينه، وأما ديننا فإحياء علومه

كتاب الله وسنة رسوله، كما قد حكيت ذلك في ترجمته في الطبقات، وقد زيف ابن سكرة مواضع إحياء علوم الدين، وبين زيفها في مصنف مفيد).
(الهداية والنهاية 12-174)

وقال الذهبي:

(ولأبي الحسن ابن سكرة رد على الغزالي في مجلد سماه: إحياء ميت الأحياء في الرد على كتاب الإحياء). (سير أعلام النبلاء: 19-327).
وروى راشد بن أبي راشد الوليدي المالكي، المتوفي سنة (675 هـ)، في كتابه الحلال والحرام، أنه سمع الإمام عبد الله بن موسى الفشتالي المالكي يقول:

(لو وجدت تأليف القشيري لجمعتها وألقيتها بالبحر، قال:

وكذلك كتب الغزالي قال:

وسمعه يقول: إني لأتمنى على الله أن أكون يوم الحشر مع أبي محمد بن أبي زيد - أي القيرواني - لا مع الغزالي)).

(أنبل الابتهاج بتطريز الديباج: 117)

وقال الإمام أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوسي رحمه الله المتوفي سنة (520 هـ) في رسالة له إلى ابن المظفر، يتكلم فيها عن الغزالي رحمه الله:

(ثم تصوِّف فهجر العلوم وأهلها، ودخل في علوم الخواطر، وأرباب القلوب، ووساوس الشيطان، ثم شابهها بأراء الفلاسفة ورموز الحلاج، وجعل يطعن على الفقهاء والمتكلمين، ولقد كاد ينسلخ من الدين، فلما عمل (الإحياء) عمد يتكلم في علوم الأحوال، ومرامز الصوفية، وكان غير دري بها ولا خبير بمعرفتها!! فسقط على أم رأسه، فلا في علماء المسلمين قر، ولا في أحوال الزاهدين استقر، ثم شحن كتابه بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا أعلم كتاباً على وجه البسيطة - في مبلغ علمي - أكثر كذباً على رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، سبكه بمذاهب

الفلاسفة، ومعتني رسائل أخوان الصفا، وما مثل من قام لينصر دين الإسلام بمذاهب الفلاسفة، وآرائهم المنطقية، إلا كمن يضل الماء بالبول، ثم يسوق الكلام سوقاً، يرعد فيه ويبرق، يمني ويشوق حتى إذا تشوفت له النفوس، قال: "هذا من علم المعاملة، وما وراءه من علم المكاشفة، ولا يجوز تسطيره في كتاب"، أو يقول: "هذا من سر القدر الذي نهينا عن إفشائه"، وهذا فعل الباطنية، وأهل الدغل والدخل، وفيه تشويش للعقائد، وتوهين لما عليه كلمة الجماعة، فإن كان الرجل يعتقد ما سطره في كتابه لم يبعد تكفيره، وإن كان لا يعتقد ما أقرب تضليله).

(المعيار المَعْرَب: 12-186) و (تاريخ الإسلام للذهبي 122)، و (طبقات الشافعية الكبرى: 6-243) و (الرسائل 3/137).

أمثلة على بعض ما في كتاب الإحياء من الأخطاء:

قال الغزالي غفر الله له:

(قال أبو تراب النخشي يوماً لبعض مريديه: لو رأيت أبا يزيد - (أي: البسطامي) - فقال: إني عنه مشغول، فلما أكثر عليه "أبو تراب" من قوله "لو رأيت أبا يزيد" هاج وجد المرید، فقال:

ويحك، ما أصنع بأبي يزيد؟ قد رأيت الله فأغفاني عن أبي يزيد!! قال أبو تراب: فهاج طبعي ولم أملك نفسي، فقلت: ويلك تغتر بالله، لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة! قال: فبهت الفتى من قوله وأتكره، فقال: وكيف ذلك؟ قال له: ويلك أما ترى الله عندك فيظهر لك على مقدارك، وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره). (الإحياء: 4-305).

وقال غفر الله له:

(فاعلم أن الغناء أشد تهيجاً للوجد من القرآن من سبعة أوجه: الوجه الأول: أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه). (الإحياء: 2-298).

وقال غفر الله له:

(فإذا القلوب وإن كانت محترقة في حب الله تعالى، فإن البيت — يعني من الشعر — الغريب يهيج منها ما لا تهيج تلاوة القرآن، وذلك لوزن الشعر ومشاكلته للطباع).

(الإحياء: 2-301)

وقال غفر الله له:

(قال سهل التستري: "إن لله عبداً في هذه البلدة لو دَعَوْا على الظالمين لم يُصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في ليلة واحدة... حتى قال: ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها!").

وعلق على هذا الغزالي فقال:

(وهذه أمورٌ ممكنةٌ في نفسها، فمن لم يحظَ بشيءٍ منها، فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والإيمان بإمكانها، فإنَّ القدرةَ واسعةً، والفضلَ عظيم، وعجائبُ الملك والملوك كثيرةٌ، ومقدوراتُ الله تعالى لا نهايةَ لها، وفضله على عباده الذين اصطفى لا غايةَ له!).

(الإحياء: 4-305).

وقال غفر الله له:

(قال سهل بن عبد الله التستري وسئل عن سرِّ النفس؟ فقال: النفسُ سرُّ الله، ما ظهر ذلك السرُّ على أحدٍ من خلقه إلا على فرعون! فقال: أنا ربُّكم الأعلى!).

(الإحياء: 4-61).

وأورد الغزالي غفر الله له في الإحياء، المجلد الثالث، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قصة مراسلات بين الخليفة هارون الرشيد وسفيان الثوري، وما فيها من مواظ وقصص وكذب، وخفي عليه وهو القريب من زمتهم، أن الثوري مات قبل خلافة هارون الرشيد بعشر سنوات، مما يظهر بعده أيضاً عن التحقق، وقبوله لأي شيء يرد.

وقال غفر الله له:

(قال الجنيد: أحب للمريد المبتدئ أن لا يشغل قلبه بثلاث، وإلا تغر حاله! التكسب وطلب الحديث والتزوج. وقال أي: الجنيد: أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ، لأنه أجمع لهما).

(الإحياء: 4-206).

وقال غفر الله له:

(وعن بعضهم أنه قال:

أقلقتني الشوق إلى "الخضر" عليه السلام، فسألت الله تعالى أن يريني إياه ليعلمني شيئاً كان أهم الأشياء علي، قال: فرأيتُه فما غلبَ علي همي ولا همي إلا أن قلتُ له: يا أبا العباس! علمني شيئاً إذا قلتُ حُجبتُ عن قلوب الخليفة، فلم يكن لي فيها قنر، ولا يعرفني أحدٌ بصلاح ولا بفساد، فقال: قل "اللهم أسبل علي كثيف سترك، وحطْ علي سرابقات حجبك، واجطني في مكنون غيبك، واحجني عن قلوب خلقك" قال: ثم غاب فلم أره، ولم أشتق إليه بعد ذلك، فما زلت أقول هذه الكلمات في كل يوم، فحكى أنه صار بحيث يُستنزل ويمتحن، حتى كان أهل الذمة يسخرون به، ويستسخرونه في الطرق يحمل الأشياء لهم لسقوطه عندهم، وكان الصبيان يلعبون به، فكانت راحته ركود قلبه، واستقامة حاله في ذلك وخموله).

وعلق الغزالي فقال: ((وهكذا حال أولياء الله تعالى ففي أمثال هؤلاء

ينبغي أن يطلبوا.)).

(الإحياء: 4-306).

وقال غفر الله له:

(ومنهم من تأتي الكعبة إليه وتطوف هي به وتزوره).

(الإحياء 1-269).

وقال غفر الله له:

(وكان أبو يزيد وغيره يقول:

ليس العالم الذي يحفظ من كتاب، فإذا نسي ما حفظه صار جاهلاً، إنما العالم الذي يأخذ علماً من ربه أي وقت شاء بلا حفظ ولا درس!).
(الإحياء: 3-24).

وقال غفر الله له:

ونسأل الله أن يغفر لنا نقلنا هذا، لما فيه من اتهام الله بالظلم تعالى ربنا له الأسماء الحسنى والصفات العلى-
(قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة، وأبعد إبليس من غير جريمة سألقة!).

(الإحياء: 4-168).



مركز تحقيقات علوم اسلامی

أبو العباس المرسى

هو أحمد بن عمر الأنصاري المالكي، كان من الزهاد، تتلمذ على يد أبي الحسن الشاذلي، وكان الشاذلي يقول: عليكم به، توفي سنة (686 هـ).
(طبقات الصوفية: 2-338).

ومن أقوال أبي العباس المرسى: ما من ولي كسان أو هو كائن إلا أطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه وحظه من الله تعالى.

(مغراج المشوف لابن عجيبة: صفحة 88)

ولتطمق قارئ العزيز مدى المخالفة التي يقول بها المرسى وأمثاله من الصوفية إليك التالي:

قال ابن جزى الكلبي في تفسيره /2-155/: {فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ} الجن 26-27
أي لا يطلع أحداً على علم الغيب إلا من ارتضى وهم الرسل فبقية يطلعهم على ما شاء من ذلك، و{مِنْ}، في قوله {مِنْ رَسُولٍ} لبيان الجنس، لا للتبعض، والرسل هنا يحتمل أن يراد بهم الرسل من الملائكة، وعلى هذا حملها ابن عطية، أو الرسل من بني آدم، وعلى هذا حملها الزمخشري، واستدل بها على نفى كرامات الأولياء الذين يدعون المكاشفات، فإن الله خص الاطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم.
وهذه دعوة لتأمل قول الله تعالى:

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ}. آل عمران /179/

{قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}. النمل /65/

وجاء في حاشية كتاب (الديباج المذهب) للشيخ أحمد بن أحمد المعروف بهباب التنبكتي صفحة: 127 في ترجمة الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي:

(وعن أبي العباس المرسى قال:

جئت في الملكوت فرأيت سيدي أبا مدين متعلقاً بساق العرش وهو يومئذ رجل أشقر أزرق، فقلت له: وما علومك وما مقامك؟ فقال: علومي أحدٌ وسبعون علماً، ومقامي رابع الخلفاء، ورأس السبعة الأبدال، وسئل عما خصه الله به فقال:

مقامي العبودية، وعلومي الألوهية، وصفاتي مستمدة من الصفات الربانية؛ ملأت عظمته سري وجهري وأضاء بنوره بري و بحري). ويقول المرسى أبو العباس:

(لو علمت العراق والشام ما تحت هذه الشجرات لأتوها ولو سعياً على وجوههم)).

(لطائف المنن صفحة: 179)

ويقول ابن عطاء الله السكندري:

(سمعت شيخنا (يقصد المرسى أبو العباس) يقول في قوله عز وجل: {ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها} أي: ما نذهب من ولي لله إلا ونأت بخير منه أو مثله.

(لطائف المنن صفحة: 63)

أبو طالب المكي

محمد بن علي بن عطية أبو طالب المعروف بالمكي، قال الخطيب البغدادي:

صنف كتاباً سماه: قوت القلوب. على لسان الصوفية، ذكر فيه أشياء منكرة مستشعة، قال لي أبو طاهر محمد بن علي بن العلاف: كان أبو طالب المكي من أهل الجبل ونشأ بمكة، ودخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن بن سالم فالتقى إلى مقلته، وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ فخلط في كلامه، وحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضرار من الخلق.

فبدّعه الناس وهجروه وامتنع المكي من الوعظ.

(تاريخ بغداد 3-89).

ونقل كلام الخطيب مقرأ له الحافظ ابن حجر في كتابه "لسان الميزان" وقال: ذكره النديم في مصنف المعزلة. توفي في جمادى الآخرة من سنة ست وثمانين وثلاثمائة.

وقال أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي: (رأيت أكثر العباد على غير الجادة فمنهم من صح قصده، ولا ينظرون في سيرة الرسول وأصحابه ولا في أخلاق الأئمة المقتدى بهم، بل قد وضع جماعة من الناس لهم كتباً فيه رقائق قبيحة، وأحاديث غير صحيحة، وواقعات تخالف الشريعة، مثل كتب الحارث المحاسبي، وأبي عبد الله الحكيم الترمذي، وأبي طالب المكي).

(الفروع: 6-381).

وقال الحافظ ابن الجوزي:

(وصنف لهم - أي للصوفية - أبو طالب المكي قوت القلوب فنكر فيه الأحاديث الباطلة ومالا يستند فيه إلى أصل من صلوات الأئمة والليالي وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد. ورد فيه قول - قال

بعض المكاشفين - وهذا كلام فارغ، وذكر فيه عن بعض الصوفية أن الله عز وجل يتجلى في الدنيا لأولياته. (تلبس إبليس: 245).

قلت: يعد كتاب قوت القلوب من أهم كتب الصوفية، وهو الكتاب الذي أكثر الغزالي عنه النقل في كتابه الإحياء فوقع بسببه برواية الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنها: الأحاديث الموضوعة في فضل للصلاة والصيام والقيام في كل يوم من أيام الأسبوع.

قوت القلوب:

الاسم الكامل للكتاب: (قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد) طبع "المطبعة المصرية" الطبعة الأولى / 1351 هـ. وصاحب الكتاب هو: محمد بن علي بن عطية أبو طالب المكي. توفي سنة (386 هـ) ببغداد، ويعتبر هذا الكتاب من أهم المراجع التي نقل عنها الغزالي رحمه الله في كتابه الإحياء.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله:

(قال العتيقي كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة وصنف كتاباً سماه قوت القلوب، وذكر فيه أحاديث لا أصل لها وكان يعظ الناس في جامع بغداد وحكى ابن الجوزي أن أصله من الجبل وأنه نشأ بمكة وأنه دخل البصرة بعد وفاة أبي الحسن بن سالم فالتقى إلى مقالته ودخل بغداد فاجتمع عليه الناس وعقد له مجلس الوعظ بها فغلط في كلام، وحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضرار من الخلق. فبدعه الناس وهجروه، وامتنع من الكلام على الناس وقد كان أبو طالب هذا يبيع السماع فدعا عليه عبد الصمد بن علي ودخل عليه فعلقه على ذلك).

(البداية والنهاية: 11-319).

ويؤخذ على الكتاب عدة نواح منهجية وحديثية، فقد جاء (قوت القلوب

2-70) من الكتاب:

قول المؤلف غفر الله له:

(وأوحى الله تعالى إلى بعض أوليائه: كم من ذنب رأيته منك قد أهلك بدونه أمة من الأمم؟).

ويقول أيضاً:

(وحدثونا عن إبراهيم بن أدهم قال:

طفت ذات ليلة بالبيت وكانت ليلة مظلمة ذات مطر ورعد فخلا الطواف

فلما انتهيت إلى الباب قلت:

اللهم اعصمني حتى لا أعصيك أبداً، قال:

فسمعت قاتلاً يقول من جوف البيت:

يا إبراهيم أنت تسألني أن أعصمك، وكل عبادي يسألوني العصمة، فإذا

عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر). (قوت القلوب 3-91).

مما يؤخذ على الكتاب كذلك الأحاديث المكنوبة على رسول الله صلى الله

عليه وسلم، وهي كثيرة جداً منها: كما في (1-42):

عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار، ركعتين يقرأ في كل ركعة

فاتحة الكتاب، مرة، وآية الكرسي، مرة، وقل هو الله أحد، والمعوذتين،

مرة مرة، فإذا سلم، استغفر الله عشر مرات، وصلى على النبي صلى الله

عليه وسلم، عشر مرات، غفر الله تعالى له ذنوبه كلها). وهذا حديث

مكذوب.

قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء (2-164): حديث منكر.

ومنها: كما في (1-42):

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(من صلى يوم الأربعاء اثنتي عشرة ركعة، عند ارتفاع النهار، يقرأ في

كل ركعة، فاتحة الكتاب، وآية الكرسي، مرة، وقل هو الله أحد، ثلاث

مرات، والمعوذتين، ثلاث مرات، نادى مناد عند العرش: يا عبد الله،

استأنف عمل، فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك، ورفع الله سبحانه عنك

عذاب القبر، وضيقه وظلمته، ورفع عنك شدائد القيامة، ورفع له من يومه عمل نبي). وهو حديث مكنوب.

قال الحافظ العراقي في تخریج أحاديث الإحياء (2—2—165): فيه محمد بن حميد الرازي أحد الكذابين.

ومنها: كما في (1—43):

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(من صلى يوم السبت أربع ركعات، يقرأ في كل ركعة، فاتحة الكتاب، مرة، وقل يا أيها الكافرون، ثلاث مرات، فإذا فرغ، قرأ آية الكرسي، كتب الله له بكل حرف، حجة وعمرة، ورفع له بكل حرف أجر سنة، صيام نهارها، وقيام ليلها، وأعطاه الله عز وجل بكل حرف، ثواب شهيد، وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء).

وقد أحصيت عليه في تصفح قليل للكتاب المذكور العشرات من الأحاديث الموضوعة، ولولا أن المقام مقام اختصار لأوردت له أضعاف هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد والحمد لله رب العالمين.

محمد بن سعيد البوصيري

بردة البوصيري في ميزان العقيدة

محمد بن سعيد البوصيري نسبة إلى بلدته أبو صير بين الفيوم وبني سويف بمصر، ولد سنة (608هـ)، واشتغل بالتصوف، وعمل كاتباً مع قلة معرفته بصناعة الكتابة، ويظهر من ترجمته وأشعاره أن الناظم لم يكن عالماً فقيهاً، كما لم يكن عابداً صالحاً؛ حيث كان ممقوتاً عند أهل زمانه لإطلاق لسانه في الناس بكل قبيح، كما أنه كثير السؤال للناس، ولذا كان يقف مع نوي السلطان مؤيداً لهم، سواء كانوا على الحق أم على الباطل.

توفي سنة (695هـ) وله ديوان شعر مطبوع.

تعتبر ميمية البوصيري -المعروفة بالبردة- من أشهر المدائح النبوية وأكثرها ذيوماً وانتشاراً، ولذا تنافس أكثر من مائة شاعر في معارضتها، فضلاً عن المشطّرين والمخمّسين والمسيّبين، كما أقبل آخرون على شرحها وتدريسها، وقد تجاوزت شروحها المكتوبة خمسين شرحاً، فيها ما هو محلي بماء الذهب! وصار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد كالقرآن.

يقول محمد سيد كيلاني أثناء حديثه عن المخالفات الشرعية في شأن البردة:

ولم يكتف بعض المسلمين بما اخترعوا من قصص حول البردة، بل وضعوا لقراءتها شروطاً لم يوضع مثلها لقراءة القرآن، منها: التوضؤ، واستقبال القبلة، والدقة في تصحيح ألفاظها وإعرابها، وأن يكون القارئ عالماً بمعانيها، إلى غير ذلك. ولا شك أن هذا كله من اختراع الصوفية الذين أرادوا احتكار قراءتها للناس، وقد ظهرت منهم فئة عرفت بقراء البردة، كانت تُستدعى في الجنائز والأفراح، نظير أجر معين.

وأما عن مناسبة تأليفها فكما قال ناظمها: كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم اتفق بعد ذلك أن أصابني خلط فالج أبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة، فعلتها، واستشفعت بها إلى الله في أن يعافيني، وكررت إنشادها، وبكيت ودعوت، وتوسلت ونمت، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فمسح على وجهي بيده المباركة، وألقى عليّ بردة، فانتبهت ووجدت في نهضة؛ ففقت وخرجت من بيتي، ولم أكن أعلمت بذلك أحداً، فلقيني بعض الفقراء، فقال لي: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: أيها ؟

فقال: التي أنشأتها في مرضك، وذكر أولها، وقال: والله لقد سمعتها البارحة وهي تشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يتميل وأعجبته، وألقى عليّ من أنشدها بردة، فأعطيته إياها، وذكر الفقير ذلك، وشاع المنام. وسنورد جملة من المآخذ على تلك البردة التي قد تعلق بها كثير من الناس مع ما فيها من الشرك والابتداع.

1- يقول البوصيري:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من

لولا له لم تخرج الدنيا من العدم

ولا يخفى ما في عجز هذا البيت من القلو الشنيع في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث زعم البوصيري أن هذه الدنيا لم توجد إلا لأجله صلى الله عليه وسلم، وقد ثلّ سبحانه وتعالى:

(وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: 56).

2- قال البوصيري:

فاق النبيين في خلق وفي خلق

ولم يدانوه في علم ولا كرم

وكلهم من رسول الله ملتصق

غرفاً من البحر أو رشفاً من الدير

أي: أن جميع الأنبياء السابقين قد نالوا والتمسوا من خاتم الأنبياء
والرسل محمد صلى الله عليه وسلم فالسابق استفاد من اللاحق!

3- ثم قال:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم

واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

مركز تحقيق مكتبة التراث الإسلامي

يقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله
منتقداً هذا البيت: ومن المعلوم أن أنواع الغلو كثيرة، والشرك بحر لا
ساحل له، ولا ينحصر في قول النصارى؛ لأن الأمم أشركوا قبلهم بعبادة
الأوثان وأهل الجاهلية كذلك، وليس فيهم من قال في إلهه ما قالت
النصارى في المسيح - غالباً -: إنه الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة، بل
كلهم معترفون أن آلهتهم ملك الله، لكن عبدوها معه لاعتقادهم أنها تشفع
لهم أو تنفعهم فيحتج الجهلة المفتونون بهذه الأبيات على أن قوله في
منظومته:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم مخلص من الغلو بهذا البيت، وهو قد
فتح ببيته هذا باب الغلو والشرك لاعتقاده بجهله أن الغلو مقصور على
هذه الأقوال الثلاثة.

4 - وقال أيضاً:

لو ناسبت قدره آياته عظماً

أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

يقول بعض شراح هذه القصيدة:

لو ناسبت آياته ومعجزاته عظم قدره عند الله تعالى وكل قربه وزلفاه
عنده لكان من جملة تلك الآيات أن يحيي الله العظام الرفات ببركة اسمه
وحرمة ذكره.

5- وقال أيضاً:

لا طيب يعدل تراباً ضم أعظمه

طوبى لمن تشق منه وملثم

فقد جعل البوصيري التراب الذي دفنت فيه عظام رسول الله صلى الله
عليه وسلم أطيب وأفضل مكان، وأن الجنة والدرجات العلى لمن استنشق
هذا التراب أو قبَّله.

6- ثم قال:

أقسمتُ بالقمر المنشق إن له

من قلبه نسبة مبرورة القسم

ومن المعلوم أن الحلف بغير الله تعالى من الشرك الأصغر.

7- قال البوصيري:

ولا التمسست غنى الدارين من يده
إلا استلمت الندى من خير مستلم

فجعل البوصيري غنى الدارين مكتسباً من يد النبي صلى الله عليه
وسلم، مع أن الله عز وجل قال:
(وَمَا بِكُمْ مِّنْ نُّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) النحل: 53.

8- قال البوصيري:

فإن لي ذمة منه بتسميتي محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

وهذا تخرُّص وكذب؛ فهل صارت له ذمة عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم لمجرد أن اسمه موافق لاسمه؟!
فما أكثر الزنادقة والمنافقين في هذه الأمة قديماً وحديثاً الذين يتسمون
بمحمد!

9- وقال البوصيري:

إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي
فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

والشاعر في هذا البيت ينزل الرسول منزلة رب العالمين؛ إذ مضمونه
أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المسؤول لكشف أعظم الشدائد في
اليوم الآخر.

10- وقال:

يا أكرم الرسل ما لي من ألوذ به

سواك عند حلول الحادث العمم

يقول الشيخ سليمان بن محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعقيباً على هذا البيت: فتأمل ما في هذا البيت من الشرك:

منها: أنه نفى أن يكون له ملاذ إذا حلت به الحوادث إلا النبي صلى الله عليه وسلم، وليس ذلك إلا الله وحده لا شريك له، فهو الذي ليس للعبد ملاذ إلا هو.

ومنها: أنه دعاه وناداه بالتضرع وإظهار الفاقة والاضطرار إليه، وسأل منه هذه المطلب التي لا تطلب إلا من الله، وذلك هو الشرك في الإلهية.



11- وقال البوصيري:

مركز تحقيقات تكملة علوم رسول

ولن يضيق رسول الله جاهك بي

إذا الكريم تجلى باسم منتقم

قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب:

سؤاله منه أن يشفع له في قوله: ولن يضيق رسول الله... إلخ، هذا هو الذي أراده المشركون ممن عبدوهم وهو الجاه والشفاعة عند الله، وذلك هو الشرك، وأيضاً فإن الشفاعة لا تكون إلا بعد إذن الله فلا معنى لطلبها من غيره؛ فإن الله - تعالى - هو الذي يأذن للشافع أن يشفع لا أن الشافع يشفع ابتداءً.

12- وقال أيضاً:

فإن من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم

فجعل الدنيا والآخرة من عطاء النبي صلى الله عليه وسلم وإفضاله،
والله سبحانه وتعالى يقول: (وإن لنا للآخرة والأولى) (البقرة: 13).

وقوله: ومن علومك علم اللوح والقلم. مضمون مقالته أن الرسول صلى
الله عليه وسلم يعلم الغيب، وقد قال سبحانه:

(قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) (النمل: 65).

وأخيراً أدعو كل مسلم علق بهذه القصيدة وولع بها أن يشتغل بها ينفع؛
فإن حق النبي صلى الله عليه وسلم إنما يكون بتصديقه فيما أخبر، واتباعه
فيما شرع، ومحبة دون إفراط أو تفريط، وأن يشتغلوا بسماع القرآن
والسنة والتفقه فيهما؛ فإن البوصيري وأضرابه استبدلوا إتقان سماع
هذه القصائد بسماع القرآن والعلم النافع، فوقعوا في مخالفات ظاهرة
وماخذ فاحشة.

وإن كان لا بد من قصائد ففي المدائح النبوية التي أنشدتها شعراء
الصحابة رضي الله عنهم كحسان وكعب بن زهير ما يغني ويكفي.

اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وآل
إبراهيم؛ إنك حميد مجيد.

عن مقالة بعنوان (قوادح عقديّة في بركة البوصيري) للشيخ عبد العزيز محمد آل
عبد اللطيف.

الخضر عليه السلام

في المعتقد الصوفي

قصة الخضر عليه الصلاة والسلام التي وردت في القرآن في سورة الكهف، ووردت في السنة في البخاري وغيره، حرق الصوفية معانيها وأهدافها ومراميها وجعلوها عموداً من أعمدة العقيدة الصوفية، فقد جعلوا هذه القصة دليلاً على أن هناك ظاهراً شرعياً، وحقيقة صوفية تخالف الظاهر، وجعلوا إنكار علماء الشريعة على علماء الحقيقة أمراً مستغرباً (فقد أنكر موسى من قبل على الخضر وكان كل منها على شريعة خاصة) وجعل الصوفية الخضر مصدراً للوحي والإلهام والعقائد والتشريع. ونسبوا طائفة كبيرة من علومهم التي ابتدعوها إلى الخضر، وقد أكثروا من ادعاء لقيا الخضر والأخذ عنه. *مركز تحقيق مكتبة علوم راسمي*

ولما كان لهذه القصة هذا الدور العظيم في الفكر الصوفي فقد أحببت أن أجلي هذا الأمر وأوقف الإخوة القراء على حقيقة الأمر ولنبدأ أولاً بالقصة في القرآن والسنة:

الخضر في القرآن الكريم:

قال تعالى:

{فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا} {65} قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَٰ رُسُلَنَا {66} قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا {67} وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا {68} قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا {69} قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ

أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا {70} فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا
 قَالَ أَخَرَقْتُهَا لِتُفَرِّقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا {71} قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ
 لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا {72} قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا
 تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا {73} فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ
 قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا {74} قَالَ أَلَمْ
 أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا {75} قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ
 بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا {76} فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا
 أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا
 جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا {77}
 قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ
 صَبْرًا {78} أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدَتْ
 أَنْ أَعْيِبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا {79} وَأَمَّا
 الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا {80}
 فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّا زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا {81} وَأَمَّا
 الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا
 وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا
 كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ
 تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا {82}

الخضر في السنة الصحيحة:

وقبل أن نتعرض لبعض ما جاء في هذه الآيات الكريمة بالشرح
 والتفسير نستعرض ما رواه الإمام البخاري رضي الله عنه في شأن هذه
 القصة. قال الإمام البخاري:

باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام:

1- حدثنا عمرو بن محمد حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثني أبي عن صالح عن أبي شهاب أن عبيد الله بن عبد الله أخبره عن ابن عباس أنه تملأ هو والحر بن قيس الفزارى في صاحب موسى، قال ابن عباس: هو خضر، فمر بهما أبي بن كعب، فدعاه ابن عباس فقال: إني تملأت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيته، هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه؟

قال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(بينما موسى في ملاء من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال: لا. فأوحى الله إلى موسى بل عبدنا خضر، فسأل موسى السبيل إليه، فجعل له الحوت آية، وقيل له إذا فقدت الحوت فارجع فبتك ستلقاه، فكان يتبع الحوت في البحر، فقال لموسى فتاه: رأيت إذا أوبنا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره. فقال موسى: ذلك ما كنا نبغي، فارتدا على آثارهما قصصاً فوجدأ خضراً، فكان من شأنهم الذي قص الله في كتابه).

2- حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى بن إسرائيل، إنما هو موسى آخر. فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل: أي الناس أعلم؟ فقال أنا.

فغضب الله عليه إذ لم يردّ العلم إليه فقال له:

بلى، لي عبد بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال أي رب ومن لي به؟ - وربما قال سفيان؟ أي رباً وكيف لي به؟ - قال تأخذ حوتاً فتجعله في مكمل، حيثما فقدت الحوت فهو ثم وربما قال: فهو ثمه - وأخذ حوتاً فجعله في مكمل ثم اطلق هو وفتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخرة وضعا

رؤوسهما، فرقد موسى واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر، فتخذ سبيله في البحر سرباً، فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار مثل الطاق - فقال هكذا مثل الطاق - فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما، حتى إذا من الغد قال لفتاه آتيا غداً لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً. ولم يجد موسى النصيب حتى جاوز حيث أمره الله، قال له فتاه أرايت إذ أومنا إلى الصخرة فبقيت نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أنكره، واتخذ سبيله في البحر عجباً، فكان للحوت سرباً ولهما عجباً، قال له موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصاً - رجعا يقصان آثارهما - حتى انتهيا إلى الصخر، فإذا رجل مسجى بثوب، فسلم موسى فرد عليه فقال: وأنت بارضك السلام، قال أنا موسى، قال: موسى بنى إسرائيل؟ قال نعم، أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً.

قال يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمك الله لا أعلمه. قال هل أتبعك؟ قال: إني لن تستطيع معي صبراً، وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً - إلى قوله - إمرأ. فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة كملوهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول. فلما ركبا في السفينة جاء عصفور فوق على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، قال له الخضر يا موسى، ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر. إذا أخذ الفأس فنزع لوحاً، قال فلم يلجأ موسى إلا وقد قلع لوحاً بالقدوم، فقال له موسى: ما صنعت؟ قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهما فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جنت شيئاً إمرأ.

قال: ألم أقل لك إني لن تستطيع معي صبراً؟

قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً.

فكانت الأولى من موسى نسياناً، فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعب مع الصبيان، فأخذ الخضر برأسه فقلعه بيده هكذا - وأوما سفيان بأطراف أصابعه كأنه يقطف شيئاً - فقال له موسى:

أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً. قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟

قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً. فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما، فوجدوا فيها جداراً يريد أن ينقض مائلاً - أوما بيده هكذا، وأشار سفيان كأنه يمسخ شيئاً إلى فوق، فلم أسمع سفيان يذكر (مائلاً) إلا مرة - قال: قوم أتيناكم فلم يطعمونا ولم يضيفونا، عمدت إلى حائطهم، لو شئت لاتخذت عليه أجراً. قال هذا فراق بيني وبينك، سأتبئك بنأويل ما لم تستطع عليه صبراً، قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(وددنا لو أن موسى كان صبر فقص الله علينا من خبرهما).

قال سفيان: قال النبي صلى الله عليه وسلم:

(يرحم الله موسى لو كان صبر يقص علينا من أمرهما).

وقرأ ابن عباس: أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً.

وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين. ثم قال لي سفيان: سمعته منه مرتين وحفظته منه. قيل لسفيان قبل أن تسمعه عن عمرو أو تحفظه من إنسان؟

فقال ممن أتخفظه؟ ورواه أحد عن عمرو غيري؟ سمعته منه مرتين أو ثلاثاً وحفظته منه.

3- حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء).

فقه القصة كما وردت في الكتاب والسنة:

ومن هذا العرض الكامل لنصوص القصة في القرآن وفي صحيح

البخاري نستخلص الفوائد التالية:

1- أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يؤيد نبيه موسى صلى الله عليه وسلم الذي قال جواباً عن سؤال (لا أعلم على الأرض أعلم مني)!!

إذ كان يجب أن يرد علم ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، فلأراه الله جل وعلا أن هناك عبداً لا يعلمه موسى هو على علم من علم الله لا يعلمه موسى وكان من أجل ذلك هذا اللقاء بين موسى والخضر.

2- أن الخضر بعد أن تم لقاءه بموسى أخبره أن علم الخضر وعلم موسى بجوار علم الله سبحانه لا شيء وأنهما لم ينقصا من علم الله إلا كما شرب العصفور من ماء النهر.

3- أن الشريعة التي كان عليها الخضر لم تكن في حقيقتها مخالفة للشريعة التي عليها موسى، وإنما كان يخفى على موسى فقط الخلفية التي من أجلها فعل الخضر ما فعله، ولذلك فإن الخضر عندما بين لموسى الأسباب التي دفعته إلى خرق السفينة، وقتل الغلام، وبناء الجدار لم يستنكر موسى شيئاً من ذلك لأن هذا كله سائع في الشريعة، فإتلاف بعض المال لاستنقاذ بعضه جائز فلو وكلت مثلاً رجلاً على عمل لك ثم جاء لنصوص أو ظلمه قطاع طريق ليستولوا على المال كله ولم يجد هذا الوكيل وسيلة لدفعهم إلا بأن يدفع لهم بعض المال ويتركوا بعضه لما كان ملوماً شرعاً، ولا يلام ممن وكله بل يستحسن فعله، وما فعله الخضر بالنسبة إلى السفينة لا يعدو ذلك فهو إنما أفسد السفينة فساداً جزئياً لتظهر لأعدوان ذلك الملك الظالم أنها غير صالحة فيتركوها وبذلك تسلم من القصب، ولا شك أن ما فعله الخضر في حقيقته إحسان لأصحاب السفينة لأن الله أطلعته على شيء من المستقبل في أن ذلك الملك الظالم سيصادر السفن لأمر ما

كما هو حال كثير من الرؤساء والملوك الظلمة يصادرون وسائل النقل
أحياناً إما لمصلحتهم أو لمصلحة عامة..

فما فعله الخضر بالنسبة إلى السفينة موافق للشرع الإلهي تماماً في كل
دين وملة وليس مخالفاً للتشريع، وإنكار موسى في أول الأمر ناشئ من
أنه لم يعرف الخلفية الغيبية التي كان الله قد أطلع عليها الخضر بوحي من
عنده.

وأما قتل الغلام فهو كذلك سائع في الشريعة إذا كان هذا الغلام سيكون
ظالماً لوالديه، مجبراً لهما على الكفر وكان هذا مما علمه الله مستقبلاً،
وأطلع عليه الخضر، فكان قتله أيضاً سائعاً، وقد جاءت الشريعة بقتل
الصلال المعتدي. حقاً إن الشريعة لا تأمر بقتل الصال إلا إذا باشر
العدوان، والطفل هنا لم يبشر العدوان بعد، ولكن القتل هنا بأمر الله
سبحانه وتعالى الذي يعلم ما سيكون، وقد كان هذا منه سبحانه وتعالى
رحمةً لعبدين من عباده صالحين أراد الله جل وعلا أن لا يتعرضا لفتنة هذا
الولد العاق فيتلما المين، الأكم الأول أنه ولدهما وعقوق الأولاد شديد على
قلوب الآباء، والثاني أنهما قد يبلغان الكفر ويتعبان في التمسك بالإيمان
وهذا عذاب آخر، فجمع الله سبحانه وتعالى لهما عذاباً واحداً فقط وهو فقد
الولد، وفيه خير لهما ولا شك لأن صبرهما، أيضاً على فقدده فيه خير لهما.
فلما علم الله ذلك، وأطلع الخضر عليه، ونفذ هذا بأمر الله كان ذلك كله
موافقاً للشريعة التي عليها موسى وعليها محمد صلى الله عليه وسلم
وعليها سائر الأنبياء.

ولذلك لما قيل لابن عباس على هذه الحادثة: أيجوز أن نقتل الأولاد؟..
قال: إذا علمت منهم ما علم الخضر فافعل.. أي إن ذلك سائع في الشريعة
ولكن أين من يطلع الله على الغيب كما أطلع الخضر عليه السلام.

وأما مسألة بناء جدار لقوم بخلاء لم يبذلوا القرى (بكسر القاف) والضيافة الواجبة، فإن ذلك من باب مقابلة الإساءة بالإحسان، وهذا خلق من أخلاق الشريعة الإسلامية والمسيحية واليهودية ففي القرآن الكريم:

(وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ انْفَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) فسكت: 34

وفي الإنجيل (أحسنوا إلى من أساء إليكم وباركوا لأعينكم)، وقال تعالى فيما أوحاه لموسى عليه الصلاة والسلام:

(وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) البقرة: 83.

وما فعله الخضر هو من باب الإحسان إلى قوم قدموا الإساءة.

ثم إن إحسانه لهذين الغلامين لم يتأت منهما إساءة وكان أبوهما رجلاً صالحاً وهم في قرية ظالمة بخيلة ولو هدم جدار بيتهم لانكشف كنزهم ولاستولى عليه هؤلاء القوم البخلاء، فلا شك أن ما فعله الخضر من بناء الجدار هو عين ما تأمر به كل شرائع الأنبياء التي أمرت بالفضل والإحسان، ورعاية التماسي وحفظ حقوقهم..

فأي شيء يستغرب مما فعله الخضر، وأي حقيقة اطلع عليها الخضر تخالف ظاهر شريعة كان عليها موسى بل ما فعله الخضر موافق تماماً لشريعة موسى ولشريعة عيسى ولشريعة محمد ولكل شرائع الله المنزلة، ولم يقل الخضر أو يفعل شيئاً يخالف ما كان عليه الأنبياء صلوات الله عليهم، وإنما فقط أطلعه الله على بعض أسرار المقادير ففعل ما فعل من الحق الذي لا تنكره الشرائع بناء على هذه الأخبار والأنباء التي أطلعه الله عليها. وباختصار لم يفعل الخضر شيئاً مخالفاً لشريعة موسى فافهم هذا جيداً وتمسك به.

4- وجود الخضر عليه السلام على دين وشريعة غير شريعة موسى كان أمراً سابقاً لسنة من سنن الله قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم

لأن النبي كان يبعث إلى قومه خاصة، ولذلك كان موسى رسولاً إلى بني إسرائيل فقط، ولم يكن رسولاً للعالمين، ولذلك لما سلم موسى عليه السلام على الخضر قال الخضر: وأنت بأرضك السلام. قال له موسى أنا موسى. قال الخضر: موسى بني إسرائيل؟! قال: نعم.. أي أنت مبعوث إلى بني إسرائيل ومنهم، ولذلك لم تكن شريعة موسى لازمة للخضر ولجميع الناس في زمانه، وأما بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فإنه لا يجوز شرعاً أن يكون هناك من هو خارج عن شريعته، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم رسول للعالمين، فلا يسع الخضر ولا غيره أن يتخلف عن الإيمان به واتباعه ولذلك فلا وجود بتاتاً للخضر وأمثاله بعد بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

5- لا شك أن ما فعله الخضر فعله عن وحي حقيقي من الله وليس عن مجرد خيال أو إلهام لأن قتل النفس لا يجوز بمجرد الظن، ولذلك قال الخضر: (وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي) فلم يفعل إلا عن أمر الله الصالح ووحيه القطعي. ومثل هذا الأمر والوحي القطعي قد انقطع بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم فلا وحي بعده، ومن ادعى شيئاً من ذلك فقد كفر لأنه بذلك خالف القرآن الذي يقول الله فيه:

(ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً) الأحزاب: 40.
وقال أيضاً رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(وختم بي النبيون فلا نبي بعدي) (رواه مسلم).

من بيان الحقائق السالفة تتضح لنا الصورة الحقيقية لقصة الخضر عليه السلام، والاعتقاد الواجب فيه حسب الكتاب والسنة. ولكن المتصوفة جعلوا من هذه القصة شيئاً مختلفاً تماماً. فقد زعموا أن الخضر حي إلى أبد الدهر، وأنه صاحب شريعة وعلم باطني يختلف عن علوم الشريعة

الظاهرية، وأنه وليّ وليس بنبي، وأن علمه علم لدني موهوب له من الله بغير وحي الأنبياء وأن هذه العلوم تنزل إلى جميع الأولياء في كل وقت قبل بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبعد بعثته، وأن هذه العلوم أكبر وأعظم من العلوم التي مع الأنبياء، بل وعلوم الأنبياء لا تداويها ولا تضاهيها، فكما أن الخضر وهو وليّ فقط في زعمهم كان أعلم من موسى فكذلك الأولياء من أمة محمد هم أعلم من محمد صلى الله عليه وسلم لأن محمداً عالم بالشرعية الظاهرة فقط، والولي عالم بالحقيقة الصوفية، وعلماء الحقيقة أعلم من علماء الشريعة، وزعموا كذلك أن الخضر يلتقي بالأولياء ويعلمهم هذه الحقائق ويأخذ لهم العهود الصوفية، وأن الحقائق الصوفية تختلف عن الحقيقة المحمدية ولذلك فلكل ولي شريعته المستقلة فما يكون معصية في الشريعة كشرب الخمر والزنا واللواط، قد يكون حقيقة صوفية وقربة إلى الله حسب العلم الباطني، وكذلك في أمر العقائد ومسائل الإيمان فلكل ولي كشفه الخاص، وعلمه الخاص اللدني الذي قد يختلف عن الوحي النبوي..

وهكذا جعل المتصوفة من قصة الخضر باباً عظيماً لإدخال كل أنواع الخرافات والزندقة والجهل والإسفاف...، بل بلغ الهذيان وحده عندهم حيث يوجد من زعم منهم أن الخضر لا يصلي لأنه على شريعة خاصة!! ومنهم من زعم أن الخضر يصلي ولكن على المذهب الحنفي!! ولكن صوفياً آخر يزعم أنه رأى الخضر يصلي ولكن على المذهب الشافعي!! بل وأكثر من ذلك زعموا أن الخضر هو الذي يلتقيه أذكوار الطريقة الإدريسية والسنوسية.

باختصار لقد تحول الخضر إلى قصة خرافية كبيرة أشبه بقصة ما يسمونه بالسوبرمان الذي يطير في كل مكان، ويلتقي بالأصدقاء والخلان في كل البلدان، ويشرع للناس ما شاء من عبادات وقربات، ويلقن الأذكار وينشئ الطرق الصوفية، ويعمد الأولياء والأقطاب، ويولي من يشاء،

ويعزل من يشاء، ولنذهب معاً في جولة مع الفكر الصوفي حول قصة الخضر:

أول من افترى القصة الصوفية للخضر:

يبدو أن أول من افترى القصة الصوفية للخضر هو محمد بن علي بن الحسن الترمذي المسمى بالحكيم والمتوفى في أواخر القرن الثالث الهجري - فالترمذي هذا يقول في كتابه ختم الولاية - يقول في جوابه عن علامات الأولياء:

"وللخضر عليه السلام، قصة عجيبة في شأنهم وقد عاين شأنهم في البدء ومن وقت المقادير فأحب أن يدركهم، فأعطى الحياة حتى بلغ من شأنه أنه يحشر مع هذه الأمة وفي زمرة، حتى يكون تبعاً لمحمد صلى الله عليه وسلم، وهو رجل من قرن إبراهيم الخليل، وذي القرنين، وكان على مقدمة جنده، حيث طلب ذو القرنين عين الحياة ففاته وأصابها الخضر، في قصة طويلة. وهذه آياتهم وعلاماتهم. فأوضح علاماتهم ما ينطقون به من العلم وأصوله.

قال له قائل: وما ذلك العلم؟

قال: علم البدء، وعلم الميثاق، وعلم المقادير، وعلم الحروف. فهذه أصول الحكمة وهي الحكمة العليا. وإنما يظهر هذا العلم عن كبراء الأولياء، ويقبله عنهم من له حظ من الولاية" (ختم الولاية ص 362) وفي هذا النص يزعم مجرد زعم بلا أدنى دليل أو علم أن الخضر هذا عاين منذ بدء الخليقة أمور الأولياء وعرفهم منذ كتابة المقادير. وأحب - في زعم الترمذي - أن يدرك هؤلاء الأولياء، فأعطى الحياة حتى يبلغ أمة محمد صلى الله عليه وسلم..

وأما هو أي الخضر فكان في قرن إبراهيم أي وجد في زمانه.. وزمن ذي القرنين.. فانتظر هذا الجهل والتخريف والافتراء.. الذي لا يقوم على

أبني دليل إلا الكذب والبهتان.. ثم يستطرد في بهتاته فيزعم أن ذا القرنين كان يحارب ويسافر ليصل إلى عين الحياة التي من شرب منها فلا يموت أبداً فلم يستطع الوصول إليها ولكن الخضر وصل إليها.. فتتظر هذا الكذب والتخريف.

وهذا بالطبع منقول بعضه من تخريف اليهود وافتراءاتهم أن آدم لما خلقه الله في الجنة أكل من شجرة المعرفة فأصبح كالله يعلم الخير والشر، ثم خاف الله منه أن يأكل من شجرة الحياة فيحيا أبداً ولا يموت فلما خاف الله من ذلك طرده من الجنة من أجل ذلك.. (انظر التوراة الإصحاح الثالث). ولقد لفق الترمذي من هذه القصص الخرقاء قصته عن الخضر التي تلقفها الصوفية فيما بعد وزادوا عليها ما شلواوا.

والمهم هنا أنه زعم كل هذه المزاعم وأن الخضر حي أبداً وأنه قتل مع ذي القرنين.. ولسنا ندري أين كان ما دام أنه حي يرزق إلى آخر الحياة. أين كان عن شهود غزوة بدر وأحد والخندق والمواقع، ولماذا لم يشترك في فتح القادسية واليرموك، ولماذا لم يلتق بابي بكر وعمر، ولم يتشرف قبل ذلك برؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دام أنه حي أبداً واطلع على جميع الأولياء منذ البدء..

بل ولماذا لم ينزل ولم يلتق إلا بالكذابين الضالين أمثال هذا الترمذي الذي لم يتنبأ له إلا امرأته التي تنزل عليها الوحي حسب زعمه وبشرته بأنه سيكون من شأنه كذا وكذا إلى أن يكون خاتم الأولياء كما كان محمد خاتم النبيين!!

والترمذي الذي هذا هو شأنه يذكر أيضاً من صفات أوليائه المزعومين أنه تظهر على أيديهم الآيات كطي الأرض، والمشي على الماء، ومحادثة الخضر عليه السلام الذي زعم أيضاً أن الأرض تطوي له برها وبحرها، سهلها وجبلها، يبحث عن الأولياء شوقاً إليهم (ختم الولاية ص 361).

ومنذ ذلك الوقت الذي افترى فيه من افترى هذه الفرية على الخضر عليه السلام سواء كان الترمذي نفسه هذا أو هو ناقل عن قبله..

أقول سواء كان هذا أو هذا فإن المتصوفة بدأوا ينسجون الخرافات حول قصة الخضر وإليك بعضاً من هذه الخزعبلات والخرافات:

الخضر يصلي على المذهب الشافعي:

من أطرف القصص ما ذكره أحمد الفاروقي السرهندي في كتابه المنتخبات أنه رأى الخضر وإلياس عليهما السلام حضرا عنده في حلقة الدرس وأن الخضر قال له إنهما من عالم الأرواح وأنهما يتشكلان بما شاءا من الصور.. وأنه أي السرهندي هذا سأل الخضر هل تصلون بمذهب الشافعي فقال له الخضر لسنا مكلفين بالشرائع!! ولكن لأن قطب الزمان الشافعي فنحن نصلي وراءه على مذهبه الشافعي..

ويعلق السرهندي على ذلك فيقول إن كمالات الولاية مختصة بالمذهب الشافعي، وأما كمالات النبوة فهي من اختصاص المذهب الحنفي!! ولذلك عندما ينزل عيسى بن مريم فاته يصلي ويعمل بالمذهب الحنفي!!

وإليك نص أحمد السرهندي في هذه الخرافات قل:

المكتوب الثاني والثمانون والمئتان: إلى الملا بديع في بيان ملاقات الخضر وإلياس عليهما السلام وبيان نبذة من أحوالهما.

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى قد مضت مدة من استفسار الأصحاب عن أحوال الخضر على نبينا عليه الصلاة والسلام. ولما لم يكن للفقيه اطلاع على أحواله كما ينبغي كنت متوقفاً في الجواب فرأيت اليوم في حلقة الصباح أن إلياس والخضر عليهما السلام حضرا في صورة الروحانيين فقال الخضر بالإلقاء الروحاني:

نحن من عالم الأرواح قد أعطى الحق سبحانه أرواحنا قدرة كاملة بحيث تتشكل وتتمثل بصورة الأجسام ويصدر عنها ما يصدر عن الأجسام من

الحركات والسكنات الجسمانية والطاعات والعبادات الجسدية. فقلت له في تلك الأثناء:

أنتم تصلون الصلاة بالمذهب الشافعي. فقال نحن لسنا مكلفين بالشرائع، ولكن لما كانت كفاية مهمات قطب الدار مربوطة بنا وهو على مذهب الإمام الشافعي نصلي نحن أيضاً وراءه بمذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه. فعلم في ذلك الوقت أنه لا يترتب الجزاء على طاعتهم بل تصدر عنهم الطاعة والعبادة موافقة لأهل الطاعة ومراعاة لصورة العبادة وعلم أيضاً أن كمالات الولاية موافقة لفقهاء الشافعي وكمالات النبوة موافقة لفقهاء الحنفي. فعلم في ذلك الوقت حقيقة كلام الخواجة محمد بارسا قدس سره حيث ذكر في الفصول الستة نقلاً أن عيسى عليه وعلى نبينا السلام يعمل بعد نزوله بمذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه رضي الله عنه فوقع في خاطر في ذلك الوقت أن نستمد بهما وأن نطلب منهما الدعاء فقال إذا كانت غاية الحق سبحانه شاملة لحال الشخص فلا مدخل لنا هناك وكأنهم أخذوا أنفسهم من البين. وأما إلياس على نبينا وعليه الصلاة والسلام فلم يتكلم في ذلك الوقت أصلاً والسلام.

(المنتخبات من المکتوبات لأحمد الفاروقي صفحة: 91 طبع تركيا).

الخضر حنفي وليس شافعيًا:

ويبدو أن الكشف السابق لما يسمونه بالعالم الرباني أحمد السرهندي الذي أراد به التنقص من المذهب الشافعي وعلاء منزلة المذهب الحنفي وذلك أنه جعل المذهب الحنفي للأنبياء، والمذهب الشافعي للأولياء.. أقول يبدو أنه لم يطلع على كشف الشعراني الذي زعم أن الخضر كان حنفيًا ولم يكن شافعيًا حيث ذكر في كتاب معارج الأبواب عن بعض شيوخه أنه ذكر له أن الخضر عليه السلام كان يحضر مجلس فقه أبي حنيفة في كل يوم بعد صلاة الصبح يتعلم منه الشريعة فلما مات (أي أبو حنيفة) سأل الخضر ربه أن يرد روح أبي حنيفة إلى قبره حيث يتم له علم الشريعة وأن

الخضر كان يأتي إليه كل يوم على عادته يسمع منه الشريعة داخل القبر وأقام على ذلك خمس عشرة سنة حتى أكمل علم الشريعة (معارج الأكلاب ص 44).

فاتنظر أي تخطيط وكذب سمج، فهذا الخضر المزعوم أين هو من تعلم الشريعة على يد محمد صلى الله عليه وسلم، وهم يزعمون أنه كان حياً ذلك الوقت ولماذا لم يتعلم على الخلفاء الراشدين وهم أعلم الناس بالشريعة.. ولقد قال أبو حنيفة نفسه: دعوا قولي لقول أصحاب رسول الله فإلهم كانوا أعلم بالتنزيل!! فإذا كان أبو حنيفة يأمرنا أن نترك قوله لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول أصحابه فكيف يترك الخضر المزعوم تعلم الشريعة عن الرسول وأصحابه وينتظر حياً حتى يأتي أبو حنيفة ليتعلم منه الشريعة.. ثم أي تلميذ بليد هذا الخضر الصوفي المزعوم حتى يمكث مع أبي حنيفة كل حياته ولا يستطيع أن يتعلم علمه.. ويدعو الله أن يظل أبو حنيفة حياً في قبره ليستكمل الدراسة ويستمر في التسردد على القبر يوماً لمدة خمس عشرة سنة ليتعلم علم أبو حنيفة فضلاً عن عشرات السنين قبل ذلك!!

ورحم الله الإمام الشافعي القائل:

"لا أرى أن رجلاً يتصوف أول النهار حتى يكون أحرق في آخره.. وقال: "لا أرى أن رجلاً يصاحب الصوفية أربعين يوماً فيعود إليه عقله أبداً".

وزعم الحصفكي الحنفي في مقدمة كتابه الدر المختار أن الخضر أودع أوراق المذهب الحنفي في نهر جيحون إلى وقت نزول عيسى عليه السلام حتى إذا نزل أخذ هذه الصحائف وتعلم منها المذهب الحنفي حتى يحكم به في آخر الزمان!!

الخضر يعلم الأذكار الصوفية:

الخضر الصوفي المزعوم يكاد يكون في كل ميدان من ميادين التصوف، فهو صاحب الكشف وهو نقيب الأولياء، وهو آخذ العهود، وهو مرشد الأنام، وهو معلم الأذكار. يقول أحمد بن إدريس:

"اجتمعت بالنبي صلى الله عليه وسلم اجتماعاً صورياً ومعه الخضر عليه السلام فأمر النبي عليه السلام الخضر أن يلقنني أذكار الطريقة الشاذلية فلقنني إياها بحضرته صلى الله عليه وسلم"

(مفتاح كنوز السموات والأرض لصالح محمد الجعفري ص8)

ويستطرد أيضاً قائلًا:

"ثم قال صلى الله عليه وسلم للخضر عليه السلام يا خضر لفته ما كان جامعاً لسائر الأذكار والصلوات والاستغفار"

(مفتاح كنوز السموات والأرض لصالح محمد الجعفري ص8).

قلت اعلم أن أذكار الطريقة الشاذلية هذه فيها كفر وشرك فمن أذكارها صلاة ابن مشيش (اللهم اتشلتني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة) وفيها أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو أصل هذا الوجود وأول مخلوق فيه ومنه انشقت كل الأنوار وظهرت كل الموجودات.

(اقرأ الباب الخاص بالحقيقة المحمدية، والباب الخاص بالذكر الصوفي).

مختصراً من كتاب الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة.

بعض من كذب ودجل الصوفية في زعمهم لقاء الخضر.

قال الغزالي:

(وعن بعضهم أنه قال: أفلقتني الشوق إلى "الخضر" عليه السلام، فسألت الله تعالى أن يريني إياه ليعلمني شيئاً كان أهم الأشياء عليّ، قال: فرأيتك فما غلب على همي ولا همتي إلا أن قلت له: يا أبا العباس! علمني شيئاً إذا قلت له حُجبت عن قلوب الخليفة، فلم يكن لي فيها قدر، ولا يعرفني أحدٌ بصلاح ولا دينية؟، فقال: قل "اللهم أسبل عليّ كثيف سترك، وحطّ عليّ

سراياك حجبك، واجعطني في مكنون غيبك، واحجبنى عن قلوب خلقك " قال: ثم غاب قلم أره، ولم أشتق إليه بعد ذلك، فما زلت أقول هذه الكلمات في كل يوم، فحكى أنه صار بحيث يستدل ويمتهن، حتى كان أهل الذمة يسخرون به، ويستسخرونه في الطرق بحمل الأشياء لهم لسقوطه عندهم، وكان الصبيان يلعبون به، فكانت راحته ركود قلبه، واستقامة حاله في ذلك وخموله. (الإحياء: 4-306).

وقال الشيخ محمد الكردي:

"قال ذو النون المصري: التوكل ترك التدبير والانخلاع من الحول والقوة، وقال إبراهيم الخواص: لقيني الخضر عليه السلام فسألني الصعبة، فخشيت أن يفسد عليّ توكلي بسكوني إليه ففارقته"

تنوير القلوب 482 والرسالة القشيرية 77.

الرسالة القشيرية 44

وورد في الرسالة القشيرية (ص 391) في ترجمة إبراهيم بن أدهم: ورأى في البادية رجلاً علمه اسم الله الأعظم، فدعا به بعده فرأى الخضر عليه السلام، وقال: إنما علمك أخي داود اسم الله الأعظم. قال إبراهيم بن بشار: صحبت إبراهيم بن أدهم فقلت أخبرني عن بدء أمرك فذكر هذا.

وورد في الرسالة القشيرية في ترجمة بشر الحافي (صفحة: 404):

(وسمعت بلال الخواص يقول:

كنت في تيه بني إسرائيل فإذا رجل يمشيني، فتعجبت منه، ثم ألهمت أنه الخضر عليه السلام فقلت له: بحق الحق من أنت؟

فقال: أخوك الخضر. فقلت له:

أريد أن أسألك.

فقال: سل.

فقلت: ماذا تقول في الشافعي رحمه الله تعالى؟ فقال: هو من الأوتاد
(هم الذين يحفظ بهم الدين والشافعي رضي الله عنه منهم).

فقلت: ماذا تقول في أحمد بن حنبل رضي الله عنه؟

قال: رجل صديق (أي نظرا لما قاساه من الضرب والهوان عندما طلب
منه القول بخلق القرآن الكريم فأبى ولم ينطق بكلمة يتخلص بها مما هو
فيه).

قلت: فماذا تقول في بشر بن الحارث الحافي؟

فقال: لم يخلق مثله بعده.

فقلت: بأية وسيلة رأيته؟

فقال: ببرك لأمك).

وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب
العالمين.



مركز تحقيقات علوم إسلامي

الشيخ ولي الله الدهلوي

وعقيدة وحدة الوجود

يقول ولي الله الدهلوي:

والفناء إما شفاهي، وإما حجابي، أما الشفاهي فتصباغٌ بحقيقة الذات، لا تجلياته، اتصباغاً قوياً تاماً، ويختص برجل شديد، فصورة مزاجه لا تنقهر إلا بتكرار التجليات، قوي جذبه لا يغادر حالاً ولا شيئاً إلا غلبه وقهره، ولا يدعه حتى يبلغ الدرجة القصوى.

وذلك لأنه ربما لم يتحقق الفناء الشفاهي، وحينئذ تظهر النفس في صورة الربوبية، فيعسر زواله، ويعقب خلفه خزيّاً شديداً في الحياة الدنيا. - قوله: فصورة مزاجه، أي: فصورة مزاج الفناء...

- وقوله: فيعسر زواله، أي: يعسر زوال ظهور صورة الربوبية، فيبقى الولي يقول عن نفسه: أنا الحق....

- وقوله: ويعقب خلفه خزيّاً شديداً، نعظم ما هو هذا الخزي؟ إنه التكفير... والقتل.

ويقول: وأما الخاص، فكل فناء في حضرة الذات، كان مع الصورة المزاجية... وأصل مذهبهم أن يتجشموا عملاً نيرنجياً، وذلك العمل أن يتلطفوا من أنفسهم، فينقذ لهم سر عظيم الشأن، على درجاته.

قلول ما ينقذ استناد الأفعال إلى الله سبحانه، فهناك يتوكل على الله ولا يخاف إلا إياه، وهذا ظهر السر في الدرجة الأولى، وأما بطنها، فلن يرى الله سبحانه في عين كل فعل على أن الفعل من أستاره وتقيداته. ووجه أوليتها أن الأفعال على شرف العدم في نفس الأمر، وإنما الموطن العلمي من تمثلات هذا الموطن، وهذه هي (المحاضرة) عندهم.

وثانياً: ينقدح لهم استناد الصفات بأجمعها إليه، فيرى أن كل بصره فهو من بصره، وكل سمع فهو من سمعه، إلى غير ذلك؟ ولعلك حرور بالقتناص بطنها ووجه ثنويتها، فهذه هي المكشفة.

وثالثاً: ينقدح استناد الذوات، فيرى أن كل ذات فهو من ذاته، فإذا انتقل إلى بطنها، وهو أن الواجب جل مجده سنخ كل موجود، وأن كل موجود مفاض منه إفاضة مقدسة، ثم السير إلى الله، وهذه هي (المشاهدة)، ثم إن جذبت الله تعالى تجاذبه حيناً فحيناً حتى ترتفع الحجب والتقييدات ولا يبقى إلا نو الجلال والإكرام في وحدته وكبريائه، ويكون المدرك عين المدرك، فلا يعظم بالعظم الحضوري إلا الله سبحانه.

— مر هذا النص في معناه أكثر من مرة في الصفحات السابقة، ملخصه أن السالك في سيره إلى المعرفة، أي إلى معرفة وحدة الوجود، يمر في ثلاث مراحل:

أولاً: معرفة وحدة الأفعال، حيث يشاهد الواصل نوقاً واستشعاراً أن كل الحركات التي تجري في الكون هي حركات الواحد وأفعاله، وهذه هي المحاضرة.

ثانياً: معرفة وحدة الصفات حيث يشاهد الواصل أن الصفات جميعها التي يراها المحجوبون صفات لمخلوقات، مثل: سميع، بصير، طويل، عريض، أحمر، أخضر، شجاع، جبان.. هي صفات للواجب جل مجده (حسب تعبير الدهلوي) تظهر في تعيناته التي يظنها المحجوبون غيره، وهذه هي المكشفة.

ثالثاً: وحدة الذات، أو وحدة الوجود، وهذه هي المشاهدة، وفي واقع الأمر إن الأصل هو وحدة الوجود، وما وحدة الأفعال ووحدة الصفات إلا نتائج لها.

ويجب أن نعرف أن هذا الترتيب قد يحصل لواصل وقد لا يحصل، وهو تابع، إلى حد ما، لتوجيهات الشيخ وإيحاءاته.

ويقول ولي الله الدهلوي أيضاً:

ولا يهولنك صدور الكائنات الدنسية من سنخ القدوسية على سبيل
الظهور والتمثل، فإنه لكل متدنس قدوسية هي أقرب من حبك وريده، وهو
أبعد منها بما هو هو كبعد المشرقين.

- هذه المقولة هي مثل مقولة ابن سبعين: واتحد فيه النجو مع الورد.
ومثل مقولة الشستري: وفي الخنزير مع القروء. ومقولة ابن عجيبة:
متلازمان في المقام متضادان في الأحكام.

ومثل قول قائلهم: وما الكلب والخنزير إلا إلهنا. وغيرها من الأقوال
العمالة التي مرت والتي ستمر.
ويقول أيضاً مقرأً:

قال الشيخ صدر الدين القنوي:

الحق سبحانه من حيث وحدة وجوده، لم يصدر عنه إلا الواحد،
لاستحالة إظهار الواحد وإيجاده - من حيث كونه واحداً - غير الواحد،
وذلك الواحد عندنا هو الوجود العلم المفاض على أعيان المكونات ما وجد
منها وما لم يوجد مما سبق العلم بوجوده، وهذا الوجود مشترك بين القلم
الأعلى الذي هو أول موجود، المسمى بالعقل الأول أيضاً، وبين سائر
الموجودات، ليس كما يذكره أهل النظر من الفلاسفة، فإنه ليس ثمة عند
المحققين إلا الحق، والعالم ليس بشيء زائد على معلومه الله تعالى أولاً،
المتصفة بالوجود ثانياً.

الملحوظات:

نلاحظ في هذا النص ما يلي:

1- وضوح عقيدة وحدة الوجود.

2- إيمان قطبين كبيرين بها: القنوي صاحب النص، والدهلوي الذي
أورده مقرأً بما فيه.

3- العقيدة الإسماعيلية التي هي أصلاً من اليونانيات: الصدور والفيض والعقل الأول...

4- محاولتهم التوفيق بين الإسلام واليونانيات عندما جعلوا العقل الأول (وهو من اليونانيات) هو القلم الوارد في الحديث الشريف.

5- يخالفون أصحاب اليونانيات (أهل النظر من الفلاسفة) الذين يقولون: إن العقل الأول انفصل عن الحق سبحانه وصار كائنه غيره رغم أنه صدر عنه بالفيض، بينما يقرر المحققون (أي: الصوفية) أنه ليس ثمة إلا الحق، حيث لا وصل ولا فصل ولا غيره. وتلطم: القلم الأعلى الذي هو أول موجود، المسمى بالعقل الأول، هو محمد صلى الله عليه وسلم عندهم. ويقول الدهلوي أيضاً مقررًا:

قال مولانا عبد الرحمن الجامي:

- بعدما فضل القول في تسوية كون الوجود العلم المنبسط على هياكل الموجودات عين الواجب جك مجده بهذه الألفاظ:- الصوفيون القائلون بوحدة الوجود، لما ظهر عندهم أن حقيقة الواجب هو الوجود المطلق، لم يحتاجوا إلى إقامة الدليل على توحيده ونفي الشريك عنه (أي: الشريك في الوجود)، فبأنه لا يمكن أن يتوهم فيه اثنيانية وتعدد من غير أن يُعتبر فيه تعين وتقييد.

- في هذا النص يظهر إيمان الجامي والدهلوي بوحدة الوجود، وكلاهما من الأقطاب.

(الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ) للمؤلف: (محمود عبد الرؤوف القاسم).

عبد الله بن أبي بكر العيدروس

في المناطق الجنوبية من أرض اليمن انتشرت الطرق الصوفية بكثرة، ومن أبرزها الطريقة العيدروسية، وفي هذا المقال البسيط نستعرض أبرز رجال هذه الطريقة بل مؤسسها وما يقوله في كتبه في عقيدة الوجود الكفري، حتى يعرف القارئ الكريم حقيقة هذه الطريقة.

قال عبد الله بن أبي بكر العيدروس:

فمن فني عن أفعال نفسه فهو باقٍ بأفعال الله، ومن فني عن صفاته فهو باقٍ بصفات الله تعالى، ومن فني عن ذاته فهو باقٍ بذات الله تعالى، كما قال بعضهم:

وقوم تاهوا في أرض بقفر وقوم تاهوا في ميدان حبه
فأفنوا ثم أفنوا ثم أفنوا وأبقوا بالبقاء بقرب ربه

فالأول كما قلنا: فناء صفاته لبقاء صفات الحق، ثم فناؤه عن صفات الحق بشهود الحق، ثم فناؤه عن شهود فناؤه باستهلاكه في وجود الحق، وهو فناء الذات في الذات، وهذه حقيقة (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ). الأنعام: الآية 2 وقال: فصل في حقيقة عالم التوحيد المبني على التجريد بعد أداء حق التجريد:

وهو أن يفردك الحق بفردانيته، عند استيلاء سلطان الذكر، حتى تخرج من قشور الحروف والصوت، فتفني بسطوة بقية وجودك الذاكِر، وبقية سلطنة إثباته، فتثبت المذكور عن الذكر بدوام الذكر على مقتضى قوله: (فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ) البقرة: 152، فيصير حينئذ الذاكِر مذكوراً والمذكور ذاكراً، ويستبدل الأين بالعين، والمباينة بالمعانية، والآنية بالوحدانية، وفني عن نفسه وعن غيره بالكلية في عين جمع الجمعية، فشاهد الذات الحقيقة

الصمدية المنزهة عن الجسمية الكثيفة واللطيفة وتوابعها ولوازمها بالكلية، ولا يرى إلا الواحد الحق أولاً وآخرأ وظاهراً وباطناً، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) الشورى: 11 هذا توحيد خواص الخواص.

فالجذبة تبعده عن ألقيته وتقربه لهويته، إلى أن تورث الجذبة المشاهدة، فالمشاهدة أحضرته معه وغيبته عنه، إلى أن ظهر بالعيان، فالعيان يسحقه والعين تمحقه، ثم يحققه الحق ويذهب باطله، فيكشف بأنوار غيب الغيب، فيطلع أسرار الملك والملكوت، ويتيه في تيه العظמות والجبروت، حتى تتجلى له شمس الربوبية عن سماء العبودية، فأشرق أرض البشرية بنور ربها، ويرقى في المقام إلى تلاكؤ نور الألوهية المستفاد من الله تعالى: (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) النور: 35، ثم نفحة الألفاف الربوبية، وانفتح في عين الشمس باب الهوية، وانفخ في المنفخ، ثم لا تسأل:

مركز تحقيقات كميتر علوم اسلامی

قد كان ما كان مما لا أفوه به

فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

فاستضاءت الأفلاك الجسدانية بضوء الشريعة، وظهرت المشكاة النفسانية بلوامع الطريقة، وتنسورت الزجاجية للقلبية بأنوار حقيقة الروحانية، وأشرق الصباح الروحية بنار نور الألوهية، وبدت شجرة الوحدانية، ونودي موسى السر:

(أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ) القصص: 30،

فاتمحت الجهات، وتلاشت الصور، وانطمس الأبعاد، واتعدمت الأجزاء، وسطعت عزة الوحدانية بتجلي نور الصمدانية الربانية، فتكدك جبل الإنسية الروحانية صعباً، فاحترقت الغيرية بنار الغيرة، وارتفعت

الشركة وبقيت الوحدة، متعزلاً برداء الكبرياء والعزة، متزراً بإزار العلاء
والعظمة، وحده لا شريك له،

(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) القصص: 88،
هذا أوان (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى) الأنفال: 17،

وهذا وقت (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى) النجم: 3 وهو سر {كنت له سمعاً
وبصراً ولساناً، فبي يسمع وببي يبصر وببي ينطق}، ولعري إن هذا
الحل من كوشف بأسرار {كنت كنزاً مخفياً} فلما كشف الغطاء، وذهب
الجفاء، ودام اللقاء فـ (مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى) النجم: 11، وللقلب ما
زوى، فرعى في رياض المعرفة... إذ تجافى عن المحاط المطلق المحاط به
غيب الغيب المحيط المطلق، فتحقق له:

(أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ) فصلت: 54.

أبان الحق ليس به خفاء وباح السر وانكشف الغطاء
فنفسي زائل والروح نادت فلم يبق التكبر و الصفاء
بقاء الحق أفناتا فأفنى بقاء فنائنا، ذاك البقاء
تجلت سطوة الجبروت حتى فنيانا ثم إذ فني الفناء

هذا مقام المعرفة بمشاهدة الحقيقة...

(الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ) للمؤلف: (محمود عبد الرؤوف

القاسم).

عمر بن الفارض

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

(ابن الفارض، ناظم التائية في السلوك على طريقة المتصوفة المنسوبين إلى الاتحاد، هو أبو حفص عمر بن أبي الحسن علي بن المرشد بن علي الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة، تكلم فيه غير واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها وقد ذكره شيخنا أبو عبد الله الذهبي في ميزاته وحط عليه).

(البداية والنهاية: 13-143).

وقال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان:

(ولد في ذي القعدة سنة (576 هـ) بالقاهرة، ومات سنة (632 هـ) قال المنذري: سمعت منه من شعره، وقال في التكملة: كان قد جمع في شعره بين الحوالة والحلاوة، قال الذهبي: إلا أنه شابه بالاتحاد في الذ عبارة وأرق استعارة كفالودج مسموم ثم أنشد من التائية التي سماها نظم السلوك أبياتاً منها:

لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلت
كلنا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة
ومنها:

وها أنا أبدي في اتحادي مبدئي

وأنتهي لنتهائي في موضع رفعتي

وفي موقفي لا بل إلي توجهي

ولكن صلاتي لي ومني كعبتي

ومنها:

ولا تك ممن طيشته دروسه

بحيث استقلت عقله واستفزت

فثم وراء العقل علم يدق عن

مدارك غايات العقول السليمة

تلقيته عني ومني أخذته

ونفسي كانت من خطني محبتي

ومنها:

وما عقد الزنار حكماً سوى يدي

وان حل بالإقرار فهي أحلت

وإن خيراً للأحجار في الله عاكف

فلا بعد بالإنكار بالعصبية

وإن عبد النار المجوس وما انطفت

فما قصدوا غيري لأتوار عزتي

قلت ومن هذه القصيدة:

وجذ في فنون الاتحاد ولا تحد

إلى فنة في غرة العمر أصبت

ومنها:

إلي رسولا كنت مني مرسلأ

وذاتي أماني إن علي استقلت

قال الذهبي:

(فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الاتحاد الذي لا حيلة في وجوده فما في العالم زندقة ولا ضلال، اللهم ألهمنا التقوى وأعزنا من الهوى فما أئمة الدين ألا تغضبون لله فلا حول ولا قوة إلا بالله).

(سير أعلام النبلاء: 22-368).

قال الحافظ ابن حجر في لسان الميزان:

(سألت شيخنا الإمام سراج الدين البلقيني عن ابن عربي، فبادر الجواب: بأنه كافر. فسألته عن ابن الفارض فقال: لا أحب أن أتكلم فيه. قلت: فما الفرق بينهما والموضع واحد؟ وأنشدته من الثائية فقطع علي بعد إنشاء عدة أبيات بقوله:

هذا كفر هذا كفر).

ورأيت في كتاب التوحيد للشيخ عبد القادر القوصي قال:

حكى لي الشيخ عبد العزيز بن عبد الغني المنوفي قال:

كنت به جامع مصر وابن الفارض في الجامع وعليه حلقة، فقام شاب من عنده وجاء إلى عندي وقال جرى لي مع هذا الشيخ حكاية عجيبة، يعني بن الفارض، قال دفع إلي دراهم وقال اشتر لنا بها شيئاً للأكل فاشتريت ومشينا إلى الساحل فنزلنا في مركب حتى طلع البهيسا فطرق باباً فنزل شخص فقال: بسم الله، وطلع الشيخ فطلعت معه وإذا بنسوة بأيديهن الدفوف والشيلبات وهم يغنون له، فرقص الشيخ إلى أن انتهى وفرغ، ونزلنا وسافرنا حتى جئنا إلى مصر، فبقي في نفسي فلما كان في هذه الساعة جاءه الشخص الذي فتح له الباب فقال له: يا سيدي فلاحه ماتت، وذكر واحدة من أولئك الجواري، فقال: اطلبوا الدلال وقال: اشتر لي جارية تغني بدلها، ثم أمسك أنفي فقال: لا تنكر على الفقراء).

(لسان الميزان: 4-364).

وقال أبو حيان الأندلسي صاحب التفسير، في تفسير سورة المائدة عند قوله تعالى:

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} المائدة 72 (صلحة: 14-143):

(ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من أقر بالإسلام ظاهراً، وانتمى إلى الصوفية حلول الله في الصور الجميلة، وذهب من ذهب من ملاحظتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة كالحلاج، والشاذلي، وابن أبي عمير، وابن عربي المقيم بدمشق، وابن الفارض، وأتباع هؤلاء كلهم سبعين).

وقال الشيخ محمد بن علي النقاش في وحدة الوجود:

(وهو مذهب الملحدين كلهم عربي وابن سبعين وابن الفارض)).

(تنبيه الغبي: 147).

بعض العلماء الذين كفروا ابن الفارض:

فقد رمى ابن الفارض بالزندقة - بشهادة الكتب الموثوق بها - نحو من أربعين عالماً، هم دعائم الدين من عصره إلى عصرنا وهم:

1. سلطان العلماء عز الدين ابن عبد السلام الشافعي.
2. والحافظ الفقيه الأصولي تقي الدين ابن الصلاح الشافعي.
3. والإمام الفقيه المحدث الصوفي قطب الدين القسطلاني الشافعي.
4. والإمام نجم الدين أحمد بن حمدان الحنبلي، وقد شرح التلوية وبين عواره فيها بيتاً بيتاً.
5. وأبو علي عمر بن خليل السكوتي المالكي.
6. والشيخ جمال الدين بن الحاجب المالكي.
7. وقاضي نقضات تقي الدين ابن دقيق العيد الشافعي.
8. وقاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن ابن بنت الأثر الشافعي.
9. وقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة الشافعي.
10. والشرف عيسى الزواوي المالكي.

11. والسعد الحارثي الحنبلي.
12. والإمام أبو حيان الشافعي.
13. وأبو أمانة ابن النقاش الشافعي.
14. والحافظ شمس الدين الموصلي الشافعي.
15. وشيخ الإسلام تقي الدين السبكي الشافعي.
16. وشيخ الفقهاء الزين الكتاني الشافعي.
17. والشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي.
18. الكمال جعفر الألفوي الشافعي.
19. والبرهان إبراهيم السفاقسي المالكي.
20. والشهاب أحمد بن أبي حجلة الحنفي.
21. والحافظ شمس الدين الذهبي الشافعي.
22. والحافظ عماد الدين ابن كثير الشافعي.
23. والعلامة شمس الدين محمد العيزري الشافعي.
24. وشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقيني الشافعي.
25. وعلامة زمته علاء الدين محمد البخاري الحنفي.
26. وقاضي القضاة ولي الدين العراقي.
27. وقاضي القضاة حافظ عصره شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني الشافعي.
28. وقاضي القضاة بدر الدين محمود العيني الحنفي.
29. وقاضي القضاة شمس الدين البساطي المالكي.
30. وعلامة اليمن بدر الدين حسين بن الأهدل الشريف المنذري الشافعي. كما شهد بهذا النقل عنهم نحو من عشرين كتاباً من مصنفاتهم ومصنفات غيرهم من العلماء، وهي شرح التائية لابن حمدان، وديباجة ديوان ابن الفارض، ولحن العوام لابن خليل، وتفسير أبي حيان البحر والنهر، والفرقان لابن تيمية، وقصيدة السفاقسي التي يقول فيها:

وكالمشتري القونوي ابن فارض

فلا يرد الله ثراهم ولا أسقى

(والقونوي الذي ذكره صدر الدين صاحب ابن عربي)، وكتاب ابن أبي حجلة، والميزان ولسانه لابن حجر، والتاريخ لابن كثير بخطه، وناصرحة الموحدين للعلاء البخاري، والفتاوى المكية للعراقي، وتاريخ العيني، وشرح التائية للبساطي، وكشف الغطاء لابن الأهدل. فهذه ستة عشرة كتاباً شهدت بكفره من بضع وعشرين عالماً هم أعيان كل عصر.

وممن كفره من شيوخ المذاهب هم:

- 31 . قاضي القضاة سعد الدين الديري الحنفي.
 - 32 . وقاضي القضاة محقق زمانه شمس الدين القاياتي.
 - 33 . ونادرة وقته عز الدين بن عبد السلام القدسي الشافعي.
 - 34 . والعلامة علاء الدين القلقشندي الشافعي .
 - 35 . والشيخ يحيى العجيسي المالكي.
 - 36 . والعلامة شمس الدين البلاطيسي الشافعي شيخ الشاميين في وقته.
 - 37 . وشيخ الإسلام عبد الأول السمرقندي الحنفي.
 - 38 . والعلامة كمال الدين ابن إمام الكاملية الشافعي.
 - 39 . والعلامة شهاب الدين ابن قر الشافعي.
 - 40 . والعلامة أبو القاسم النويري المالكي.
- فهؤلاء أعيان العلماء في عصر ابن الفارض وفي كل عصر شهدوا عليه بالكفر والزندقة.

وقال إبراهيم بن الأشعث:

ما رأيت أحداً كان الله في صدره أعظم من الفضيل، كان إذا ذكر الله أو ذكر عنده أو سمع القرآن ظهر به من الخوف والحزن وفاضت عيناه وبكى حتى يرحمه من يحضره، وكان دائم الحزن، شديد الفكرة، ما رأيت رجلاً يريد الله بعلمه وعمله وأخذه وعظائمه ومنعه وبذله وبغضه وحبه وخصاله كلها غيره، كنا إذا خرجنا معه في جنازة لا يزال يعظ ويذكر ويبكي كأنه مودع أصحابه ذاهب إلى الآخرة، حتى يبلغ المقابر فيجلس مكاته بسين الموتى من الحزن والبكاء حتى يقوم وكأنه رجع من الآخرة يخبر عنها.

وعنه قال: كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا وبخشية الله علما وبالاغترار جهلاً. وعنه قال: خصلتان تقسيان القلب كثرة الكلام وكثرة الأكل.

وعنه قال: كيف ترى حال من الغرماء تنوبه وضعف علمه وفنى عمره ولم يتزود لمعاده.

وعنه قال: يا مسكين أنت مسيء وترى أنك محسن وأنت جاهل وترى أنك عالم وتبخل وترى أنك كريم وأحمق وترى أنك عاقل أجلك قصير. قال الذهبي:

إي والله صدق وأنت السهو وترى أنك مظلوم وأكل للحرام وترى أنك متورع وفاسق وتعتقد أنك عدل وطلب العلم للدنيا وترى أنك تطلبه لله.

وكان يعيش من صلة ابن المبارك ونحوه من أهل الخير، ويمتنع من جوائز الملوك.

قال بعضهم: كنا جلوسا عند الفضيل بن عياض فقلنا له كم سنك؟ فقال: بلغت الثمانين أو جزتها.

(سير أعلام النبلاء: 8-421).

الفضيل بن عياض

هو الفضيل بن عياض ابن مسعود بن بشر الإمام القدوة الثبت أبو علي التميمي اليربوعي الخراساني، المجاور بحرم الله، ولد بسمرقند، وارتحل في طلب العلم، فكتب بالكوفة عن كبار أهل العلم فيها. وقد كان الفضيل بن عياض شاطراً يقطع الطريق. وكان سبب توبته أنه عشق جارية فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تالياً يتلو:

{ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله}. الحديد 16

فلما سمعها قال: بلى يا رب قد آن، فرجع فأواه الليل إلى خربة فلذا فيها سائلة فقال بعضهم: نرحل وقال بعضهم: حتى نصبح فإن فضيلاً على الطريق يقطع علينا.

قال: ففكرت رجاء أنا أسعى بالليل في المعاصي وقوم من المسلمين ها هنا يخافوني وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام. وقال ابن المبارك:

رأيت أعبد الناس عبد العزيز بن أبي رواد وأورع الناس الفضيل بن عياض. وأعلم الناس سفيان الثوري وأفقه الناس أبا حنيفة ما رأيت في الفقه مثله.

وقال ابن المبارك:

ما بقي على ظهر الأرض عندي أفضل من الفضيل بن عياض.

وقال إبراهيم بن شماس:

رأيت أفقه الناس وأورع الناس وأحفظ الناس وكيعاً والفضيل وابن المبارك.

الشيخ يوسف الاقميني

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى:

(كان يعرف بالأقميني لأنه كان يسكن قمين حمام نور الدين الشهيد، وكان يلبس ثياباً طوالاً تحف على الأرض، ويبول في ثيابه، ورأسه مكشوفة، ويزعمون أن له أحوالاً وكشوفاً كثيرة، وكان كثير من العوام وغيرهم يعتقدون صلاحه وولايته، ونك لأنهم لا يعلمون شرائط الولاية ولا الصلاح، ولا يعلمون أن الكشوف قد تصدر من البر والفاجر والمؤمن والكافر، كالرهبان وغيرهم، وكالدجال وابن صياد وغيرهم، فإن الجن تسترق السمع وتلقيه على أذن الإنسي.

ولما مات هذا الرجل دفن بترية بسفح قلسيون، وهي مشهورة به، شرقي الرواحية، وهي مزخرفة قد اعتنى بها بعض العوام ممن كان يعتقدونه فزخرفها، وعمل على قبره حجارة منقوشة بالكتابة، وهذا كله من البدع، وكانت وفاته في سادس شعبان من هذه السنة: (657هـ)

وكان الشيخ إبراهيم بن سعيد جيعانة، لا يتجاسر، فيما يزعم، أن يدخل البلد والقميني حي فيوم مات الاقميني دخلها، وكانت العوام معه، فدخلوا دمشق وهم يصيحون ويصرخون:

أذن لنا في دخول البلد، وهم أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم. فقيل لجيعانة:

ما منعك من دخولها قبل اليوم؟ فقال:

كنت كلما جئت إلى باب من أبواب البلد أجد هذا السبع رابضاً فيه فلا أستطيع الدخول. وقد كان سكن الشاغور وهذا كذب واحتيال ومكر وشعبذة.

(البداية والنهاية: 13-217).

محمد بن عبد الرحيم الباجرُبقيّ

قال الإمام الذهبي:

(الباجرُ بَقِيّ، الشيخ الضّالّ الزنديق محمد بن المفتي الكبير جمال الدين عبد الرحيم بن عمر الباجرُ بَقِيّ الجزري الشافعي. تحول جمال الدين بعد الثمّتين بولديه محمد وأحمد المدرس إلى دمشق، فسمعوا من ابن البخاري، وجلس للإفادة والإفتاء، ودرّس، ومات وقد شاخ بعد السبعمئة؛ فتمشّخ محمد وحصل له حال وكشف ما؟ وانقطع، فصحبه جماعة من الرذالة، وهون لهم أمر الشرائع، وأراهم بسوارق شيطانية، وكان له قوة تأثير، فذّصده أناس فضلاء للسلوك، قرأوا منه بلابا منافية للشرع، فشهدوا عليه بما يبيح الدّم، منهم شيخنا الإمام مجد الدين التّونسي، وخطيب الزنجلية، ومحي الدين ابن القادعي، والشيخ أبو بكر بن شرف.

وجنّ أبو بكر هذا أياماً، ثم عقل، وحكي عنه التهاون بالصلوات، وذكر نبينا باسمه من غير تعظيم ولا صلاة عليه، حتى يقول السامع: ومن محمد هذا؟ فحكم القاضي جمال الدين الزواوي بإرافة دمه، بشهادة عدد، اعتمد منهم على ستة، فاختلفى، ثم سحب إلى العراق، وسعى أخوه فجأة تجاه بيبرس من العلاني إلى القاضي الحنبلي، فشهد نحو عشرين بأن الستة بينهم وبين الشيخ عداوة، فعصم الحنبلي دمه، فغضب المالكي، وجدد الحكم بقتله، وبعد مدة جاء من المشرق فنزل بالقلبون متخفياً إلى أن مات في ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبعمئة، وله ستون سنة، وكان أصحابه يقصدون قبره يوم الجمعة و يتركون صلاة الجمعة.

قال البرزالي:

وفي ذي القعدة سنة تسع وسبعمائة حكم القاضي المالكي بقتل ابن الباجربقي وإن تاب، وكان شهد عليه بأمر لا تصدر من مسلم، من الاستخفاف بالدين، والكلام في الله وفي رسله، ونحو ذلك.

حدثني قاضي القضاة أبو الحسن السبكي أنه اجتمع بمصر بابن الباجربقي، فذكر أنه قال له محي الدين ابن عربي أنه غضبان على أصحابه، قال: فأنكرت هذا وقلت: لعل هذا في النوم، فما أعجبه هذا مني.

وحدثني فقيه أن ابن الباجربقي قال: إن الرسل طوكت على الأمم الطرق إلى الله، وداروا بهم. يشير إلى أن الفرائض والعبادات حجاب عن الله.

قلت: هذه الطائفة الخبيثة يخبئون في الأتجاس لو أظهروا زندقتهم لقتلوا)).

(سير أعلام النبلاء: 17 - 476). دار الفكر



مركز تحقيقات تكملة علوم اسلامی

أحمد البدوي

يقول الشيخ سعد صادق محمد في كتابه " صراع بين الحق والباطل " صفحة: (26) وما بعدها، تحت عنوان:

(ولي ضال عن سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم):

يقول الشيخ الصاوي في حاشيته على الخريدة البهية — وهي من كتب العقائد المشهورة التي تدرس في المعاهد الدينية — قال في ترجمة أحمد البدوي وهو يتكلم عن "التصوف والأقطاب الأربعة" قال المناوي:

أصله من بني بري قبيلة من عربان الشام، وعرف بالبدوي للزومه اللثام ولم يتزوج، واشتهر بالعطاب لكثرة عطبه لمن يؤذيه.

وسبب لبسه هذا اللثام خوفه على مريديه أن يرو وجهه لأن من يرى وجهه يخر صعباً في الحال، ولا ضرورة أن تربط بين قصة موسى عليه السلام وطلبه رؤية الله وخروره صعباً وصعباً من أراد أن يرى البدوي.

ثم لزم الصمت فكان لا يتكلم إلا بالإشارة. وكان يمكث أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب ولا ينام.

وأكثر أوقاته شاخصاً بصره نحو السماء، وعيناه كالجمرتين.

أين هذا من قول النبي صلى الله عليه وسلم إن لبدنك عليك حقاً؟

ومن قال إن شخوص البصر نحو السماء عبادة..؟

هل فعلها النبي صلى الله عليه وسلم.. هل فعلها صحابته رضوان الله عليهم..؟

إلى أن يقول:

" وكان رضي الله عنه إذا لبس ثوباً أو عمامة لا يخلعها لا لغسل ولا لغيره حتى تبلى ".

أين هذا من الإسلام الذي أمر بالطهارة والتطهر ولكن حتى تنزل الشياطين على أمثله لاهد من المكوث على هذه النجاسة أطول فترة ممكنة.

ويمضي الشيخ الصاوي في ترجمته عن البدوي فيقول:
" واجتمع به ابن دقيق العيد فقال له: إنك لا تصلي .. ما هذا سنن الصالحين ؟؟

فقال له: أسكت وإلا طيرت دقيقك !! و دفعه فإذا هو بجزيرة متسعة جداً، فضاق ذرعاً حتى كاد أن يهلك، فرأى الخضر فقال له: لا بأس عليك، إن مثل البدوي لا يعترض عليه.

لذهب إلى هذه القبة وقف ببابها فإته سيأتك العصر ليصلي بالناس. فتعلق بأذنيه لعله أن يعفو عنك ففعل فإذا هو ببابه. مات سنة 655 هـ — رضي الله عنه وعنا به .

ويعلق الشيخ سعد صادق على قصته مع ابن دقيق العيد بأنه لو كان لها أساس من الصحة لذكرها الشيخ ابن دقيق العيد في أحد مؤلفاته الكثيرة .. بل هنالك من القصة ما هو صحيح فقد وردت كثير من الأشعار التي يتغنى بها أصحاب الطريقة الأحمدية تثبت أنه كان لا يصلي في طنطا ويدعي أنه يصلي في مكة.

ويكمل الشيخ سعد صادق في كتابه صراع بين الحق والباطل فيقول:
تقول كتب التاريخ:

أن الفاطميين عندما أرادوا أن ينتزعوا الحكم ليعيدوا مجدهم المذهب، اعتمدوا على دعوة التصوف ليصلوا لهدفهم المنشود، إذ كان الفاطميون قد حكموا البلاد وبفعلهم وضع نفوذ التصوف في ذلك الوقت، وفي المجتمع الإسلامي كظاهرة اجتماعية. وأصبح لشيوخ الصوفية قوة في الهيمنة على النفوس والتأثير فيها لتسير في اتجاهاتها.

استغل الفاطميون دعوة التصوف فكونوا العصبية من الدراويش والمجانيب ، وخرج هؤلاء وأولئك يجوبون الأقطار العربية رسلاً للفاطمين.

وممن اعتمد عليهم الفاطميون في دعوتهم:

أبو الفتوح الواسطي الذي كان من تلاميذ أحمد الرفاعي صاحب الطريقة الرفاعية في العراق، فتوسم فيه الفاطميون نكاء وخبرة لحمل راية الطريق، فندبوه للسفر إلى مصر لينهض بأعباء تلك الدعوة تحت ستار التصوف والدروشة. فنزح الواسطي من واسط عام 620 هـ إلى مصر، لكنه أثر البقاء بالإسكندرية ليكون بعيداً عن عيون الحكام.

ثم توفي وفجع الفاطميون بخادمهم الأمين، ومن ثم كان عليهم أن يبحثوا عن داعية آخر غير الواسطي ليتسلم راية الطريق، فكلفوا أحمد البدوي للسفر إلى مصر، إذ توسموا فيه البراعة والقدرة كسابقه الواسطي وخاصة أن له خبرة سابقة في مصر.

كان أحمد البدوي ذكياً لماحا، فبعد أن هاجر إلى مصر، عرف أن الأيوبيين الذين يحكمون البلاد يترصدون لكل حركة مضادة لهم، كما أن الإسكندرية - كغيرها من الثغور - كانت موضع مراقبتهم الشديدة احتياطاً لما قد يقع من الصليبيين عليها من غارات.

لهذا كله كان البدوي حذراً بعيد النظر، فأثر أن يتخذ طنطا داراً لمقامه الدائم بعيداً عن عيون السلطان وليكون في مكان وسط البلاد (ويقال أن طنطا قد عينت له من قبل الفاطميين ليتخذها مقراً لنشر دعوته).

(راجع كتاب السيد البدوي أو دولة الدراويش في مصر للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف).

وفي طنطا أقام البدوي في سطح ما يسمى بأبي شحيط، وفي هذه الدار كان البدوي يمارس أعمال التصوف من قراءة أوراد ورياضيات وشطحات،

ويجتمع بمريديه وأتباعه ويزودهم بتعاليمه ودعوته، ثم يتفرقون في أنحاء البلاد، يحدثون الناس بمناقب السيد وينشرون تعاليمه ويرددون كراماته.. وعلى مر الأيام صار البدوي ملء السمع والأفواه، وبهذا تمكن البدوي من أن يصرف أنظار الحاكم عن مركزه كداعية للفاطميين. لأنه في الحقيقة لم يكن دجالاً ولا مشعوذاً ولم يكن شخصية خرافية أسطورية كما صورته أتباعه الدراويش من أنه كان يشرب ماء البحر كله، ويمد يده فيأتي بالأسرى من وراء البحر. وغير ذلك من الخرافات والأساطير التي هوى بها الدراويش للتضليل والتمويه..

ولم يكن البدوي كذلك ملازماً للخلوة بالسطح للاستغراق في الوجد والوجود والحياة والزهد والتعبد والمكاشفة - كما تحكى عن ذلك كتب المناقب - لم يكن البدوي حقيقة كذلك.

بل كان رجلاً حليفاً ماهراً لاعباً لأنوار سياسية كبيرة.

لهذا كان مكلفاً بوضع نظم دقيق محكم تتمثل في التصوف ليخلف بها نطاق دعوته في كل أنحاء البلاد والأقطار العربية لصالح الفاطميين.

لكن البدوي وافته منيته قبل أن يستكمل دوره السياسي في عودة الفاطميين إلى الحكم.

الحسن البصري

علم من أعلام الصالحين وإمام من أئمتهم ورجل من رجالتهم، ما إن يذكر اسمه إلا ويذكر الزهد، وما إن يذكر الزهد إلا ويذكر اسمه، غير أنه لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم، كان على درجة من الفطنة والذكاء، والخشية والإنابة والعقل والورع، والزهد والتقوى ما جعله يشبه الصحابة الكرام، بل قال عنه علي بن زيد لو أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله مثل أسنقهم ما تقدموه.

قال عنه أحد العلماء: كان جالعا عالما عاليا رفيعا فقيها ثقة مأمونا عبدا ناسكا كبير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً.

وقال عنه أحد الصحابة:

لو أنه أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحتاجوا إلى رأيه.

إنه الحسن بن أبي الحسن يسار، الإمام شيخ الإسلام أبو سعيد البصري المشهور بالحسن البصري، يقال: مولى زيد بن ثابت، ويقال: مولى جميل بن قطبة. وأمه خيرة مولاة أم سلمة، نشأ في المدينة النبوية وحفظ القرآن في خلافة عثمان. وكانت أمه وهو صغير تخرجه إلى الصحابة فيدعون له، وكان في جملة من دعا له عمر بن الخطاب. قال: اللهم فقهه في الدين، وحببه إلى الناس. فكان الحسن بعدها فقيهاً، وأعطاه الله فهماً ثابتاً لكتابيه وجعله محبوباً إلى الناس.

لآرم أبا هريرة وأنس بن مالك وحفظ عنهم أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، فكان كلما سمع حديثاً عن المصطفى ازداد إيماناً وخوفاً من الله. إلى أن أصبح من نساك التابعين ومن أئمتهم ومن وعاظهم ودعاتهم، وصار يرجع إليه في مشكلات المسائل وفيما اختلف فيه العلماء، فهذا أنس

بن مالك، سئل عن مسألة فقال: سلوا مولانا الحسن، قالوا: يا أبا حمزة نسألك، تقول: سلوا الحسن؟ قال: سلوا مولانا الحسن. فإنه سمع وسمعنا فحفظ ونسينا.

وقال أنس بن مالك أيضاً: إني لأعجب أهل البصرة بهذين الشيخين الحسن البصري ومحمد بن سيرين.

وقال قتادة: وما جالست رجلاً فقيهاً إلا رأيت فضل الحسن عليه. وكان الحسن مهيباً يهابه العلماء قبل العامة، قال أيوب السخيتي: كلن الرجل يجالس الحسن ثلاث حجج (سنين) ما يسأله عن مسألة هيبة. وكان الحسن البصري إلى الطول أقرب، قوي الجسم، حسن المنظر، جميل الطلعة مهيباً.

قال عاصم الأحول: قلت للشعبي: لك حاجة؟ قال: نعم، إذا أتيت البصرة فأقرئ الحسن مني السلام، قلت: ما أعرفه، قال: إذا دخلت البصرة فانتظر إلى أجمل رجل تراه في عينيك وأهيبه في صدرك فلقنه مني السلام، قال: فما عدا أن تدخل المسجد فرأى الحسن والناس حوله جلوس فقنصاه ومسكاه عليه.

وكان الحسن صاحب خشوع وإخبات ووجل من الله، قال إبراهيم الشكري: ما رأيت أحداً أطول حزناً من الحسن، وما رأيت قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة.

وقال علقمة بن مرثد: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، فلما الحسن بن أبي الحسن البصري، فما رأينا أحداً من الناس كان أطول حزناً منه، وكان يقول أي الحسن: نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا. فقال: لا أقبل منكم شيئاً، ويحك يا ابن آدم، هل لك بمحاربة الله طاقة؟ إن من عصى الله فقد حاربه.

وقال مطر الوراق: الحسن كأنه رجل كان في الآخرة ثم جاء يتكلم عنها، وعن أهوالها. فهو يخبر عما رأى وعالين.

وقال حمزة الأعمى: كنت أدخل على الحسن منزله وهو يبكي، وربما جئت إليه وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه فقلت له يوماً: إنك تكثر البكاء، فقال: يا بني، ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبكي؟ يا بني إن البكاء داع إلى الرحمة. فإن استطعت أن تكون عمرك باكياً فافعل، لعله تعالى أن يرحمك.

وقال حكيم بن جعفر قال لي من رأى الحسن: لو رأيت الحسن لقلت: قد بث عليه حزن الخلاق، من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك النشيج.

وقال يزيد بن حوشب: ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز، كأن النار لم تخلق إلا لهما.

وقال حفص بن عمر: بكى الحسن فقليل له: ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يبالي.

ومن كلامه رحمه الله: إن قوماً ألتهتهم أمتي المغفرة، رجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة.

يقول أحدهم: إني لحسن الظن بالله وأرجو رحمة الله، وكذب، ولو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة، يوشك من دخل المفازة (الصحراء) من غير زاد ولا ماء أن يهلك.

عن حميد قال: بينما الحسن في المسجد تنفس تنفساً شديداً ثم بكى حتى أرعدت منكباً ثم قال: لو أن بالقلوب حياة، لو أن بالقلوب صلاحاً لأبكتكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة. إن ليلة تمخض عن صبيحة يوم القيامة ما سمع الخلاق بيوم قط أكثر من عورة بلدية ولا عين باكبة من يوم القيامة.

وجاء شاب إلى الحسن فقال: أعياني قيام الليل (أي حاولت قيام الليل فلم استطعه)، فقال: قيدتك خطاياك.

وجاءه آخر فقال له: إني أعصي الله وأذنب، وأرى الله يعطيني ويفتح علي من الدنيا، ولا أجد أنني محروم من شيء فقال له الحسن: هل تقوم الليل فقال: لا، فقال: كفاك أن حرمك الله مناجته.

وكان يقول: من علامات المسلم قوة دين، وجزم في العمل وإيمان في يقين، وحكم في علم، وحسن في رفق، وإعطاء في حق، وقصد في غنى، وتحمل في فاقة، وإحسان في قدرة، وطاعة معها نصيحة، وتورع في رغبة، وتعفف وصبر في شدة. لا ترديه رغبته ولا يبدره لسانه، ولا يسبقه بصره، ولا يقلبه فرجه، ولا يميل به هواه، ولا يفضحه لساقه، ولا يستخفه حرصه، ولا تقصر به نغيته.

وسئل الحسن عن النفاق فقال: هو اختلاف السر والعلانية، والمدخل والمخرج، ما خلفه إلا مؤمن (أي النفاق) ولا أمنه إلا منافق. توفي عام عشر ومائة في رجب منها. وله: (88) سنة.

مركز تحقيقات مكتبة نور علوم اسلامی

أحمد التجاني

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد التجاني، ولد عام (1150 هـ) بقرية عين ماضي التي وفد إليها جده محمد، فاستوطن بها وتزوج من قبيلة فيها تدعى تجاني أو تجانا فكانت أخوالاً لأولاده وإليها نسبوا.

نشأ أبو العباس بهذه القرية ورحل إلى بلاد عدة، وتأثر في أسفاره بهمم التقى بهم من مشايخ الطرق الصوفية وأخذ الطريق عن عدة منهم ثم انتهت به رحلاته إلى أبي صيفون، وهناك زعم أنه قد جاءه الفتح، وأنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناماً وأنه أذن له في تربية الخلق على العموم والإطلاق وأخذ عنه الطريقة الصوفية مشافهة.

وزعم التجاني أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أمره أن يترك كل طريق أخذه عن مشايخ الطرق الصوفية اكتفاء بما أخذه عنه صلى الله عليه وسلم مشافهة وعين له النبي صلى الله عليه وسلم الورد الذي يلقيه مردييه، وهو: الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك سنة (1196) من الهجرة، وكمل له الورد بسورة الإخلاص على رأس المائة؛ ولذا سميت الطريقة **الأحسية** **والمحمدية**، كما سميت **التيجانية** نسبة إلى القبيلة التي صاهرها جده محمد فنسبوا إليها.

وقد أسس التجاني طريقته بعد أن استقر في مدينة فاس بالمغرب وبنى فيها زاوية لمردييه.

وزعم أحمد التجاني بعد شهرته أنه شريف ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، ورسم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة وسأله عن نسبه، فأجابه بقوله: (أنت ولدي حقاً، وكررها (ثلاث مرات) ثم قال: نسبك إلى الحسن صحيح).

لم يترك التجاني أي علم ينتفع به ولكن جمع له تلميذ من تلاميذه يسمى علي حرازم كتباً سماه (جواهر المعاني وبلوغ الأمان في فيض سيدي أبي العباس التجاني).. والكتاب كله في فضل سيده وكراماته وأحواله وطريقته، وإشاراته القرآنية وعلومه الدنيوية..

وقد ادعى التجاني فضائل كثيرة وزاد على ما ادعاه كثير من شيوخ الطرق. فقد ادعى أنه هو خاتم الأولياء جميعاً والغوث الأكبر في حياته وبعد مماته، وأن أرواح الأولياء منذ آدم إلى آخر ولي لا يأتيها الفتح والعظم الرباني إلا بوساطته هو، وأن قدمه على رقبة كل ولي لله تعالى من خلق آدم إلى النفخ في الصور.

وأنه أول من يدخل الجنة هو وأصحابه وأتباعه.

وأن الله شفعه في جميع الناس الذين يعيشون في قرنه الذي عاش فيه. ومما قاله التجاني في ذلك:

(وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا، وبلغوا من المعاصي ما بلغوا إلا أنا وحدي) (الطبقات الكبرى: 90/2).

وأن الرسول أعطاه ذكراً يسمى صلاة الفتح يفضل أي ذكر قرئ في الأرض ستين ألف مرة بما في ذلك القرآن الكريم. توفي التجاني سنة (1230هـ).

أقوال العلماء فيه:

ذكرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في السؤال السابع من الفتوى رقم (5553) ما نصه:

(الفرقة التجانية من أشد الفرق كفراً وضلالاً وابتداعاً في الدين لما لم يشرع الله. وسبق أن سنلت اللجنة الدائمة عنهم وكتبت بحثاً في كثير من بدعهم وضلالاتهم الدالة على ذلك).

من أقواله والنقولات عنه التي تبين عقيدته:

من أفضل ما يبين لنا عقيدة التجاني ما نقله علي حرازم في كتابه
(جواهر المعاني وغاية الأماني) وما ذكره عمر بن سعيد الفوتي في كتابه
(رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم) وهما من أوسع كتب
التيجانية وأوثقها في نظر أهل هذه الطريقة.

وللاختصار قلن ننقل إلا قليلا من هذه الأقوال:

ادعى التجاني لنفسه ختم الولاية، مكنياً بذلك كثيراً ممن سبقوه من أهل
الطرق الذين نسبوا ذلك لأنفسهم.

قال صاحب كتاب رماح حزب الرحيم على نحور حزب الشيطان الرجيم:
(وشيخنا التجاني ولد عام خمسين ومائة وألف ووقع له الإن من النبي
صلى الله عليه وسلم بقظة لا مناماً بتربية الخلق على الصوم والإطلاق
سنة ألف ومائة وست وتسعين، قال أخبرني سيدي محمد الغالي أن الشيخ
عاش وهو في مرتبة الختمية ثلاثين سنة وإذا تأملت هذا علمت أن
الختمية لم تثبت لأحد قبل شيخنا وأن أحداً ما ادعاها وثبت على ادعائها
لنفسه وأما شيخنا وسيدنا ووسيلتنا إلى ربنا سيد أحمد بن محمد الشريف
الحسني التيجاني قال: أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأنني أنا
القطب المكتوم منه إلي مشافهة بقظة لا مناماً فقل له ما معنى المكتوم؟
فقال هو الذي كتبه الله تعالى عن جميع خلقه حتى الملائكة والنبیین إلا
سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فإنه علم به وبحاله وهو الذي حاز كل
ما عند الأولياء من الكمالات الإلهية واحتوى على جميعها وأكبر من هذا
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد
منها أدخله الله الجنة وما اجتمعت في نبي ولا ولي إلا في سيد الوجود
صلى الله عليه وسلم وأما الأقطاب الذين بعده حتى الحجة العظمى ابن
عربي الحاتمي فإنه يعظمون ظواهرها فقط ويسمون المحمديين وبه ختم
الله الأقطاب المجتمعة فيهم الأخلاق والإلهية وهذه الأخلاق لا يعرفها إلا
من ذاقها ولا تدرك بالوصف ولا يعرف ما فيها إلا بالذوق وقال إن

الفيوض التي تفيض من ذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم تتلقاها ذات الأنبياء وكل ما فاض وبرز من ذات الأنبياء تتلقاه ذاتي ومني يتفرق على جميع الخلق من نشأة العالم إلى النفخ في الصور، وخصصت بعنود بني وبينه منه إلى مشافهة لا يعظمها إلا الله عز وجل بلا واسطة قال أنا سيد الأولياء كما كان صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء).

ويتابع صاحب الرماح أيضاً قائلًا:

(ومدده الخاص به (يعني الشيخ التجاني) إنما يتلقاه منه صلى الله عليه وسلم ولا اطلاع لأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على فيضه الخاص به لأن له مشرباً معهم منه صلى الله عليه وسلم قال رضي الله عنه وأرضاه وعنا به مشيراً بإصبعه السبابة والوسطى: روعي وروحه صلى الله عليه وسلم هكذا، روحه صلى الله عليه وسلم تمتد الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وروحي تمتد الأقطاب والعرفين والأولياء من الأزل إلى الأبد.

وسبب ذلك أن بعض أصحابه تحول مع بعض الناس في قوله رضي الله عنه وأرضاه وعنا به كل شيوخ أخذوا عني في الغيب فحكى له ذلك فأجاب رضي الله عنه وأرضاه وعنا به ما ذكر.

وقال (أي التجاني): نسبة الأقطاب معي كنسبة العلامة مع الأقطاب وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني قال قدمي هذا (كذا) على رقبة كل ولي لله تعالى يعني أهل عصره وأما أنا فقدماي هاتان جميعها (وكان متكناً فجلس وقال) على رقبة كل ولي لله تعالى من لدن آدم إلى النفخ في الصور).

- وقد قسم التجاني مراتب الأولياء والأنبياء إلى سبع مراتب سماها حضرات قال فيها: الحضرة الأولى: الحقيقة المحمدية. قال: وهذه الحضرة غيب من غيوب الله تعالى لم يطلع عليها أحد ولا عرف شيئاً من علومها وأسرارها وتجلياتها وأخلاقها ولو كان من الرسل والأنبياء لأنها خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

والثانية الحضرة المحمدية وتمثلها الدائرة الثانية ومن هذه الحقيقة المحمدية مدارك النبيين والمرسلين وجميع الملائكة والمقربين وجميع الأقطاب والصديقين وجميع الأولياء والعارفين. والثالثة حضرة الأنبياء وتمثلها الدائرة الثالثة وأهل هذه الحضرة يتلقون علومهم وأحوالهم وتجلياتهم من هذه الحقيقة المحمدية وخاتم الأولياء أعني الشيخ التجاني له مشرب من هذه الحضرة مع الأنبياء فهو يتلقى المدد رأساً من النبي صلى الله عليه وسلم من حقيقته المحمدية بلا وساطة. الرابعة حضرة خاتم الأولياء وتمثلها الدائرة الرابعة وصاحب هذه الحضرة هو الشيخ أحمد التجاني فهو يتلقى كل ما فاض من ذوات الأنبياء زيادة على ما يتلقاه بلا وساطة من الحقيقة المحمدية ولذلك سمي نفسه (برزخ البرازخ).

وقال التجاني: وخصّصتُ بعلوم بيني وبينه منه إلى مشافهة لا يعظمها إلا الله عز وجل بلا وساطة وقال: أنا سيد الأولياء كما كان النبي صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء. ثم قال صاحب الرماح (ولا اطلاع لأحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام على فيضه الخاص لأن له مشرباً معهم منه صلى الله عليه وسلم)!!

الحضرة الخامسة حضرة المتبعين للطريقة التجانية المتمسكين بها. قال الشيخ التجاني في حق أهل هذه الحضرة ما نصه (لو اطلع أكابر الأقطاب على ما أعد الله لأهل هذه الطريقة لبكوا وقالوا يا ربنا ما أعطينا شيئاً). وقال الشيخ التجاني لا مطمع لأحد من الأولياء في مراتب أصحابنا حتى الأقطاب الكبار ما عدا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال التجاني:

كل الطرائق تدخل عليه (كذا) طريقتنا فتبطلها وطابعنا يركب على كل طابع ولا يحمل طابعنا غيره وقال من ترك ورداً من أوراد المشايخ لأجل الدخول في طريقتنا هذه المحمدية التي شرفها الله تعالى على جميع الطرق

أمنه الله في الدنيا والآخرة فلا يخاف من شيء يصيبه لا من الله ولا من رسوله ولا من شيخه أيا كان من الأحياء أو من الأموات.

وأما من دخل زمريتا وتأخر عنها ودخل غيرها تحل به مصائب الدنيا وأخرى ولا يفلح أبداً.

ثم قال نلقاً عن شيخه التجاني كما هو في جواهر المعاني:

وليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بلا حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا إلا أنا وحدي. ووراء ذلك مما نكر لي فيهم وضعنه أمر لا يحل لي ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في الدار الآخرة بشرى للمعتقد على رغم أنف المنتقد.

ثم استطرد صاحب الرماح ومن هنا صار جميع أهل طريقته أعلى مرتبة عند الله تعالى في الآخرة من أكبر الأقطاب وإن كان بعضهم في الظاهر من جملة العوام المحجوبين.

الحضرة السلسلة حضرة الأولياء وتمثلها الدائرة السادسة وهي مستمدة من حضرة خاتمهم الأكبر جميع ما نلوا (الهدية الهادية ص 36).

زعم التجاني كذلك فضلاً لأنكره يفوق فضل تلاوة القرآن الكريم كاملاً!! حيث زعم أن (نكره) الذي يسميه صلاة الفاتح: القراءة الواحدة له تعدل قراءة القرآن ستة آلاف مرة!!

قال مؤلف جواهر المعاني على حرازم في الجزء الأول صفحة (94)

(وأما فضل صلاة الفاتح لما أغلق الخ، فقد سمعت شيخنا يقول:

كنت مشتغلاً بذكر صلاة الفاتح لما أغلق حين رجعت من الحج إلى تلمسان لما رأيت من فضلها وهو أن المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة كما هو في ورده الجيوب وقد نكر صاحب الوردة أن صاحبها سيدي محمد البكري الصديقي نزيل مصر وكان قطبياً، قال إن من نكرها ولم يدخل الجنة فليقبض صاحبها عند الله، وبقيت أنكرها إلى أن رحلت من تلمسان إلى أبي سمعون فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة بسبعين ألف ختمة من دلائل

الخيرات تركت الفاتح لما أغلق واشتغلت بها وهي (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سلاماً يعدل سلامهم) لما رأيت فيها من كثرة الفضل ثم أمرني بالرجوع صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الفاتح لما أغلق فلما أمرني بالرجوع إليها سألته صلى الله عليه وسلم عن فضلها فأخبرني أولاً بأن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانياً أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيحة وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة لأنه من الأذكار)) انتهى بلفظه. (جواهر المعاني ص 94).

ملخص الأخطاء العقدية التي وقع فيها التجاني ومن تبعه في طريقته:

- 1- غلو أحمد بن محمد التجاني مؤسس الطريقة وغلو أتباعه فيه غلواً جاوز الحد حتى أضفى على نفسه خصائص الرسالة بل صفت الربوبية والإلهية وتبعه في ذلك مريدوه.
- 2- إيمانه بالفناء ووحدة الوجود وزعمه ذلك لنفسه بل زعم أنه في الذروة العليا من ذلك وصدقه فيه مريدوه فأمنوا به واعتقدوه.
- 3- زعمه رؤية النبي صلى الله عليه وسلم يقظة، وتلقي النبي صلى الله عليه وسلم إياه الطريقة التيجانية وتلقيه وردها والإذن له يقظة في تربية الخلق وتلقيهم هذا الورد واعتقاد مريدوه وأتباعه ذلك.
- 4- تصريحه بأن المدد يفيض من الله على النبي صلى الله عليه وسلم أولاً، ثم يفيض منه على الأنبياء، ثم يفيض من الأنبياء عليه، ثم منه يتفرق على جميع الخلق من آدم إلى النفخ في الصور، ويؤمن أن يفيض أحياناً من النبي صلى الله عليه وسلم عليه مباشرة ثم يفيض منه على سائر الخليقة ويؤمن مريدوه بذلك ويعتقدونه.

5- تهجمه على الله وعلى كل ولي لله وسوء أُنبيه معهم إذ يقول:
 قدماي على رقبة كل ولي، فلما قيل له: إن عبد القادر الجيلاني: قال: فيما
 زعموا قدماي على رقبة كل ولي، قال: صدق ولكن في عصره أما أنا
 فقدماي على رقبة كل ولي من آدم إلى النسخ في الصور، فلما قيل له:
 أليس الله قادراً على أن يوجد بعدك ولياً فوق ذلك؟، قال: بلى، ولكن لا
 يفعل، كما أنه قادر على أن يوجد نبياً بعد محمد صلى الله عليه وسلم،
 ولكنه لا يفعل، ومريدوه يؤمنون بذلك ويدافعون عنه.

6- دعواه كذباً أنه يعظم الغيب وما تخفي الصدور وأنه يصرف القلوب
 وتصديق مريديه ذلك وعده من محامده وكراماته.

7- إلحاده في آيات الله وتحريفها عن مواضعها بما يزعمه تفسيراً
 إشارياً كما سبق في الإعداد من تفسيره قوله تعالى:

﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن: 19]-

[20]

من تحت كبريت معلوم

ويعتقد مريدوه أن ذلك من الفيض الإلهي.

8- تفضيله الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم على تلاوة القرآن
 بالنسبة لمن يزعم أنهم أهل المرتبة الرابعة وهي المرتبة الدنيا في نظره.

9- زعمه هو وأتباعه أن منادياً ينادي يوم القيامة والناس في الموقف
 بأعلى صوته يا أهل الموقف هذا إمامكم الذي كان منه ممدكم في الدنيا ..
 الخ.

10- زعمه أن كل من كان تجانياً يدخل الجنة دون حساب ولا عذاب
 مهما فعل من الذنوب.

11- زعمه أن من كان على طريقته وتركها إلى غيرها من الطرق
 للصوفية تسوء حاله ويخشى عليه سوء العاقبة والموت على الكفر.

12- زعمه أنه يجب على المرید أن يكون بين يدي شيخه كالـميت بين يدي المغسل لا اختيار له بل يستسلم لشيخه فلا يقول: لم ولا كيف ولا علام ولا لأي شيء .. الخ.

13- زعمه أنه أوتي اسم الله الأعظم، علمه إياه النبي صلى الله عليه وسلم ثم هول أمره وقدر ثوابه بالآلاف المؤلفة من الحسنات، خرساً وتخميناً ورجماً بالغيب واقتحاماً لأمر لا يعلم إلا بالتوقيف.

14- زعمه أن الأنبياء والمرسلين والأولياء لا يمكثون في قبورهم بعد الموت إلا زمناً محدوداً يتفاوت بتفاوت مراتبهم ودرجاتهم ثم يخرجون من قبورهم بأجسادهم كما كانوا من قبل إلا أن الناس لا يرونهم كما أنهم لا يرون الملائكة مع أنهم أحياء.

15- زعمه أن النبي صلى الله عليه وسلم يحضر بجسده مجالس أذكـارهم وأورادهم وكذا الخلفاء الراشدون .. الخ.

(الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة للشيخ عبد الرحمن عبد الخالق)
(التبجانية حقائق وأسرار. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء).

الحكيم الترمذي

أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين الترمذي المتوفى سنة (320 هـ) قال أبو عبد الرحمن السلمي:

(أخرجوا الحكيم من ترمذ وشهدوا عليه بالكفر وذلك بسبب تصنيفه كتاب ختم الولاية، وكتاب علل الشريعة، وقالوا: إنه يقول: إن للأولياء خاتماً كالأنبياء لهم خاتم، وإنه يفضل الولاية على النبوة، واحتج بحديث: يخطهم النبيون والشهداء. فقدم بلغ فقبلوه لموافقتهم لهم في المذهب).

(سير أعلام النبلاء 13-441).

والحكيم الترمذي بعد أول من أورد قصص الصوفية في الخضر فقال في كتابه ختم الولاية في جوابه عن علامات الأولياء: (والخضر عليه السلام، قصة عجيبة في شأنهم - أي الأولياء - وقد عاين شأنهم في البدء ومن وقت المقادير فأحب أن يدركهم، فأعطي الحياة حتى بلغ من شأنه أنه يحشر مع هذه الأمة وفي زمريتهم، حتى يكون تبعاً لمحمد صلى الله عليه وسلم، وهو رجل من قرن إبراهيم الخليل، وذو القرنين، وكان على مقدمة جنده، حيث طلب ذو القرنين عين الحياة ففاته وأصابها الخضر).

(ختم الولاية صفحة 362)

وقال أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي:

(رأيت أكثر العباد على غير الجادة فمنهم من صح قصده، ولا ينظرون في سيرة الرسول وأصحابه ولا في أخلاق الأئمة المقتدى بهم، بل قد وضع جماعة من الناس لهم كتباً فيه رقائق قبيحة، وأحاديث غير صحيحة، وواقعات تخالف الشريعة، مثل كتب الحارث المحاسبي وأبي عبد الله الحكيم الترمذي وأبي طالب المكي).

العفيف التلمساني

هو أحد كبار رجال الصوفية، تروي الصوفية عنه الخوارق والكرامات، ويرون من شعره وقوله ما يخجل الإنسان منه، وهم اليوم يتبركون بقبره بعد موته.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

(أبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله العلبدي الكرمي ثم التلمساني (610 — 690هـ) الشاعر المتقن المتفنن في علوم، منها: النحو، والأدب، والفقه، والأصول، وله في ذلك مصنفات، وله شرح مواقف النفري، وشرح أسماء الله الحسنى، وله ديوان مشهور، وقد نسب هذا الرجل إلى عظمته في الأقوال والاعتقاد في الحلول والاتحاد والزندقة والكفر المحض)).

وقال محمد بن طاهر القيسرائي في ترجمة الإمام المزي:

(وقد لزم في وقت البغوي والعفيف التلمساني، فلما تبين له انحلاله واتحاده تبرأ منه وحط عليه)).

(تذكرة الحفاظ: 4-1499)

ومن أقوال التلمساني الشنيعة ما حكاه شيخ الإسلام ابن تيمية:

(أن الشيرازي قال لشيخه التلمساني، وقد مر بكلب أجرب ميت:

هذا أيضاً من ذات الله؟!

فقال: وهل ثم خارج عنه؟!

ومر التلمساني ومعه شخص بكلب فركضه الآخر برجله، فقال:

لا تركضه فإنه منه. قال ابن تيمية: وهذا من أعظم الكفر)).

(مجموع الفتاوى: 2-309)

عبد القادر الجيلاني

عبد القادر بن أبي صالح بن عبد الله الجيلي - نسبة إلى جيل في طبرستان - ثم البغدادي، ولد بكرلان سنة (470 هـ) ووفد بغداد شاباً سنة (488 هـ)، وتفقّه على عدد من مشايخها منهم أبو سعيد المخرمي، وكان على مذهب الإمام أحمد في الفروع، وفي الصفات، وبغض الكلام وأهله، خلف شيخه أبا سعيد المخرمي على مدرسته فدرس فيها إلى أن مات.

جلس الشيخ عبد القادر للوعظ سنة (520 هـ)، وحصل له القبول عند الناس، واعتقدوا بديانته وصلاحه، وانتفعوا بكلامه ووعظه. اشتهر عن الشيخ عبد القادر رحمه الله ما يدل على فقهه وثبات قدمه في العلم. وظهرت على يدي الشيخ عبد القادر بعض الكرامات، وتاب وأسلم على يديه العديد من الناس. توفي رحمه الله وله تسعون سنة ودفن بالمدرسة المذكورة سنة (561 هـ).

الغلو ونسبة الأباطيل للشيخ الجيلاني:

نسب إلى الشيخ عبد القادر، زوراً وبهتاناً الكثير من القصص والحكايا منها زعمهم:

أنه قال: إن أزمّة أهل الزمان على قلبي، وأنا المتصرف في عطائهم ومنعهم. وأنه قال: إن قلوب الناس في يدي، إن أردت صرفها عني صرفتها، وإن أردت صرفتها إلي.

وقال أحدهم: إن الشيخ الجيلاني هو غوث الأغواث، وإن له حق التثبيت في اللوح المحفوظ، وأنه يملك أن يجعل المرأة رجلاً.

ونقل البريلوي شيخ الطريقة البريلوية بالهند وباكستان وبنكلاديش:

أن الشيخ عبد القادر كان يمشي في الهواء على رؤوس الأشهاد في مجلسه، ويقول: ما تطلع الشمس حتى تسلم عليّ.

وقال البيروني كذلك: إن الشيخ عبد القادر فرش فراشه على العرش، وأقفل العرش على الفرش.

ومن المصادر الرئيسية للغلو والكذب على الشيخ الجيلائي: كثرت الكتب التي أوردت أخبار الشيخ، ومن أهمها كتاب كبير في ثلاثة مجلدات في مناقب الشيخ عبد القادر جمعها من غير خطام، ولا زمام، ولا تحرير، ولا اهتمام أبو الحسن الشطنوفى المصري، فهو الذي تحمل بثها وسبب سوء بوزرها، ولا ينقص ذلك من أوزار من اتبعه شيئاً.

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله:

(كان الشيخ عبد القادر رحمه الله في عصره معظماً، يعظمه أكثر مشايخ الوقت من العلماء والزهاد، وله مناقب وكرامات كثيرة، ولكن قد جمع المقرئ أبو الحسن الشطنوفى المصري في أخبار الشيخ عبد القادر ومناقبه ثلاث مجلدات، وكتب فيها الطم والرم، وكفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع.

أقوال أهل العلم في الشيخ عبد القادر:

قال الإمام الذهبي خاتماً ترجمة الشيخ عبد القادر بقوله:

(وفي الجملة الشيخ عبد القادر كبير الشأن، وعليه مأخذ في بعض أقواله ودعواه، والله الموعود، وبعض ذلك مكذوب عليه).

وقال عنه الحافظ ابن كثير رحمه الله:

(كان له سمت حسن، وصمت غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان فيه زهد كثير، وله أحوال صالحة ومكاشفات، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات، وينكرون عنه أقوالاً وأفعالاً، ومكاشفات أكثرها مغالاة، وقد كان صالحاً ورعاً، وقد صنف كتاب "الغنية"، و"فتوح الغيب"، وفيهما أشياء

حسنة، ونكر فيهما أحاديث ضعيفة وموضوعة، وبالجملـة كان من سـلـات المشايخ، توفي وله تصـعون سنة ودفن بالمدرسة التي كانت له).

قال ابن السـمـعـاني رحمه الله:

(إمام الحنابلة وشيخهم في عصره، فقيه صالح، دين خير، كثير الذكر، دائم الفكر، سريع النـمـعة).

وقال الحافظ ابن رجب معترفاً لما صدر من الشيخ عبد القادر:

(ومن سلق الشيوخ المتأخرين مساق الصدر الأول، وطلبهم بطرائقهم، وأراد منهم ما كان عليه الحسن البصري وأصحابه مثلاً من العـم العظيم، والعمل العظيم، والورع العظيم، والزهد العظيم، مع كمال الخوف والخشية، وإظهار النـل والحزن والانكسار، والازدراء على النفس، وكنـمان الأحوال والمعارف والمحبة والشوق ونحو ذلك، فلا ريب أنه يزدي المتأخرين، ويمقتهم، ويهضم حقوقهم، فالأولى تنـزيل الناس منازلهم، وتوفيتهم حقوقهم، ومعرفة مقاديرهم، وإقامة معانيهم، وقد جعل الله لكل شيء قدراً).

ولما كان الشيخ أبو الفرج بن الجوزي عظيم الخبرة بأحوال السلف والصدر الأول، قل من كان في زمانه يساويه في معرفة ذلك، وكان له أيضاً حظ من نوق أحوالهم، وقسط من مشاركتهم في معارفهم، كان لا يعذر المشايخ المتأخرين في طرائقهم المخالفة لطرائق المتقدمين ويشـتد إنكاره عليهم. وقد قيل: أنه صنف كتاباً ينقم فيه على الشيخ عبد القادر أشياء كثيرة. إلى أن قال: وللشيخ عبد القادر رحمه الله كلام حسن في التوحيد والصفات، والقدر، وفي علوم المعرفة موافق للسنة.

وله كتاب "الغنية لطالبي طريق الحق"، وكتاب "فتوح الغيب"، وجمع أصحابه من مجالسه في الوعظ كثيراً، وكان متمسكاً في مسائل الصفات والقدر ونحوها بالسنة، بالغاً في الرد على من خالفها).

عبد الكريم الجيلي

وكتابه الإنسان الكامل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، يقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه (الفكر الصوفي):

هذا عبد الكريم الجيلي يكتب كتابه (الإنسان الكامل) زاعماً أيضاً أنه من الله أخذه، وأن الله أمره بإخراج هذا الكتاب للناس وأنه ليس فيه شيء إلا وهو مؤيد بالكتاب والسنة يقول:

"ثم ألتبس من الناظر في هذا الكتاب بعد أن أعلمه أنني ما وضعت شيئاً في هذا الكتاب إلا وهو مؤيد بكتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه إذا لاح له شيء في كلامي بخلاف الكتاب والسنة فليعلم أن ذلك من حيث مفهومه لا من حيث مرادى الذي وضعت الكلام لأجله فليتوقف عن العمل به مع التسليم إلى أن يفتح الله تعالى عليه بمعرفته، ويحصل له شاهد ذلك من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه.

وفائدة التسليم هنا وترك الإنكار أن لا يحرم الوصول إلى معرفة ذلك، فإن من أنكر شيئاً من علمنا هذا حرم الوصول إليه ما دام منكراً، ولا سبيل إلى غير ذلك، بل ويخشى عليه حرمان الوصول إلى ذلك مطلقاً بالإنكار أول وهلة، ولا طريق له إلا الإيمان والتسليم.

واعلم أن كل علم لا يؤيده الكتاب والسنة فهو ضلالة، لا لأجل ما لا تجد أنت له ما يؤيده، فقد يكون العلم في نفسه مؤيداً بالكتاب والسنة، ولكن هلة استعدادك منعه من فهمه فن تستطيع أن تتناوله له بهمتك من محله فتظن أنه غير مؤيد بالكتاب والسنة، فالطريق في هذا التسليم وعدم العمل به من غير إنكار إلى أن يأخذ الله بيدك إليه" (الإنسان الكامل ص 8).

علماً بأنه لم يضع فيه شيئاً مطلقاً وافق الكتاب والسنة، بل جمع فيه من الكفر والزندقة أعظم من كل كفر الأولين والآخرين. كيف لا وقد جعل كل من عبد شيئاً في الأرض فما عبد إلا الله. بل زعم أنه ليس في الوجود إلا الله، الذي خلق الوجود من نفسه لنفسه فليس هناك إلا هو فهو الرب والعبد، والشيطان والراهب، والسماء والأرض، والظلمات والنور، والحمل للوديع والذنب الكاسر..

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. واستغفر الله من تسطير تلك وكتابتها.. اللهم رحماك.. لقد قلت في كتابك عن الذين ادعوا الألوهية في عيسى وهو نبي كريم ونفس طيبة:

{ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا } {الكهف}

نعود إلى الجيلي وكتابه الذي يقول فيه بالنص:

وكنيت قد أسميت الكتاب على الكشف الصريح وأيدت مسئلة بالخبر الصحيح، وسميته بالإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر ثم يقول: فأمرني الحق الآن بإبرازه بين تصريحه وإغازه، ووعدني بعوم الانتفاع فقلت طوعاً للأمر المطاع، وابتدأت في تأليفه متكللاً على الحق في تعريفه، فها أنا ذا أكرع من دنه (الذن: هو وعاء الخمر الذي يخمّر فيه) القديم، بكأس الاسم العظيم، في قوالب أهل الإيمان والتسليم خمرة مرضعة من الحي الكريم، مسكرة الموجود بالقديم).

ما الذي يتكلم عليه الجيلي في هذا الكتاب:

إن كتابه من أوله وآخره يدور حول معنى واحد وهو وصف الله بصفات مخلوقاته، وبيان أن المخلوق هو عين الخلق.. هذا كل ما يريد الجيلي أن يصل إليه وهذا هو ما شرحه شرحاً كاملاً في كتابه، وأضاف أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو الإنسان الكامل والإله الكامل الذي لتصف بكل صفات الله بطوها وسفلها، بحلوها ومرها؛ فقل هو الله أحد معناها كما يفسرها الجيلي: قل يا محمد الإنسان هو الله أحد. فهاء الإشارة في (هو)

راجع إلى فاعل قل وهو أنت.. فيكون المعنى يا محمد هو أي أنت الله أحد.. هذا هو الكشف الذي كشفه لنا الجيلي من الغيب وهذا هو الكتاب الذي ليس فيه شيء يخالف الكتاب والسنة.

وهذا نص عبارة الجيلي في ذلك:

"الحرف الخامس من هذا الاسم: هو الهاء، فهو إشارة إلى هوية الحق الذي هو عين الإنسان قال الله تعالى (قل) يا محمد (هو) أي الإنسان (الله أحد) فهاء الإشارة في هو راجع إلى فاعل قل وهو أنت، وإلا فلا يجوز إعادة الضمير إلى غير مذكور أقيم المخاطب هنا مقام الغائب التفتاً بآياتنا إشارة إلى أن المخاطب بهذا ليس نفس الحاضر وحده، بل الغائب والحاضر في هذا على السواء.

قال الله تعالى:

{وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا الْأَنْعَامَ 27} ليس المراد به محمداً وحده بل كل راء، فاستدارة رأس الهاء إشارة إلى دوران رحي الوجود الحقي والخلقي على الإنسان، فهو في عالم المثل كالدائرة التي أشارت الهاء إليها، فقل ما شئت إن شئت قلت الدائرة حق وجوفها خلق، وإن شئت قلت الدائرة خلق وجوفها حق فهو حق وهو خلق، وإن شئت قلب الأمر فيه بالإلهام، فالأمر في الإنسان دوري بين أنه مخلوق له ذل العبودية والعجز وبين أنه على صورة الرحمن، فله الكمال والعز.

قال الله تعالى:

{قَالَ لَهُ هُوَ الْوَلِيُّ} الشورى 9 يعني الإنسان الكامل الذي قل فيه:

{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} بونس 62

لأنه يستحيل الخوف والحزن وأمننا ذلك عنى الله لأن الله هو الولي الحميد {وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} الشورى 9

(أي الولي، فهو حق منصور في صورة خلقية، أو خلق متحقق بمعاني الإلهية، فعلى كل حال وتقدير وفي كل مقال وتقرير هو الجامع لوصفي للنقص والكمال، والساطع في أرض كونه بنور شمس المتعال، فهو السماء والأرض، وهو الطول والعرض.

ويشرح الجبلي هذا المعنى المجمل تفصيلاً في الباب الستين من كتابه فيقول بالنص:

الباب الملقى ستين: في الإنسان الكامل وأنه محمد صلى الله عليه وسلم وأنه مقابل للحق والخلق.

"أعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الأبد، ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس (الكنيسة مكان العبادة عند النصارى). والمعنى المشار إليه هنا أنه يوصف بالشيء ونقيضه كما قال عبد العزيز الدباغ:

وما الكلب والخنزير إلهاً وما الله إلا راهب في كنيسة
فيسمى به باعتبار لباس، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر، فاسمه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد الله، ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابس أخرى أسلم، وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في تلك الزمان، فقد اجتمعت به صلى الله عليه وسلم وهو في صورة شيخ شرف الدين إسماعيل الجبرتي، ولست أعلم أنه النبي صلى الله عليه وسلم وكنت أعلم أنه الشيخ، وهذا من جملة مشاهد شاهنته فيها بزبد سنة ست وتسعين وسبعمائة وسر هذا الأمر تمكنه صلى الله عليه وسلم من التصور بكل صورة، فالأنيب إذا رآه في الصورة المحمدية التي كان عليها في حياته فبته يسميه باسمه، وإذا رآه في صورة ما من الصور وعلم أنه محمد فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة، ثم لا يوقع تلك الاسم الأعلى الحقيقة المحمدية.

ألا تراه صلى الله عليه وسلم لما ظهر في صورة الشبلي رضي الله عنه
قال الشبلي لتلميذه أشهد أنني رسول الله وكان التلميذ صاحب كشف فعرفه،
فقال: أشهد أنك رسول الله، وهذا أمر غير منكور وهو كما يرى النائم فلان
في صورة فلان.

وأقل مراتب الكشف أن يسوغ به في اليقظة ما يسوغ به اليقظة ما
يسوغ به في النوم، ولكن بين النوم والكشف فرقاً وهو أن الصورة التي
يرى فيها محمد صلى الله عليه وسلم في النوم لا يوقع اسمها في اليقظة
على الحقيقة المحمدية، لأن عالم المثال يقع التعبير فيه فيعبر عن
الحقيقة المحمدية إلى حقيقة تلك الصورة في اليقظة، بخلاف الكشف فإنه
إذا كشف لك عن الحقيقة المحمدية أنها متجلية في صورة من صور
الأميين، فيلزمك إيقاع اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية، ويجب
عليك أن تتأدب مع صاحب تلك الصورة تأدبك مع محمد صلى الله عليه
وسلم. لما أعطاك الكشف أن محمداً صلى الله عليه وسلم متصور بتلك
الصورة، فلا يجوز لك بعد شهود محمد صلى الله عليه وسلم فيها أن
تعاملها بما كنت تعاملها به من قبل، ثم إياك أن تتوهم شيئاً في قولي من
مذهب التناسخ، حاشا لله وحاشا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون
ذلك مرادي، بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم له من التمكين في
التصور بكل صورة حتى يتجلى في هذه الصورة، وقد جرت سنته صلى
الله عليه وسلم أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملها ليغطي
شأنهم ويقيم ميلاتهم، فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم".

ثم يستطرد الجيلي حسب اعتقاده مبيناً كيف يكون محمد صلى الله عليه
وسلم إنساناً كاملاً، وإلهاً تحققت فيه كل مظاهر الربوبية والألوهية وتجلت
فيه كل أسماء الله وصفاته..

ولما كان الله عند الجيلي ومن على طريقته من هؤلاء الزنادقة الملحدين
هو هذه المخلوقات لا غير.. استطرد الجيلي مبيناً أن الكون الوجود في كل

شيء منه مقابل للذات المحمدية. ففي ذات الرسول شبيه العرش والكرسي، والسموات والأرض والملائكة والحيوان والنبات والجماد.. وسائر الموجودات التي هي في حقيقتها عند الجيلي هي الله تعالى عن ذلك علواً كبيراً..

يقول الجيلي شارحاً ذلك:

واعلم أن الإنسان الكامل مقابل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه. فيقابل الحقائق العلوية بلطافته، ويقابل الحقائق السفلية بكثافته، فأول ما يبدو في مقابلته للحقائق الخلقية يقابل العرش بقلبه، قال صلى الله عليه وسلم (قلب المؤمن من عرش الرحمن)، ويقابل الكرسي بآنيته، ويقابل سدرة المنتهى بمقامه، ويقابل القلم الأعلى بعقله، ويقابل اللوح المحفوظ بنفسه، ويقابل العناصر بطبعه، ويقابل الهولي بقابليته، ويقابل الهباء بحيز هيكله، ويقابل الفلك الأطلس برأيه، ويقابل الفلك الموكب بمدرسته، ويقابل السماء الخامسة بهمته، ويقابل السماء الرابعة بفهمه، ويقابل السماء الثالثة بخياله، ويقابل السماء الثانية بفكره، ويقابل السماء الأولى بحافظته، ثم يقابل زحل بالقوى اللامسة، ويقابل المشتري بالقوى الدافعة، ويقابل المريخ بالقوى المحركة، ويقابل الشمس بالقوى الناضرة، ويقابل الزهرة بالقوى المتلذذة، ويقابل عطارد بالقوى الشامة، ويقابل القمر بالقوى السامعة، ثم يقابل فلك النار بحرارته، ويقابل فلك الماء ببرودته، ويقابل فلك الهواء برطوبته، ويقابل فلك التراب بيبوسته، ثم يقابل الملائكة بخواطره، ويقابل الجن والشياطين بوسواسه، ويقابل البهائم بحيوانيته، ويقابل الأسد بالقوى الباطشة، ويقابل الثعلب بالقوى الماكرة، ويقابل الذئب بالقوى الخادعة، ويقابل القرد بالقوى الحاسدة، ويقابل الفأر بالقوى الحريصة، وقس على ذلك باقي قواه، ثم إنه يقابل النار بالمادة الصفراوية، ويقابل الماء بالمادة البلغمية، ويقابل الريح بالمادة الدموية، ويقابل التراب بالمادة السوداء، ثم يقابل السبعة أبحر بريقه ومخاطه وعرقه ونقاء أذنه

وبمعناه وبوله والسامع المحيط، وهو المادة الجارية بين الدم والعرق والجلد، منها تتفرع تلك الستة، ولكل واحد طعم، فحلو وحامض، ومر وممزوج، ومالح ومنتن وطيب، ثم يقابل الجوهر بهويته وهي ذاته، ويقابل للعرض بوصفه، ثم يقابل الجمادات بأثيابه، فإن الثياب إذا بلغ وأخذ حده في البلوغ بقي شبه الجمادات لا يزيد ولا ينقص وإذا كسرت لا يلتحم بشيء، ثم يقابل النبات بشعره وظفره، ويقابل الحيوان بشهواته، ويقابل مثله من الأنميين ببشريته وصورته، ثم يقابل أجناس الناس، فيقابل الملك بروحه، ويقابل الوزير بنظره الفكري، ويقابل القاضي بعلمه المسموع، ورأيه المطبوع، ويقابل الشرطي بظنه، ويقابل الأعوان بعروقه وقواه جميعها، ويقابل المؤمنين بيقينه، ويقابل المشركين بشكه وريبه، فلا يزال يقابل كل حقيقة من حقائق الوجود برقيقة من رقائقه، فقد بينا فيما مضى من الأبواب خلق كل ملك مقرب من كل قوى من الإنسان الكامل، وبقي أن نتكلم عن مقابلة الأسماء والصفات.

اعلم أن نسخة الحق تعالى كما أخبر صلى الله عليه وسلم حيث قال: (خلق الله آدم على صورة الرحمن) وفي حديث آخر (خلق الله آدم على صورته) وذلك أن الله تعالى حي عليم قادر مريد سميع بصير متكلم، وكذلك الإنسان حي عليم.. الخ.

ثم يقابل الهوية بالهوية، والإنية بالإنية، والذات بالذات، والكل بالكل، والشمول بالشمول، والخصوص بالخصوص، وله مقابلة أخرى يقابل الحق بحقائقه الذاتية، وقد نبهنا عليها في هذا الكتاب في غير ما موضع، وأما هنا فلا يجوز لنا أن نترجم عنها، فيكفي هذا القدر من التنبيه عليها.

ثم اعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية، والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم المقتضي الذاتي، فبته المعبر عن حقيقته بتلك العبارات والمشار إلى لطيفته بتلك الإشارات ليس لها مستند في الوجود إلا الإنسان الكامل، فمثله للحق مثال المرآة التي لا يرى

الشخص صورته إلا فيها، و إلا فلا يمكنه أن يرى صورة نفسه لا بمرآة الاسم الله فهو مرآته، والإنسان الكامل أيضاً مرآة الحق، فإن الحق تعالى أوجب على نفسه أن لا ترى أسماؤه ولا صفاته إلا في الإنسان الكامل، وهذا معنى قوله تعالى:

{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} الأحزاب 72

يعني قد ظلم نفسه بأن أنزلها عن تلك الدرجة، جهولاً بمقداره لأنه محل الأمانة الإلهية وهو لا يدري" (المصدر السابق ص 76، 77).

ادعاء رؤية العوالم العلوية والسفلية:

ولا يتوقف هذا الهذيان الذي يطالعنا به الجيلي في كتابه لحظة واحدة فهو يزعم أنه قد كشفت له الحجب فرأى العالم عالياً وسافله وشاهد الملائكة جميعاً وخطبهم والرسول والأنبياء؛ فهذا هو يقول ويدعي:

"وفي هذا المشهد (يعني بالمشهد اتصال الصوفي بأرواح المخلوقات التي وجدت في الحياة والتي لم توجد أيضاً لأن الأرواح في زعمه مخلوقة أبداً لا تفنى)، اجتماع الأنبياء والأولياء بعضهم ببعض أقمت فيه بزبيد (زبيد: مدينة من مدن اليمن المشهورة) بشهر ربيع الأول في سنة ثمانمائة من الهجرة النبوية فرأيت جميع الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والأولياء والملائكة العالين، والمقربين، وملائكة التسخير، ورأيت روحانية الموجودات جميعها، وكشفت عن حقائق الأمور على ما هي عليه من الأزل إلى الأبد" (انظر) ويستطرد قاتلاً:

"وتحقت بطوم إلهية لا يسع الكون أن نذكرها فيه" (ص 97 ج 2).
ويستطرد الجيلي في هذياته وكفرياته قاتلاً عن مشاهداته المزعومة في خلق السماء الثانية:

رأيت نوحاً عليه السلام في هذه السماء جالساً على سرير خلق من نور الكبرياء بين أهل المجد والثناء فسلمت عليه وتمثلت بين يديه فرد علي السلام ورحب بي وقلم".

إلى أن يقول:

"وروحانية الملك الحاكم على جميع ملائكة هذه السماء عجائب من آيات الرحمن وغرائب من أسرار الأكوان لا يسعنا إذاعتها في أهل هذا الزمان" (ص100)

ويستطرد الجيلي مبيناً مشاهداته المزعومة في السماء الثالثة وأنه رأى يوسف عليه السلام وأنه دار بينهما هذا الحديث الذي يزعم الجيلي في آخره أنه كان يعلم هذه العلوم التي أخبره يوسف بها قبل أن يتفوه بها يوسف. وما هذه العلوم.. إنها هذه الكفريات والهنيكات نفسها وهذا نص عبارته في ذلك:

"اجتمعت في هذه السماء مع يوسف عليه السلام، فرأيتُه على سرير من الأسرار كاشفاً عن رمز الأنوار عالماً بحقيقة ما انعقدت عليه أكلة الأخبار متحققاً بأمر المعاني، مجاوزاً عن قيد الماء والأوتار فسلمت إليّ تحية وافد إليه فأجاب وحيّاً ثم رحب بي وبيا، فقلت له: سيدي أسألك عن قولك

{رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ} يوسف 101

أي المملكتين تعني وعن تأويل أي الأحاديث تكنى فقال: أردت المملكة الرحمانية المودعة في النكتة الإنسانية (يعني أن يوسف عليه السلام أجابه بأن الله أطلعه على وجود الرحمن في كيان الإنسان) وتأويل الأحاديث: الأمانيات الدائرة في الألسنة الحيوانية، فقلت له يا سيدي أليس هذا المودع في التلويح حلاً من البيان والتصريح. فقال: اعلم أن للحق تعالى أمانة في العباد يوصلها المتكلمون بها إلى أهل الرشاد، قلت: كيف يكون للحق أمانة وهو أصل الوجود في الظهور والإبالة، فقال: ذلك وصفه وهذا شأنه وذلك حكمه وهذه عبارته، والأمانة يجعلها الجاهل في اللسان ويحملها العالم في

السر والجنان، والكل في حيرة عنه، ولم يفز غير العارف بشيء منه، فقلت: وكيف ذلك. فقال: اعلم أيّدك الله وحماك أن الحق تعالى جعل أسرارَه كدُرر إشارات مودعة في أسرار عبارات (يعني أن سر الخلق قد صاحبه الله في أسرار العبارات التي يوحّيها إلي)، فهي ملقاة في الطريق دائرة على ألسن الفريق، يجهل العلم إشارتها، ويعرف الخاص ما سكن عبارتها، فيؤولها على حسب المقتضى ويؤول بها إلى حيث المرتضى، وهل تلويل الأحلام إلا رشة من هذا البحر أو حصاة من جنادل هذا القفر فطمت ما أشار إليه الصديق ولم أكن قبله جاهلاً بهذا التحقيق، ثم تركته وانصرفت في الرفيق الأعلى ونعم الرفيق" (ص101).

ثم يزعم الجيلي أن السماء الرابعة هي قلب الشمس وأن فيها إدريس وأن أكثر الأنبياء في دائرة هذا الفلك المكين مثل عيسى وسليمان ودأود وإدريس وجرجيس.. وغيرهم.. الخ.

أسمعتم يا مسلمون نبياً من أنبياء الله يسمى جرجيس.. ها هو الجيلي لطلع عليه في السماء وجاءكم باسمه كما جاءكم باسم ملك يسمى توحائيل.. أنظرتكم كيف يكون الكشف وعلم الغيب. هذه هي نماذج. وأما السماء الخامسة عند الجيلي فهي سماء الكوكب المسمى بهرام.. وحكم هذه السماء عزرائيل وهو روحانية المريخ صاحب الانتقام والتوبيخ..

ويستطرد الجيلي فيصف السماء السادسة فهي عنده كوكب المشتري.. ويقول "رأيت فيها موسى عليه السلام متمكناً في هذا المقام واضعاً قدمه على هذه السماء قابضاً بيمينه (يلاحظ في هذا التخليط وللتقول على الله أن هؤلاء الكافرين يعدون إلى الوحي القرآني والحديثي فيأخذون منه ما يشاءون ويخلطونه بهذه الأكاذيب ويزعمون أن ذلك هو الكشف الذي كشف لهم فنكر منصبة موسى على ساق سدرة المنتهى مأخوذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم أكون أول من يفريق فأجد موسى باطشاً بساق العرش) ساق سدرة المنتهى سكران من خمر تجلي الربوبية.. أي موسى

انطبعت في مرآة علمه أشكال الأكوان وتجلت فيه ربوبية الملك الديان..
 وأنه دار بينه وبين الجيلي هذا الحوار.. يقول الجيلي بالنص:
 "فوقفت متأدباً بين يديه، وسلمت بتحقيق مرتبته عليه، فرفع رأسه من
 سكرة الأزل ورحب بي ثم أهدأ، فقلت له: يا سيدي قد أخبر الناطق
 بالجواب الصالح في الخطاب، أنه قد برزت لك خلعة لن ترائي من ذلك
 الجنب، وحالتك هذه غير حالة أهل الحجاب، فأخبرني بحقيقة هذا الأمر
 العجيب، فقال: اعلم أنني لما خرجت من مصر أرضي إلى حقيقة فرضي،
 ونوديت من طور قلبي بلسان ربي من جانب شجرة الأحذية في الوادي
 المقدس بأنوار الأزلية:

{إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي} طه 14

فلما عبده كما أمر في الأشياء، وأثبتت عليه بما يستحقه من الصفات
 والأسماء تجلت أنوار الربوبية لي فأخذني عني، فطلبت البقاء في مقام
 اللقاء، ومحال أن يثبت المحدث لظهور القديم، فنأدى لسان سري مترجماً
 عن ذلك الأمر العظيم، فقلت:

{رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} الأعراف 143

فأدخل باتيتي في حضرة القدس عليك فسمعت الجواب من ذلك الجنب:

{لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ} الأعراف 143

وهي ذاتك المخلوقة من نوري في الأزل، {فإن استقر مكانه}
 الأعراف 143 بعد أن أظهر القديم سلطانه {فسوف ترائي فلما تجلّى ربه
 للجبل} الأعراف 143 وجذبتني حقيقة الأزل وظهر القديم على المحدث

{جعله دكاً وخر موسى صعقاً} الأعراف 143

فلم يبق في القديم إلا القديم، ولم يتجل بالعظمة إلا العظيم، هذا على أن
 استيفاه غير ممكن وحصره غير جائز، فلا تدرك ماهيته ولا ترى ولا يعظم
 كنهه ولا يدري، فلما اطلع ترجمان الأزل على هذا الخطاب أخبركم به من

أم الكتاب (أي أن الجيلي اطلع على هذه المكاشفة من أم الكتاب) فترجم
بالحق والصواب، ثم تركته واتصرف وقد اغترفت من بحره ما اغترفت
(ص104)

ويستطرد الجيلي مبيناً مشاهداته في هذه السماء فيقول:
ثم إني رأيت ملائكة هذه السماء مخلوقة على سائر أنواع الحيوانات
فمنهم من خلقه الله تعالى على هيئة الطائر وله أجنحة لا تنحصر للحاصر،
وعبادة هذا النوع خدمة الأسرار ورفعها من حضيض الظلمة إلى عالم
الأنوار، ومنهم من خلقه الله تعالى على هيئة الخيول المسومة، وعبادة
هذه الطائفة المكرمة رفع القلوب من سجن الشهادة إلى فضاء الغيوب،
ومنهم من خلقه الله تعالى على هيئة النجائب وفي صورة الركائب، وعبادة
هذا النوع رفع النفوس إلى عالم المعاني من عالم المصوس، ومنه من
خلق الله تعالى على هيئة البغال والحمير!! وعبادة هذا النوع رفع الحقيير
وجبر الكسير والعبور من القليل إلى الكثير ومنهم من خلقه الله تعالى على
صورة الإنسان وعبادة هؤلاء حفظ قواعد الأنبياء، ومنهم من خلق على
صفة بسائط الجواهر والأعراض وعبادة هؤلاء إيصال الصحة إلى الأجسام
المراض، ومنهم من خلق على أنواع الحبوب والمياه وسائر المأكولات
والمشروبات، وعبادة هؤلاء إيصال الأرزاق إلى مرزوقها من سائر
المخلوقات، ثم إني رأيت في هذه السماء ملائكة مخلوقة بحكم الاختلاط
مزجاً، فالنصف من نار والنصف من ماء عقد تلجأ، فلا الماء يفعل في
إطفاء النار ولا النار تغير الماء عن ذلك القرار" (ص105).

وأما السماء السابعة التي شاهدها الجيلي وجاء يقص علينا مشاهداته
فهي السماء السابعة، وهي عنده زحل، ويحكى أنه شاهد فيها إبراهيم
عليه السلام قائماً في هذه السماء وله منصة يجلس عليها على يمين
العرش من فوق الكرسي وهو يتلو آية:

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} إبراهيم 39

ويستطرد الجيلي بعد ذلك تبجحاً أنه صعد إلى سدرة المنتهى وأنه رأى هناك الملائكة وأنها على هينات مختلفة وأمامهم سبعة، ثم ثلاثة ثم ملك مقدم يسمى عبد الله.. وأنهم أخبروه أنهم لم يسجدوا لآدم - هكذا.. علماً بأن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه {فسجد الملائكة كلهم أجمعون* إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين} (الحجر: 30-31) ..

فأكد الله سبحانه سجود الملائكة بكل وجميع ولكن جاعنا الجيلي ليخبرنا بأن الملائكة هؤلاء الذين شاهدتهم في السماء لم يؤمروا بالسجود لآدم فاكشف ما لم يعلمه الله ورسوله. وهذا نص عبارته في ذلك:

ثم رأيت سبعة جملة هذه الملائكة متقدمة عليهم يسمون قائمة الكروبيين، ورأيت ثلاثة مقدمين على هذه السبعة يسمون بأهل المراتب والتمكين، ورأيت واحداً مقدماً على جميعهم يسمى عبد الله، وكل هؤلاء عالون ممن لم يؤمروا بالسجود لآدم، ومن فوقهم كالملك المسمى بالنون والملك المسمى بالقلم وأمثالهم أيضاً عالون، وبقية ملائكة القرب دونهم، وتحتهم مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل (ليس في ملائكة الله عز وجل ملك يسمى عزرائيل ولم يثبت ذلك في حديث صحيح أو ضعيف ولكنه اسم يجري على السنة العامة، ولكن هؤلاء الجهلة يلتفتون مثل هذه الأسماء ويجعلونها كشافاً وعلماً لدنياً وروحياً وإلهاماً لهم فقطر وتعجب..)

ورأيت في هذا الفلك من العجائب والغرائب ما لا يسعنا شرحه" (ص 107).

ولا يكتفي الجيلي ببيان كفرياته وهذياته في السماء فينتقل إلى الأرض وهي عنده ليست أرضاً واحدة بل هو يزعم أنه شاهد سبعة أرضين وسبعة بحار ومحيطات وهاك بعضاً من هذا الهذيان الذي يزعم فيه الجيلي أنه رأى فيه الخضر وموسى، وأفلاطون وأرسطو والاسكندر، إلى هذيان وكفر

لا يسع المؤمن عند سماعه وقراءته إلا أن يقول: (يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك) وأن يقول أيضاً: (الحمد لله الذي عافانا ومنّا علينا ووقتنا) وهكأخي القارئ شيئاً من هذا الهذيان:

"إن الله تعالى لما بسط الأرض جعلها على قرني ثور يسمى البرهوت وجعل الثور على ظهر الحوت في هذا البحر يسمى البهموت، وهو الذي أشار إليه الحق تعالى بقوله {وما تحت الثرى} ومجمع البحرين هذا هو الذي اجتمع فيه موسى عليه السلام بالخضر على شطه، لأن الله تعالى كان قد وعده بأن يجتمع بعد من عباده على مجمع البحرين، فلما ذهب موسى وفتاه حاملاً لغذائه ووصلاً إلى مجمع البحرين لم يعرفه موسى عليه السلام إلا بالحوث الذي نسيه الفتى على الصخرة وكان البحر مدأ، فلما جزر بلغ الماء إلى للصخرة فصارت حقيفة الحياة في الحوت، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، فعجب موسى من حياة حوت ميت قد طبخ على النار، وهذا الفتى اسمه يوشع بن نون، وهو أكبر من موسى عليه السلام في السن سنة شمسية وقصتهما مشهورة، وقد فصلنا ذلك في رسالتنا الموسومة (بمسامرة الخليل ومسامرة الصحيب) فليأمل فيه.

سافر الإسكندرية ليشرب من هذا الماء اعتماداً على كل كلام أفلاطون أن من شرب من ماء الحياة فإنه لا يموت، لأن أفلاطون كان قد بلغ هذا المحل وشرب من هذا البحر فهو باق إلى يومنا هذا في جبل يسمى بواوند، وكان أرسطو تلميذ أفلاطون وهو أستاذ الإسكندر صاحب الإسكندر في مسيره إلى مجمع البحرين، فلما وصل إلى أرض الظلمات ساروا وتبعهم نفر من العسكر وأقام الباقون في مدينة تسمى ثبت برفع الثاء المثناة والباء الموحدة وإسكان التاء المثناة من فوق وهو حد ما تطلع الشمس عليه، وكان في جملة من صاحب الإسكندر من عسكر الخضر عليه السلام، فساروا مدة لا يعلمون عدها ولا يدركون أمدّها وهم على ساحل البحر، وكلما نزلوا منزلاً شربوا من الماء، فلما ملوا من طول السفر أخذوا

في الرجوع إلى حيث أقام العسكر، وقد كانوا مروا بمجمع البحرين على طريقهم من غير أن يشعروا به، فما أقاموا عنده ولا نزلوا به لعدم العلامة، وكان الخضر عليه السلام قد ألهم بأن أخذ طيراً فذبحه وربطه على ساقه، فكان يمشي ورجله في الماء، فلما بلغ هذا المحل انتعش الطير واضطرب عليه، فأقام عنده وشرب من ذلك الماء واغتسل منه وسبح فيه، فكتمه عن الاسكندر وكتب أمره إلى أن خرج، فلما نظر أرسطو إلى الخضر عليه السلام علم أنه قد فاز من دونهم بذلك، فلزم خدمته إلى أن مات واستفاد من الخضر هو والاسكندر علوماً جمة (ص 117).

ويستطرد الجيلي شارحاً له عن طريق كشوفاته وهذياته فيقول:

"واعلم أن الخضر عليه السلام قد مضى ذكره فيما تقدم، خلقه الله تعالى من حقيقته (ونفخت فيه من روحي) فهو روح الله، فلهذا عاش إلى يوم القيامة، اجتمعت به وسألته، ومنه أروي جميع ما في هذا البحر المحيط (جميع الصوفية يزعمون أن كل ما ينقلونه من علومهم يسمعون من الخضر، وقد زاد الجيلي أن الخضر مخلوق من روح الله.. ولا يعلم هذا الجاهل أن آدم هو الذي أمر الله جبريل أن ينفخ فيه وجبريل هو روح الله وليس الخضر خلقاً خاصاً).

واعلم أن هذا البحر المحيط المذكور، وما كان منه منفصلاً عن جبل (ق) مما يلي الدنيا فهو مالح وهو البحر المذكور، وما كان منه متصلاً بالجبل فهو وراء المالح، فإِنَّه البحر الأحمر الطيب الرائحة وما كان من وراء جبل (ق) متصلاً بالجبل الأسود فإِنَّه البحر الأخضر، وهو من الطعم كالسم القاتل، ومن شرب منه قطرة هلك، وفني لوقتته، وما كان منه وراء الجبل يحكم الانفصال والحيطة والشمول بجميع الموجودات فهو البحر الأسود الذي لا يعلم له طعم ولا ريح ولا يبلغه أحد، بل وقع به الأخبار، فعلم وانقطع عن الآثار فكتم.

وأما البحر الأحمر الذي نشره كالمسك الأنفّر فإِنَّه يعرف بالبحر الأسمى
 ذي الموج الأسمى، رأيت على ساحل هذا البحر رجالاً مؤمنين، ليس لهم
 عبادة إلا تقريب الخلق إلى الحق، قد جبلوا على ذلك، فمن عاشرهم أو
 صاحبهم عرف الله بقدر معاشرتهم، وتقرب إلى الله بقدر معاشرتهم،
 وجوههم كالشمس الطالع والبرق اللامع، يستضيء بهم الحائر في تيهات
 القفار، ويهتدي بهم التائه في غيابات البحار، إذا أرادوا السفر في هذا
 البحر نصبوا شركاً لحيتانه، فإذا اصطادوا ركبوا عليها لأن مراكب هذا
 البحر حيتانه، ومكتسبه لؤلؤه ومرجانه، ولكنهم عند أن يستووا على ظهر
 هذا الحوت ينتعشون بطيب رائحة البحر فيغنى عليهم، فلا يفكرون إلى
 أنفسهم، ولا يرجعون إلى محسوسهم ما داموا راكبين في هذا البحر،
 فتسير بهم الحيتان إلى أن يلخنوا حدها من الساحل، فتقف بهم في منزل
 من تلك المنازل، فإذا وصلوا إلى البر وخرجوا من ذلك البحر، رجعت إليهم
 عقولهم، وبن لهم محصولهم فيظفرون بعجائب وغرائب لا تحصر، أقل ما
 يعبر عنها، بأنها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"
 (ص118) .

وفي ختام هذا الهذيان يقول الجيلي:

"وأما البحر السابع فهو الأسود القاطع، لا يعرف سكوته، ولا يعلم
 حيتانه، فهو مستحيل الوصول غير ممكن الحصول، لأنه وراء الأطوار
 وآخر الأكوار والأكوار، لا نهاية لعجائبه، ولا آخر لغرائبه، قصر عنه
 المدى فطال، وزاد على العجائب حتى كآته المحال، فهو بحر الذات الذي
 حارت دونه الصفات، وهو المعنوم الموجود والموسوم والمفقود والمعنوم
 والمجهول والمنقول والمحتوم والمعقول، وجوده فقدانه، أوله محيط بآخره
 وباطنه مستو على ظاهره، لا يدرك ما فيه، ولا يعطيه أحد فيستوفيه،
 فلنقبض الغنان عن الخوض فيه والبيان (والله يقول الحق وهو يهدي
 السبيل) وعليه التكلان" (ص118)

وهكذا يكون الهذيان مختوماً بقوله تعالى:

{وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ} الأحزاب 4..

أعرفتم الحق الذي يدعونا إليه الجيلي ومن على شاكلته من هؤلاء الملاحدة والزنادقة؟ إنه هذا الهذيان الذي لا أول له ولا آخر. ما الذي يريده هؤلاء الملاحدة؟!

وقد يسأل سائل: وما الذي يريده هؤلاء من تأليف هذه الكتب، ونشر هذا الجنون والهذيان؟! ولست أنا الذي سأجيب عن هذا السؤال، وإنما سأثبت الجواب من كلام الجيلي نفسه. إنه يقول بالنص:

"اعلم أن الله تعالى إنما خلق جميع الموجودات لعبادته، فهم مجبولون على ذلك مفطورون عليه من حيث الأصلية، فما في الوجود شيء إلا هو بعد الله بحاله ومقاله وفعاله، بل بذاته وصفاته، فكل شيء في الوجود مطيع لله تعالى، لقوله تعالى للسموات والأرض:

{إِنِّي طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} فصلت 11

وليس المراد بالسموات إلا أهلها، ولا بالأرض إلا سكانه. وقال تعالى {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} ثم شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم أنهم يعبدونه بقوله (كل ميسر لما خلق له) لأن الجن والإنس مخلوقون لعبادته وهم ميسرون لما خلقوا له، فهم عباد الله بالضرورة، ولكن تختلف العبادات لاختلاف مقتضيات الأسماء والصفات، لأن الله تعالى متجل باسمه المضل، كما هو متجل باسمه الهادي، فكما يجب ظهور أثر اسمه المنعم، كذلك يجب ظهور أثر اسمه المنتقم. واختلاف الناس في أحوالهم لاختلاف أرباب الأسماء والصفات، قال تعالى: {كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً} يعني عباد الله مجبولون على طاعته من حيث الفطرة الأصلية، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ليحيده من اتباع الرسل من حيث اسمه

المضل، فاختلف الناس واختلفت الملل وظهرت النحل، وذهبت كل طائفة إلى ما علمته أنه صواب.

ولو كان ذلك العلم عند غيرها خطأ ولكن حسنه الله عندها ليعبدوه من الجهة التي تقتضيها تلك الصفة المؤثرة في ذلك الأمر، وهذا معنى قوله:

{مَا مِنْ دَآيَةٍ إِلَّا هُوَ أَخَذَ بِنَاصِيَتِهَا} هود 56

فهو الفاعل بهم على حسب ما يريد مريده، وهو عين ما اقتضته صفاته، فهو سبحانه وتعالى يجزيهم على حسب مقتضى أسمائه وصفاته، فلا ينفعه إقرار أحد بربوبيته ولا يضره جحود أحد بذلك، بل هو سبحانه وتعالى يتصرف فيهم على ما هو مستحق لذلك من تنوع عباداته التي تنبغي لكامله، فكل من في الوجود عابد لله تعالى، مطيع لقوله تعالى:

{وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم}،

لأن من تسبيحهم ما يسمى مخالفة ومعصية وجحوداً وغير ذلك، فلا يفقه كل أحد، ثم إن النفي إنما وقع على الجملة، فصح أن يفقه البعض؛ لقوله **{ولكن لا تفقهون تسبيحهم}** يعني من حيث الجملة، فيجوز أن يفقه بعضهم" (ص120).

وبعد أن يذكر الجيلي طوائف الناس ومثلهم يقول :

"فكل هذه الطوائف عابدون لله تعالى كما ينبغي أن يعبد لأنه خلقهم لنفسه لا لهم فهم له كما يستحق ثم إنه سبحانه وتعالى أظهر في هذه الملل حقائق أسمائه وصفاته فتجلى في جميعها بذاته فعبدته جميع الطوائف" (ص122).

ويشرح هذا المعنى تفصيلاً فيقول:

"فأما الكفار فبأنهم عبدوه بالذات، لأنه لما كان الحق سبحانه وتعالى حقيقة الوجود بأسره والكفار من جملة الوجود وهو حقيقتهم فكفروا أن يكون لهم رب لأنه تعالى حقيقتهم ولا رب له بل هو الرب المطلق، فعبدوه

من حيث ما تقتضيه ذواتهم التي هو عينها (وما دام أنهم في زعمه وكفره هم عين الله فهم ينفذون لثبته وأمره بل هم الله فلا حاجة بهم إلى أن يعلموا ذلك أو لا يعلموه. وبالتالي فكفرهم ببله غيرهم وخارج عن طبيعتهم هو عين الإيمان وعين الحق في نظر الجيلي الزنديق ومن على شاكلته من هؤلاء الملاحدة الذين لم تعرف الأرض أفجر ولا أكفر منهم).

ثم من عبد منهم الوثن فلسر وجوده سبحانه بكماله بلا حلول ولا مزج في كل فرد من أفراد ذوات الوجود، فكان تعالى حقيقة تلك الأوثان التي يعبدونها فما عبدوا إلا الله" (ص122).

وأظن أنه ليس هناك عبارة أصرح وأوضح من هذه العبارات تبين المقصود والمآل الذي يرمى المتصوفة والوصول إليه.

ويستطرد الجيلي مبيناً عقائد الناس وأنهم جميعاً على حق. فيقول عن اليهود :

"وأما اليهود فإنهم يتعبدون بتوحيد الله تعالى ثم بالصلاة في كل يوم مرتين.. ويتعبدون بالاعتكاف يوم السبت، وشرط الاعتكاف عندهم أن لا يدخل في بيته شيئاً مما يتمول به، ولا مما يؤكل، ولا يخرج منه شيئاً، ولا يحدث فيه نكاحاً ولا بيعاً ولا عقداً، وأن يتفرغ لعبادة الله تعالى لقوله تعالى في التوراة:

(أنت وعبدك وأمتك لله تعالى في يوم السبت)، فلأجل هذا حرم عليهم أن يحدثوا في يوم السبت شيئاً مما يتعلق بأمر دنياهم، ويكون مأكوله مما جمعه يوم الجمعة، وأوله عندهم إذا غربت الشمس من يوم الجمعة، وآخره الاصفرار من يوم السبت.

وهذه حكمة جليلة؛ ثاب النور تعالى خلق السماوات والأرضين في ستة أيام، وابتدأها في يوم الأحد ثم استوى على العرش في اليوم السابع وهو يوم السبت، فهو يوم الفراغ، فلأجل هذا عبد الله اليهود بهذه العبادة في

هذا اليوم إشارة إلى الاستواء الرحماني وحصوله في هذا اليوم فافهم" (ص127).

ثم يقول مادحاً النصارى كذلك فيقول:

"وأما النصارى فإتّهم أقرب من جميع الأمم الماضية إلى الحق تعالى، فهم دون المحمديين، سببه أنهم طلبوا الله تعالى فعبّده في عيسى ومريم وروح القدس، ثم قالوا بعدم التجزئة، ثم قالوا بمقدمه على وجوده في محدث عيسى وكل هذا تنزيه في تشبيهه لائق بالجناب الإلهي".

أي أن فعل النصارى هذا من تشبيه الله بخلقه ومن عبادة الثلاث ومن اتّخذ أرباب مع الله كل ذلك لائق في عقيدة عبد الكريم الجيلي ولكنه يراهم أيضاً مقصرون لأنهم حصروا الله في ثلاث نقط، والله عنده لا ينحصر في ثلاثة لأن كل موجود هو الله.

هذه هي الغاية التي يسعى هؤلاء الزنادقة سعياً حثيثاً إليها. إنها التسوية بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والكفر والإيمان، وإبليس وجبريل، ومحمد صلى الله عليه وسلم وأبو جهل، والخمر والماء، والأخت والأجنبية، والزواج والزنا واللواط، والقتل ظلماً والرحمة، والتوحيد والشرك، فلا ضلال في الأرض إلا في نظر القاصرين فقط، وأما العارفون فكل هذه الموجودات شيء واحد بل ذات واحدة تعدت وجوداتها، وتعدت أشكالها وألوانها وهي حقيقة واحدة، وبهذا الدين الذي لم تعرف البشرية أظلم ولا أفجر ولا أكفر منه، اعتقد هؤلاء الزنادقة وألبسوا هذا الدين الفاجر آيات القرآن وأحاديث النبي الكريم، ووصفوا أنفسهم بأنهم خير الناس وأعلمهم وأتقاهم، وهذه هي حالهم في الظلم والكفر والفجور، وهدم دين الإسلام وإحلال شرائع الشيطان مكان شريعة الرحمن، وطمس صفات الله ونوره سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وأستغفر الله من نقل هذا الكفر وتسطيره. فإنه كفر لم نقله لليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا الصابئة.. ورحم الله الإمام عبد الله بن المبارك الذي كان

يقول: إنا لنحكي كفر اليهود والنصارى ونستعظم أن نحكي كفر الجهمية..
فكيف لو رأى كفر هؤلاء الصوفية الملاحدة ماذا كان يقول في ذلك؟
حقاً إن هذا شيء عظيم ولكننا مضطرون أن نذكر كفرهم لندحضه
وننبينه للناس ليحذرون بعد أن عم شرهم البلاد والعباد، وبعد أن اغتر بهم
جمع غفير من المسلمين، فظنوا أن الحق مع هؤلاء فاتبعواهم حتى
صرفوهم عن دين الرسول صلى الله عليه وسلم وأوصلوهم إلى هذه
النهاية المزرية التي يستحيل على الإنسان إذا وصلها أن يميز بين خير
وشر، وهدى وضلالة، لأن كل هذه الأضداد ستكون عنده شيئاً واحداً.

ومع ذلك فإن الجيلي يستطرد في هذا الباب شارحاً مراده تماماً فيقول:
"ولم يفتقر في ذلك إلى علمهم، ولا يحتاج إلى نيتهم، لأن الحقائق ولو
ظل إخفاؤها لا بد أن تظهر" يعني أن الله لا يحتاج أن يعلم الكافر به ما
دام أن وجود هذا الكافر هو وجود الله، وأن هذه الحقيقة لا بد وأن تظهر
للعين يوماً ما..

مركز تحقيق مكتبة نور

ويمضي الجيلي شارحاً معتقده فيقول..

وأما الطباعية فبهم عبوده من حيث صفاته الأربع..، لأن أربعة
الأوصاف الإلهية.. التي هي الحياة والعلم والقدرة والإرادة أصل بناء
الوجود فالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة مظاهرها في عالم الأكوان،
فالرطوبة مظهر الحياة، والبرودة مظهر العلم، والحرارة مظهر الإرادة،
واليبوسة مظهر القدرة. وحقيقة هذه المظاهر ذات الموصوف بها سبحانه
وتعالى.. فعبدت هذه الطبائع لهذا السر فمنهم من علم ومنهم من جهل
العالم سابق، والجاهل لاحق فهم عابدون للحق من حيث الصفات، ويؤول
أمرهم إلى السعادة كما آل أمر من قبلهم إليها بظهور الحقائق التي بنى
أمرهم عليها" (ص 123-124).

وهكذا يقرر الجيلي أن الفلاسفة الطباعيين الذين قالوا برجوع الطبيعة
إلى العناصر الأربعة هم عابدون لله شأؤوا أم أبوا، علموا أم جهلوا، وأن

أمرهم إلى السعادة الأبدية. ويستدل لهذا الكفر الشنيع أيضاً بالقرآن فيقول:
والدليل من القرآن أن الله قال في الأحزاب المختلفين:

{كل حزب بما لديهم فرحون} فيقول:

"إن فرحهم هذا في الدنيا والآخرة، فكل حزب يفرح بما عنده في الدنيا،
ويفرح به أيضاً في الآخرة عندما يطلع الجميع أنه لا ثمة إلا الله وأنهم
جميعاً مظاهر للذات الإلهية، ونيسوا شيئاً خارجاً عنها".

ويستطرد الجيلي في شرح كفره وفجوره فيقول:

"وأما الثنوية فبأنهم عبدوه من حيث نفسه تعالى، لأنه تعالى جمع
الأضداد بنفسه، فشمّل المراتب الحقيقة والمراتب الخلقية، وظهر في
الوصفين بالحكمين، وظهر في الدارين بالنعتين، فما كان منسوباً إلى
الحقيقة الحقيقة فهو الظاهر في الأنوار وما كان منسوباً إلى الحقيقة
الخلقية فهو عبارة عن الظلمة، فعبدوا النور والظلمة لهذا السر الإلهي
الجامع للوصفين والضدين والاعتبارين والحكمين كيف شئت من أي حكم
شئت، فبأنه سبحانه يجمعه وضده بنفسه".

فالثنوية عبدوه من حيث هذه اللطيفة الإلهية مما يقتضيه في نفسه
سبحانه وتعالى، فهو المسمى بالحق، وهو المسمى بالخلق، فهو النور
والظلمة" (ص125)

بهذا الوضوح شرح الجيلي مذهب الفلاسفة الصوفية الزنادقة الملاحدة،
وبهذا التفصيل والبيان يستطرد أيضاً قائلاً:

"وأما المجوس فبأنهم عبدوه من حيث الأحدية، فكما أن الأحدية مفنية
لجميع المراتب والأسماء والأوصاف، كذلك النار فبأنها أقوى الاستقصاءات
وأرفعها، فبأنها مفنية لجميع الطبائع بمحالاتها، لا تقاربها طبيعة إلا
تستحيل إلى النارية لغلبة قوتها، فكذلك الأحدية لا يقابلها اسم ولا وصف
إلا يندرج فيها ويضمحل، فلهذه اللطيفة عبدوا النار وحقيقتها ذاتها
وتعالى".

فيجعل المجوس قسماً غير الثنوية والمعلوم أنهم قسم واحد فالثنوية القائلون بالنور والظلمة وإله للخير وإله للشر هم أيضاً المجوس عبدة النار التي يجعلونها ستاراً وعلامة لإلههم إله الخير في زعمهم ولكن الجيلي الملحد يجعل هؤلاء أيضاً عبدة النيران من أهل الحق والتوحيد وأن عبادتهم للنار حق أقوى العناصر وأرفعها ويقول والنار حقيقتها ذات الله تعالى. ويمدح الجيلي المجوس فيقول:

"قلما انتشقت مشام أرواح المجوس لعطر هذا المسك زكمت عن شمه
سواه فعبدوا النار وما عبدوا إلا الواحد القهار" (ص126).

فأي تصريح عن عقائد القوم أبلغ من هذا..

ثم يقول: "وأما الدهرية (أي الاسم) فبأنهم عبوده من حيث الهوية (الدهرية: هم القائلون بأنه لا إله والحياة مادة فما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع واسمهم هذا مأخوذ من قوله تعالى

{وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا
الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون} الجاثية: 24

فقال عليه الصلاة والسلام: (لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر)"

قلت: هذا إبليس والزنادقة لم يصل إلى هذا الحد في الكفر فالمقصود بقول رسول الله (إن الله هو الدهر) هو أنه سبحانه وتعالى مقدر المقادير؛ فسب الأيام سب لله لأنه هو مقدر المقادير سبحانه وتعالى والزمان لا دخل له في ذلك. فنهانا الرسول صلى الله عليه وسلم عن سب الزمان لأن هذا من ثم يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى. وليس مقصود الرسول حتماً أن الله هو الزمان لأن الله جل وعلا هو خالق الزمان والمكان والخالق غير المخلوق. وأما الدهرية فبأنهم لا يؤمنون بالله أصلاً والجيلي يجعل هؤلاء الملاحدة عباداً لله ...

الجنيد

الجنيد بن محمد بن الجنيد النهلوندي ثم البغدادي القواريري والده الخزاز، هو شيخ للصوفية ولد سنة نيف وعشرين ومئتين، وتفقه على أبي ثور، وسمع من السري السقطي وصحبه ومن الحسن بن عرفة وصحب أيضاً الحارث المحاسبي، وأبا حمزة البغدادي، وأتقن العلم. قال أحمد بن عطاء: كان الجنيد يفتي في حلقة أبي ثور.

العمل والعبادة:

وكان يعمل في سوقه، وورده كل يوم ثلاث مئة ركعة، وكذا كذا ألف تسبيحة.

وكان يفتح حاتوته ويدخل فيسبل أربع مئة ركعة.

العلم والتركيب:

وكان يقول: علمنا مضبوط بالكتاب والسنة، من لم يحفظ الكتاب، ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به.

وكان يقول: علمنا مشبك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعن أبي القاسم الكعبي أنه قال مرة:

رأيت لكم شيخاً ببغداد، يقال له الجنيد ما رأيت عيناى مثله، كان الكتابة (يعني البلغاء) يحضرونه لألفاظه، والفلاسفة يحضرونه لدقة معانيه، والمتكلمون يحضرونه لزمام علمه، وكلامه باتن عن فهمهم وعلمهم.

وقال الخلدی:

لم نر في شيوخنا من اجتمع له علم الجنيد، كانت له حال خطيرة، وعلم غزير، إذا رأيت حاله رجحته على علمه، وإذا تكلم رجحت علمه على حاله.

وقال أبو محمد المرتضى:

قال الجنيد: كنت بين يدي السري ألعب وأنا ابن سبع سنين فتكلموا في الشكر، فقال: يا غلام ما الشكر؟ قلت: أن لا يعصى الله بنعمه. فقال: أخشى أن يكون حظك من الله لسانك. قال الجنيد: فلا أزال أبكي على قوله.

وكان يقول: أعلى الكبر أن ترى نفسك، وأدناه أن تخطر ببالك — يعني نفسك.

وكان يقول:

أعطي أهل بغداد الشطح والعبارة، وأهل خراسان القلب والسقاء، وأهل البصرة الزهد والقناعة، وأهل الشام الحلم والسلامة، وأهل الحجاز الصبر والإنابة.

وكان يقول: ما أخذنا التصوف عن القال والقال، بل عن الجوع وترك الدنيا، وقطع المألوفات.

قال الإمام الذهبي:

هذا حسن ومراده قطع أكثر المألوفات، وترك فضول الدنيا، وجوع بلا إفراط، أما في الجوع كما يفعله الرهبان، ورفض سائر الدنيا، ومألوفات النفس من الغذاء والنوم والأهل، فقد عرض نفسه لبلاء عريض، وربما خولط في عقله، وفاته بذلك كثير من الحنفية السمحة، وقد جعل الله لكل شيء قدراً، والسعادة في متابعة السنن، فزن الأمور بالعدل، وصم وأفطر ونم وقم، ولزم الورع في القوت، وارض بما قسم الله لك، واصمت إلا من خير، فرحمة الله على الجنيد، وأين مثل الجنيد في علمه وحاله.

مختصر بتصريف. (سير أعلام النبلاء: 14-66).

أحمد بن هلال الحسائي

قال ابن حجر الصقلاني في لسان الميزان:

(أحمد بن هلال الحسائي الصوفي نزيل حلب أحد زنادقة الوقت، ولد بعد السبعين ونشأ بدمشق وقدم حلب على رأس القرن.

صحب الأتباعي ثم انقطع، فتردد إليه بعض الناس، وعقد التاموس وصار يدعي دعاوى عريضة منها أنه مجتهد مطلق ويطلق لسانه في كبار الأئمة، وأنه مطلع على الكائنات، ولا يعتني بعبادة ولا مواظبة على الجماعة.

وكان يدعي أنه يأخذ من الحضرة، وأنه نقطة الدائرة، ونقل عنه أتباعه كفريات صريحة، وسمع شخصاً ينشد قصيدة نبوية فقال: (نقصتم منزلتي).

وزعم أنه يجتمع بالأنبياء كلهم في اليقظة، وأن الملائكة تخاطبه في اليقظة، وأنه عرج به إلى السماوات، وكان يقول: أعطي موسى مقام التكليم، وأعطي محمد مقام التكميل، وأنه هو أعطي المقامين معاً، إلى غير ذلك مما ذاع واشتهر.

واشتدت الفتنة به، وقام عليه جماعة، وتعصب له بعض الأكابر، وكثر أتباعه وعظم بهم الخطب إلى أن مات في تسع عشر شوال سنة ثلاث وعشرين وثمان مائة).

(لسان الميزان: 1-320).

الحسين بن منصور الحلاج

هو الحسين بن منصور بن محمي الحلاج، صاحب جماعة من المشايخ الصوفية كالجنيد بن محمد وعمرو بن عثمان المكي وأبي الحسين النوري، وكان بعض مشايخ الصوفية أمثال أبو العباس بن عطاء البغدادي، ومحمد بن خفيف الشيرازي، وإبراهيم بن محمد النصر أبلادي، يصححوا له حاله، ويدونوا كلامه، حتى قال ابن خفيف:

الحسين بن منصور عالم رباني.

قال أبو عبد الرحمن السلمي:

سمعت إبراهيم ابن محمد النصر أبلادي وعوتب في شيء حكى عن الحلاج في الروح فقال للذي عاتبه: إن كان بعد النبيين والصديقين موحد فهو الحلاج.

قال أبو عبد الرحمن: *مركز تحقيقات كويتية علوم إسلامية*

وسمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الشبلي يقول:

كنت أنا والحسين بن منصور شيئاً واحداً، إلا أنه أظهر وكتمت. وقد روي عن الشبلي من وجه آخر أنه قال وقد رأى الحلاج مصلوباً: ألم أتك عن العالمين؟.

ومما يدل على أنه كان ذا حلول في بدء أمره أشياء كثيرة، منها شعره في ذلك، ومنه قوله:

جبلت روحك في روعي كما يجبل الغنير بالمسك الفنق
فإذا مسك شيء مسني وإذا أنت أنا لا نفترق
وقوله:

مزجت روحك في روعي كما تمزج الخمرة بالماء الزلال

فإذا مسك شيء مسني فإذا أنت أنا في كل حال
وقوله أيضا:

قد تحققتك في سري فخطبك لساني
فاجتمعنا لمعان وافترقنا لمعان
إن يكن غيبتك التعظيم عن لحظ العيان
فلقد صيرك الوجد من الأحشاء دان

وقال أبو عبد الرحمن السلمي عن عمرو بن عثمان المكي أنه قال:
كنت أماشي الحلاج في بعض أزقة مكة وكنت أقرأ القرآن فسمع قراءتي
فقال:

(يمكنني أن أقول مثل هذا). ففارقته.

قال الخطيب وحدثني مسعود بن ناصر أنه لما ابن باكوا الشيرازي سمعت
أبا زرعة الطبري يقول الناس فيه يعني حسين بن منصور الحلاج بين
قبول ورد ولكن سمعت محمد بن يحيى الرازي يقول سمعت عمرو بن
عثمان بلغه ويقول لو قدرت عليه لقتلته بيدي فقلت له إيش الذي وجد
الشيخ عليه قال قرأت آية من كتاب الله فقال يمكنني أن أولف مثله وأتكلم
به.

قال أبو زرعة الطبري وسمعت أبا يعقوب الأقطع يقول زوجت ابنتي من
الحسين الحلاج لما رأيت من حسن طريقته واجتهاده فبان لي منه بعد مدة
يسيرة أنه ساحر محتال خبيث كافر.

ونذكر أبو القاسم القشيري في رسالته في باب حفظ قلوب المشايخ أن
عمرو بن عثمان دخل على الحلاج وهو بمكة وهو يكتب شيئاً في أوراق.
فقال له: ما هذا؟ فقال: هو ذا أعارض القرآن. قال فدعا عليه فلم يفلح
بعدها، وأنكر على أبي يعقوب الأقطع تزويجه إياه ابنته.

وكتب عمرو بن عثمان إلى الآفاق كتباً كثيرة بلغه فيها ويحذر الناس منه فشرّد الحلاج في البلاد فعث يميناً وشمالاً وجعل يظهر أنه يدعو إلى الله ويستعين بأنواع من الحيل ولم يزل ذلك دأبه وشأنه حتى أحل الله به باسمه الذي لا يرد عن القوم المجرمين فقتله بسيف الشرع الذي لا يقع إلا بين كتفي زنديق والله أعلم من أن يسلطه على صديق كيف، وقد تهجم على القرآن العظيم وقد أراد معارضته في البلد الحرام حيث نزل به جبريل وقد قال تعالى ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم. ولا إلحاد أعظم من هذا وقد أشبه الحلاج كفار قريش في معاندتهم كما قال تعالى عنهم:

(وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين).

(البداية والنهاية: 11-132)

ولهذا فقد كان القدماء من الصوفية يذكرون أقواله في كتبهم دون ذكر اسمه، بأن يقولوا مثلاً: قال أحد الكبراء، (وهذا صنيع أبي بكر محمد الكلاباذي الذي ألف الموسوعة الصوفية الثانية بعد اللمع، وهو كتابه (التعرف على مذهب أهل التصوف)

وكذلك صنيع السراج الطوسي صاحب الموسوعة الصوفية الأولى (اللمع) وقد استشهد بكلام الحلاج في أكثر من خمسين موضعاً من كتابه مصدراً القول بقوله: قال بعضهم، أو قال القائل)

وفي القرن الخامس وما يليه ابتدأ بعض المتصوفة بصرحون باسمه، ويذكرون مقالاته، ويشهدون بفضله وسعته، فقد أشاد به أبو حامد الغزالي، وابن عربي، وعبد الغني النابلسي، وكل المتصوفة منذ القرن الخامس. وأما في العصر الحديث فقد كتب فيه طه عبد الباقي سرور كتاباً بعنوان: (الحلاج شهيد التصوف الإسلامي).

كل تلك رغم أنه قد أقيمت عليه البينة الشرعية، وقتل مرتدّاً سنة

(309هـ)

قال الإمام الذهبي:

(كانت له بداية جيدة وتآله وتصوف، ثم اتسلخ من الدين).

(سير أعلام النبلاء: 327/14).

وقال أبو حيان الأندلسي صاحب التفسير، في سورة المائدة عند قوله تعالى:

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ المائدة 17

(صفحة: 142-143): (ومن بعض اعتقاد النصارى استنبط من أقر

بالإسلام ظاهراً، وانتمى إلى الصوفية، حلول الله في الصور الجميلة،

وذهب من ذهب من ملاحظتهم إلى القول بالاتحاد والوحدة، كالحلّاج،

والشعوذي، وابن أبي، وابن عربي المقيم بدمشق، وابن الفارض، وأتباع

هؤلاء كلهم سبعين). وعد جماعة ثم قال: (وإنما سررت هؤلاء نصحاء لدين

الله وشفقة على ضعفاء المسلمين).

أحمد الفاروقي السرهندي

يعتبر أحمد الفاروقي السرهندي من أكابر رجال الطريقة النقشبندية، حتى إن بعضهم قد نسب الطريقة في إحدى مراحلها إليه فسميت بالطريقة الفاروقية، وهو عند الصوفية مجدد الألفية الأولى.

وسوف نعرف بهذا الرجل من أقواله ومكتوباته الموثقة، ليظهر لنا مدى غلو وانحراف الصوفية عن الشرع والعقيدة.

يقول السرهندي عن نفسه:

(إن معتقد الفقير — يقصد نفسه — من الصغر كان مشرب أهل التوحيد الوجودي يعني توحيد الوجود وكان والد الفقير قدس سره في ذلك المشرب بحسب الظاهر، وكان مشغولاً بهذا الطريق على سبيل الدوام مع وجود حصول التوجه التام بحسب الباطن إلى مرتبة اللاكيفية، وبحكم ابن الفقيه نصف الفقيه، كان للفقير أيضاً حظ وافر من هذا المشرب بحسب العلم، وحصلت لي منه لذة عظيمة إلى أن أوصلني الله بمحض كرمه إلى جناب حضرة معدن الإرشاد مظهر الحقائق والمعارف مؤيد الدين الرضي شيخنا ومولانا وقبلتنا محمد الباقي قدسنا الله بسره، فعظم الفقير الطريقة النقشبندية، وبذل التوجه البالغ في حق هذا المسكين فتكشف التوحيد الوجودي في مدة يسيرة بعد ممارسة هذه الطريقة العلية. ولاحت بقلبي علوم الشيخ محي الدين بن عربي ومعارفه، وشرفت بالتجلي الذاتي الذي بينه صاحب الفصوص، واعتقد أنه نهاية العروج، وقال في حقه: وما بعد هذا إلا العدم المحض).

(مكتوبات السرهندي: الصفحة: 41، المكتوب: 31). دار الكتب العلمية.

قلت: وقد بين السرهندي أنه تراجع فيما بعد عن القول بوحدة الوجود، كما في آخر المكتوب: 31.

وقال السرهندي:

(قد مضت مدة من استفسار الأصحاب عن أحوال الخضر على نبينا وعليه الصلاة والسلام، ولما لم يكن للفقيه اطلاع على أحواله كما ينبغي، كنت متوقفاً في الجواب، فرأيت اليوم في حلقة الصبح أن إلياس والخضر عليهما السلام، حضرا في صورة الروحانيين، فقال الخضر بالإلقاء للروحاني: نحن من عالم الأرواح، قد أعطى الحق سبحانه أرواحنا قدرة كاملة بحيث تتشكل وتتمثل بصور الأجسام ويصدر عنها ما يصدر عن الأجسام من الحركات والسكنات الجسمانية، والطاعات والعبادات الجسدية، فقلت له في تلك الأثناء:

أنتم تصلون الصلاة بمذهب الإمام الشافعي. فقال:

نحن لسنا مكلفين بالشرائع، ولكن لما كانت كفاية مهمات قطب المدار مربوطة بنا، وهو على مذهب الإمام الشافعي، نصلي نحن أيضاً وراءه بمذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه.

فعلم في ذلك الوقت أنه لا يترتب الجزاء على طاعتهم، بل تصدر عنهم الطاعة والعبادة موافقة لأهل الطاعة، ومراعاة لصورة العبادة، وعلم أيضاً أن كمالات الولاية موافقة لفقهاء الشافعي، وكمالات النبوة، موافقة للفقهاء الحنفي، فعلم في ذلك الوقت حقيقة كلام الخوaja محمد باريسا قدس سره، حيث ذكر في الفصول الستة، نقلاً أن عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، يعمل بعد نزوله بمذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، فوقع في خاطر في ذلك الوقت أن نستمد بهما، وأن نطلب منهما الدعاء).

(مكتوبات السرهندي: للصفحة 305 ، المكتوب 282). دار الكتب العلمية.

ويقول السرهندي:

(واعلم أن جميع من في العالم من كفر الإفرنج والزنادقة والملاحدة أفضل مني بوجوه، وشر الجميع أنا).

(مكتوبات السرهندي للصفحة 17 المكتوب 11). دار الكتب العلمية.

ويقول السرهندي بعد النقل السابق:

(ولما وصلت إلى المقام الذي فوق المقام السابق، بعد التوجه بالإكسار وإظهار الافتقار، تبين لي أنه مقام حضرة ذي التورين رضي الله عنه، وللخلفاء السابقين عبور من ذلك المقام، وهذا المقام مقام التكميل والإرشاد أيضاً في هذه المرتبة، وكذلك المقامان اللذان يذكران بعد، ثم وقع النظر على مقام فوقه، ولما وصلت إليه تبين لي أنه مقام حضرة الفاروق رضي الله عنه، وللخلفاء السابقين عبور من ذلك المقام، ثم ظهر فوقه مقام الصديق الأكبر رضي الله عنه، ووصلت إليه أيضاً، وجدت الخواجة بهاء الدين النقشبند قدس سره رفيقاً لي من بين المشايخ في جميع المقامات، ولما سائر الخلفاء عبور من هذا المقام، لا تغلوت إلا في العبور والمقام والمرور والثبات، ولا يرى فوقه مقام أصلاً إلا مقام خاتم النبيين والمرسلين عليه من الصلوات أكملها ومن التحيات أتمها).

(مكتوبات السرهندي الصفحة 17 المكتوب 11). دار الكتب العلمية.

مركز بحوث ودراسات إسلامية

شمس الدين سومطراتي

هو شمس الدين بن عبد الله سومطراتي، ولد في عائلة علم، في العقد الأخير من القرن السادس عشر الميلادي. وهو شيخه حمزة فنصوري راقدا للتصوف للذان اتبعا مذهب وحدة الوجود.

(الموسوعة الإسلامية الإندونيسية، (ص:890).

ونسبته سومطراتي تدل على أنه من سومطرا، جزيرة من الجزر الكبيرة في إندونيسيا. أما رحلاته العلمية فلم تعرف، اللهم إلا أنه بجانب أن أخذ عن شيخه حمزة فنصوري فإنه سافر إلى جزيرة جاوا، وأخذ عن سونان بونتج.

(تطور علم التصوف وأعلامه في نوماتلرا، (ص:40).

لكن الروايات الموجودة تؤكد أنه عالم من العلماء الكبار، "ولذلك فقد عين مفتياً للسلطنة في عهد علام الدين رعاية شاه الرابع الذي تولى السلطة في أثنائه عام (997هـ) إلى عام (1011هـ) رغم أن عقيدته الوجودية غير متبعة لدى السلطنة.

(الشعبة وأهل السنة تخطفوا النفوذ والسلطة، (ص:53).

واستمر على منصبه كمفتي السلطنة إلى أن توفي في عهد السلطان إسكندر مودا الذي حكم عام (1016) إلى عام (1045هـ).

(نفس المرجع، (ص:53).

توفي عام (1039هـ).

(الموسوعة الإسلامية الإندونيسية، (ص:890).

أما عقيدته في التصوف فكما سبق أنه مثل شيخه يعتبر من المتصوفة الذين نحوا نحو عقيدة وحدة الوجود، إلا أنه يختلف عن شيخه في كونه ليس شاعراً رغم أنه كاتب منتج، كما أنه فاق شيخه في مجال السياسة؛ فإنه سياسي بارع في زمانه.

كما يختلف أيضاً عن شيخه الذي عرف نفسه في بعض أبياته - كما سبق - أنه قادري الطريقة، فإن شمس الدين سومطراتي لم يعرف أنه انتسب إلى طريقة معينة من الطرق الصوفية.

قال في كتابه (تنبيه الطلاب)... وذلك الذكر ينقسم إلى قسمين: حقيقي وغير حقيقي. أما الذكر الحقيقي فهو شهود الحق سبحانه وتعالى بعين القلب في هذه الدار، وأما غير الحقيقي فينقسم إلى قسمين: ذكر جلي وذكر خفي، أما الذكر الجلي فهو الذي يتلفظ بـ"لا إله إلا الله في اللسان، وأما الذكر الخفي فهو الذي يحفظ معناه في القلب الذي هو محل مشاهدته تعالى؛ لأن القلب يطلق على معنيين أحدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجنب الأيسر من الصدر، وثانيهما أنه لطيف رباني روحاني متعلق بذلك القلب، فهو المسمى بحقيقة الإنسان، وهو الروح الإنساني، وهو محل لمشاهدته تعالى، فالقلب لما كمل استعدادة وقوي نوره بدوام الذكر المستطلي للمراقبة المستعدة للمشاهدة؛ صار مرآة للتجلي الإلهي، وهو الجمع بين البحرين وملتقى للعالمين، وإذا عرفت هذا ظهر لك سر قول الشيخ محي الدين بن عربي

وما هي أقوال ابن عربي؟ إنها عن التجلي ووحدة الوجود، وهي محفوظة في مؤلفاته، ومثال ذلك قوله:

تبارك الله الذي لم يزل يظهر فيما قد بدا من صور
قائه منشئها دائماً في كل ما يظهر أو قد ظهر

وقوله:

إن الله تجليين: تجلي غيبي وتجلي شهادة، فمن تجلى الغيب يعطي الاستعداد الذي يكون عليه انقلب، وهو التجلي الذاتي الذي الغيب حقيقته وهو الهوية التي يستحقها بقوله عن نفسه هو، فلا يزال "هو" له دائماً أبداً، إلى أن قال:

ثم رفع الحجاب بينه وبين عبده، فراه في صورة معتقده فهو عن اعتقاده، فلا يشهد القلب ولا العين أبداً إلا صورة معتقده في الحق، فالحق الذي في المعتقد هو الذي وسع القلب صورته، وهو الذي يتجلى له فيعرفه.. والشاهد أن شمس الدين سومطراتي قد تأثر بابن عربي تسليماً كبيراً في عقيدته الصوفية، وهي كما رأينا العقيدة الفلسفية الموغلة في الانحراف.

وقبل أن أنتقل إلى علم آخر أورد فيما يلي مثلاً آخر من أقواله التي تؤكد انغمسه في تلك العقيدة المنحرفة:

قال: لأن الحق سبحانه وتعالى يقوم الأشياء، وكل شيء؛ ففته في ذاته موجود بالحق، والحق تعالى موجود بذاته وبه قوامها، فهو مقومها بل هو عينها لظهره في ملابس أسمائه وصفاته في العلم والعين؛ لأنه باعتبار إطلاقه سار في نوات الموجودات، كذلك الصفات الكاملة له عين صفات جميع الموجودات؛ لأنها باعتبار إطلاقها أيضاً سارية في جميع صفات الموجودات.

على أي حال، لقد انتشرت عقيدة وحدة الوجود حينذاك بين الناس نتيجة جهود هذين العظمين، واستمر ذلك إلى أن جاء العالم الهندي إلى إندونيسيا، وهو الشيخ نور الدين الرنيري، فقد استطاع هذا الشيخ بعد أن عين مفتياً في عهد السلطان إسكندر الثاني في مملكة أتشيه، استطاع بالتعاون مع الحاكم القضاء على تلك العقيدة بعض الشيء، وذلك بإصدار الأمر بإحراق المؤلفات التي ألفها حمزة فنصوري، وشمس الدين سومطراتي.

ومن هذا العرض تبين لنا أن عقيدة ابن عربي وأمثاله، وهي العقيدة الوجودية، قد وصلت إلى إندونيسيا في وقت مبكر، وهي نفس العقيدة المنتشرة في بقية دول العالم الإسلامي.

الشيخ إبراهيم بن سعيد الشاغوري

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

(يذكر له أحوال ومكاشفات على السنة العوام ومن لا يعقل ولم يكن ممن يحافظ على الصلوات ولا يصوم مع الناس ومع هذا كان كثير من العوام وغيرهم يعتقدونه.

توفي يوم الأحد سابع جمادى الأولى، ودفن بتربة المولهيين بسفح قاسيون عند الشيخ يوسف القميني، وقد توفي الشيخ يوسف قبله بمدة وكان الشيخ يوسف يسكن إقمين حمام نور الدين الشهيد بالبزوريين وكان يجلس على النجاسات والفقر وكان يلبس ثياباً بدائية تجحف على النجاسات في الأزقة وكان له قبول من الناس ومحبة وطاعة وكان العوام يغالون في محبته واعتقاده وكان لا يصلي ولا يتقى نجاسة ومن جاءه زائراً جلس عند باب الإقمين على النجاسة وكان العوام يذكرون له مكاشفات وكرامات وكل ذلك خرافات من خرافات العوام وأهل الهذيان كما يعتقدون ذلك في غيره من المجانين والمولهيين.

ولما مات الشيخ يوسف القميني خرج خلق في جنازته من العوام وغيرهم وكانت جنازته حافلة بهم وحمل على أعناق الرجال إلى سفح قاسيون وبين يديه غوغاء وغوش كثير وتهليل وأمور لا تجوز من فعل العوام حتى جاؤا به إلى تربة المولهيين بقاسيون فدفنوه بها وقد اعتلى بعض العوام بقبره فعمل عليه حجارة منقوشة وعمل على قبره سقفاً مقرناً بالدهان وأنواعه وعمل عليه مقصورة وأبواباً وغلى فيه مغالاة زائدة ومكث هو وجماعة مجاورون عنده مدة في قراءة وتهليل ويطبخ لهم الطبخ فيأكلون ويشربون هناك)).

(البداية والنهاية 13-298).

عبد الوهاب الشعراني

عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري. توفي (973هـ) صاحب "الطبقات" الملقب بالخزي والضلال والذي أساء فيه إلى الدين إساءة بالغة. فقد قال الشعراني في الطبقات (2- 87) طبعة دار العلم للجميع: (الشيخ حسين أبو علي رضي الله عنه، كان هذا الشيخ رضي الله عنه من كمل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى، وكان كثير التطورات تدخل عليه بعض الأوقات تجده جندياً، ثم تدخل فتجده سبياً، ثم تدخل فتجده فيلاً، ثم تدخل فتجده صبيّاً وهكذا، ومكث أربعين سنة في خلوة مسدودة بابها ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء وكان يقبض من الأرض وينال الناس الذهب والفضة، وكان من لا يعرف أحوال الفقراء يقول هذا كيملوي سيملوي)).

مركز تحقيق التراث
مكتبة جامعة القاهرة

وقال أيضاً:

(فدخلوا على الشيخ فقطعوه بالسيوف وأخذوه في كيس ورموه على الكوم وأخذوا على قتله ألف دينار ثم أصبحوا فوجدوا الشيخ حسيناً رضي الله عنه جالساً فقال لهم:

غرم القمر. وكانت النمس تتبعه حيث مشى في شوارع وغيرها فسموا أصحابه بالنموسية.

وكان رضي الله عنه بريئاً من جميع ما فعله أصحابه من الشطح الذي ضربت به رقابهم في الشريعة).

وقال أيضاً في الطبقات: (2- 66) في ترجمة يوسف العجمي الكوراني: (وكان رضي الله عنه إذا خرج من الخلوة يخرج وعيناه كأنهما قطعة جمر تتوقد فكل من وقع نظره عليه انقلبت عينه ذهباً خالصاً، ولقد وقع

بصره يوماً على كلب فاتقادت إليه جميع الكلاب، إن وقف وقفوا وإن مشى مشوا). إلى أن قال:

(ووقع له مرة أخرى أنه خرج من خلوة الأربعين فوق بصره على كلب فاتقادت إليه جميع الكلاب، وصار الناس يهرعون إليه (إلى الكلب) في قضاء حوائجهم، فلما مرض ذلك الكلب اجتمع حوله الكلاب يبكون ويظهرون الحزن عليه، فلما مات اظهروا البكاء والعويل، وألهم الله تعالى بعض الناس فدفنوه فكانت الكلاب تزور قبره حتى ماتوا).

قال الشعراني:

(فهذه نظرة إلى كلب فعلت ما فعلت، فكيف لو وقعت على إنسان؟!!!).

وقال أيضاً في ترجمة شمس الدين محمد الحنفي (2-88):

(ومنهم سيدنا ومولانا شمس الدين الحنفي رضي الله تعالى عنه ورحمه). إلى أن قال:

(ولما ننت وفاته بأيام كان لا يغفل عن البكاء ليلاً ولا نهاراً وغلب عليه الذلة والمسكنة والخضوع حتى سأل الله تعالى قبل موته أن يبتليه بالقمل والنوم مع الكلاب، والموت على قارعة الطريق، وحصل له ذلك قبل موته فتزايد عليه القمل حتى صار يمشي على فراشه، ويدخل له كلب فنام معه على الفراش ليلتين وشيناً، ومات على طرف حوشه، والناس يمرون عليه في الشوارع).

قال: (وقال له سيدي علي بن وفا: ما تقول في رجل راح الوجود بيده بدورها كيف شاء؟).

فقال له سيدي محمد رضي الله عنه: فما تقول فيمن يضع يده عليها فيمنعها أن تدور؟).

وقال أيضاً في ترجمة أبو الخير الكلبياتي في الطبقات (2-143):

(كان رضي الله عنه من الأولياء المعتقدين وله المكاشفات العظيمة مع أهل مصر وأهل عصره، وكانت الكلاب التي تسير معه من الجن، وكانوا

يقضون حوائج الناس، ويأمر صاحب الحاجة أن يشتري للكلب منهم إذا ذهب معه لقضاء حاجته رطل لحم، وكان أغلب أوقاته واضعاً وجهه في حلق الخلاء في موضة جامع الحكم، ويدخل الجامع بالكلاب فتكر عليه بعض القضاة فقال: هؤلاء لا يحكمون باطلاً ولا يشهدون زوراً).

وقال أيضاً في الطبقات (2-144):

(ومنهم سيدي سعود المجنوب رضي الله عنه. كان رضي الله عنه من أهل الكشف التام، وكان له كلب قدر الحمار لم يزل واضعاً بوزة (فمه) على كتفه).

وقال أيضاً في ترجمة بركات الخياط (2-144):

(وكان دكته منتناً قنراً لأن كل كلب وجده ميتاً أو قطعاً أو خروفاً يأتي به فيضعه داخل الدكان وكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده)).

وقال أيضاً في الطبقات (2-184): الشيخ الصالح عبد القادر السبكي أحد رجال الله تعالى كان من أصحاب التصريف بقرى مصر رضي الله عنه: (وكان كثير الكشف لا يحجبه الجدران والمسافات البعيدة من إطلاعه على ما يفته الإنسان في قعر بيته. وخطب مرة عروساً فراها فأعجبته فتعري لها بحضرة أبيها، وقال: انظري أنت الأخرى حتى لا تقولي بعد ذلك - ثم أمسك -). عذراً ليس من صلاحيتنا أن ننشر مثل هذا الكلام.

وقال أيضاً: الشيخ علي أبو خودة الطبقات (2-135):

(وكان رضي الله عنه إذا رأى امرأة أو أمرداً راوده عن نفسه، وحسس على مقعته، سواء كان ابن أمير، أو ابن وزير، ولو كان بحضرة والده، أو غيره، ولا يلتفت إلى الناس ولا عليه من أحد).

وقال أيضاً في الطبقات (2-185):

(الشيخ شعبان المجنوب رضي الله عنه، كان من أهل التصريف بمصر المحروسة، وكان يخبر بوقائع الزمان المستقبل وأخبرني سيدي علي الخواص رضي الله عنه أن الله تعالى يطلع الشيخ شعبان على ما يقع في

كل سنة من رؤية هلالها، فكان إذا رأى الهلال عرف جميع ما فيه مكتوباً على العباد).

وقال: (وكان يقرأ سوراً غير السور التي في القرآن على كراسي المساجد يوم الجمعة وغيرها فلا ينكر عليه أحد، وكان العلمي يظن أنها من القرآن لشبهها بالآيات في الفواصل).

وقال: (وقد سمعته مرة يقرأ على باب دار، على طريقة الفقهاء الذين يقرؤون في البيوت فأصغيت إلى ما يقول فسمعته يقول: "وما أنتم في تصديق هود بصادقين، ولقد أرسل الله لنا قوماً بالمؤتفكات يضربوننا ويأخذون أموالنا وما لنا من ناصرين" ثم قال:

الهم اجعل ثواب ما قرأناه من الكلام العزيز في صحائف فلان وفلان إلى آخر ما قال).

وقال أيضاً في الطبقات (2-142): (الشيخ إبراهيم العريان رضي الله عنه، كان يخرج الريح بحضرة الأكابر ثم يقول: هذه ضرطة فلان، ويحلف على ذلك، فيخجل ذلك الكبير منه، مات رضي الله عنه سنة نيف وثلاثين وتسعمائة).

(وكان رضي الله عنه يطلع المنبر ويخطب عريئاً ... فيحصل للناس بسط عظيم).

وقال أيضاً:

(شيخنا أبو علي هذا كان من جماعته: الشيخ عبيد: وأخبرني بعض الثقات أنه كان مع الشيخ عبيد في مركب فوحت، فلم يستطع أحد أن يزحزحها، فقال الشيخ عبيد: اربطوها في بيضي (الخصيتين) بحبل وأنا أنزل أسحبها ففعلوا، فسحبها ببيضه حتى تخلصت من الوحل إلى البحر، مات رضي الله عنه في سنة نيف وتسعين وثمانمائة).

وقال أيضاً في الطبقات (2-87):

(سيدي الشيخ محمد الغمري، أحد أعيان أصحاب سيدي أحمد الزاهد رضي الله عنه، كان من العلماء العاملين والفقراء الزاهدين المحققين سار في الطريق سيرة سالحة وكانت جماعته في المحلة الكبرى وغيرها يضرب بهم المثل في الألب والاجتهاد، قال: ودخل عليه سيدي محمد بن شعيب الخراسي يوماً الخلوة فرآه جالساً في الهواء وله سبع عيون فقال له: الكامل من الرجال يسمى أبا العيون).

وقال أيضاً في الطبقات (2-88): (سيدنا ومولانا شمس الدين الحنفي كان رضي الله عنه من أجلاء مشايخ مصر وسادات العارفين صاحب الكرامات الظاهرة والأفعال الفخرة والأحوال الخارقة والمقامات السنية) إلى أن قال:

(وهو أحد من أظهره الله تعالى إلى الوجود، وصرفه في الكون . إلى أن قال: (قال الشيخ أبو العباس: وكنت إذا جنته وهو في الخلوة أقف على بابها فإن قال لي ادخل دخلت، وإن سكت رجعت فدخلت عليه يوماً بلا استئذان فوقع بصري على أسد عظيم فغشي عني فلما ألفت خرجت واستغفرت الله تعالى من الدخول عليه بلا إذن. ثم قال: وقد مكث في خلوته سبع سنين تحت الأرض ابتدأها وعمره أربع عشرة سنة).

قال الشيخ أبو العباس رضي الله عنه:

ولم يخرج الشيخ من تلك الخلوة حتى سمع هاتفا يقول:

يا محمد اخرج اتفح الناس ثلاث مرات، وقال له في الثالثة:

إن لم تخرج وإلا هيه. فقال الشيخ:

فما بعد هيه إلا القطيعة، قال الشيخ فقامت وخرجت إلى الزاوية فرأيت على السقيفة جماعة يتوضؤون فمنهم من على رأسه عملة صفراء ومنهم زرقاء، ومنهم من وجهه قرط، ومنهم من وجهه خنزير، ومنهم من وجهه كالقمر، فطمت أن الله أطلعني على عواقب أمور هؤلاء

الناس، فرجعت إلى خلفي وتوجهت إلى الله تعالى فستر عني ما كشف لي من أحوال الناس وصرت كأحد الناس).

وقال أيضاً في ترجمة علي وحيش في الطبقات (2-149): (كان رضي الله عنه من أعيان المجاذيب أرباب الأحوال .. وله كرامات وخوارق واجتمعت به يوماً). إلى أن قال:

(وكان إذا رأى شيخاً بلداً أو غيره ينزله من على العمارة ويقول له: أمسك رأسها حتى أفعل فيها! فإن أبى الشيخ تسمر في الأرض لا يستطيع أن يمشي خطوة، وإن سمح حصل له خجل عظيم والناس يمرّون عليه)).

ويقول الشعراني عن نفسه في كتابه "الطبقات:

(إن سببَ حضوري مولد "أحمد البدوي" كل سنة أن شيعي العارف بالله تعالى "محمد الشنلوي" رضي الله عنه! أخذ أعيان بيته رحمه الله، قد كان أخذ علي العهد في القبة تجاه وجه سيدي أحمد رضي الله عنه، وسلمني بيده، فخرجت اليد الشريفة من الضريح! - بين الشعراني والبدوي نحو أربعة قرون! - وقبضت على يدي. وقال: يا سيدي يكون خاطرك عليه، واجطئه تحت نظرك! فسمعت "سيدي أحمد" من القبر يقول: نعم.

ولما دخلتُ بزوجتي فاطمة أم عبد الرحمن وهي بكر، مكثتُ خمسة شهور لم أقرب منها، فجاءني وأخذني وهي معي، وفرش لي فراشاً فوق ركن القبة التي على يسار الداخل، وطبخ لي الحلوى، ودعا الأحياء والأموات إليه! وقال: أزل بكارتها هنا! فكان الأمر تلك الليلة).

الطبقات (1-161).

الشيخ علي الكردي

يعتبر هذا الرجل مثلاً لما يختلف فيه بين أهل العلم وبسبب العامة البسطاء السذج الذين يدلس عليهم من قبل المشعورين والمجاذيب.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

(الشيخ علي الكردي، الموله، المقيم بظاهر باب الجابية، قال أبو شامة: وقد اختلفوا فيه فبعض الدماشقة يزعم أنه كان صاحب كرامات، وأنكر ذلك آخرون، وقالوا:

ما رآه أحد يصلي ولا يصوم، ولا لبس مداساً بل كان يدوس النجاسات ويدخل المسجد على حاله).

مركز تحقيق التراث مركز محمد بن صالح المنجد (البداية والنهاية 13-108).

والمشكلة أن بعض أهل دمشق إلى اليوم يعتقد بهذا الرجل، ويلقبه ويسأله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الشيخ خضر بن أبي بكر

المهراني العدوي

شيخ الملك الظاهر بيبرس

هو أحد الذين يدعون الزهد فيكذبون ويدلسون على الناس، وما أكثرهم.
قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

(شيخ الملك الظاهر بيبرس كان حظياً عنده مكرماً لديه، له عنده المكنة الرفيعة، كان السلطان ينزل بنفسه إلى زاويته التي بناها له في الحسينية في كل أسبوع مرة أو مرتين، وبنى له عندها جامعاً يخطب فيه للجمعة، وكان يعطيه مالا كثيراً ويطلق له ما أراد، ووقف على زاويته شيئاً كثيراً جداً، وكان معظماً عند الخاص والعام بسبب حب السلطان وتعظيمه له، وكان يمازحه إذا جلس عنده، وكان فيه خير ودين وصلاح، وقد كاشف السلطان بأشياء كثيرة.

ثم اتفق في هذه السنة أنه وقعت منه أشياء أتكرت عليه وحقوق عليها عند السلطان الملك الظاهر فظهر له منه ما أوجب سجنه ثم أمر بإعدامه وهلاكه)).

(البداية والنهاية 13-265)

منها اللواط والزنى.

(تاريخ الملك الظاهر (2-35))

رابعة العدوية

هي رابعة بنت إسماعيل العدوية، مولاة آل عتيك بالبصرة. أم الخير. صالحة مشهورة من أهل البصرة ومولداها بها، لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر فيه من الكلام الجيد الكثير، وفي بعضه غلو وانحراف عن الشريعة، وليس كل ما ينقل عنها بصحيح، توفيت بالقدس (185هـ). قال الإمام الذهبي في السير:

(قال أبو سعيد بن الأعرابي: أما رابعة فقد حمل الناس عنها حكمة كثيرة، وحكى عنها سفيان وشعبة وغيرهما ما يدل على بطلان ما قيل عنها). أي على كذب بعض ما ينسب إليها من أقوال مفرقة بالتصوف ومخالفة للعقيدة.

قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأما ما ذكر عن رابعة العدوية من قولها عن البيت: إنه الصنم المعبود في الأرض، فهو كذب على رابعة، ولو قال هذا من قاله لكان كافراً يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وهو كذب فإن البيت لا يعبد المسلمون، ولكن يعبدون رب البيت بالطواف به والصلاة إليه، وكذلك ما نقل من قولها: والله ما وجه الله ولا خلا منه، كلام باطل عليها).

ويروى عن رابعة قولها:

إني لا أعبد خَوْفاً من ناره، ولا طمَعاً في جنته، بل أعبد حُباً له. وهذا إن صح عنها مما انحرف به الزهاد حيث زعموا أنهم لا يعبدون الله خوفاً ولا رجاءً، وإنما يعبدونه بالمحبة، وهذا مخالف لطريق الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - الذين يدعونه سبحانه وتعالى رغباً ورهباً مع حبهم له سبحانه، وابتغائهم إليه الوسيلة، وتقربهم إليه بمحابه ومسايرعتهم في ذلك، كما قال تعالى:

{إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا
وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} الأنبياء 90،

وقال تعالى:

{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ
وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا}
الإسراء: 57.

وهذه المقولة المنسوبة لرابعة مقالة منكرة تتضمن الزهد في الجنة
والاستخفاف بعذاب النار، وأما رؤية الله فإلها أعلى نعيم الجنة، فمن دخل
الجنة فاز بالنظر إلى وجه الله الكريم، وسماع كلامه، قال تعالى:

{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} يونس: 26،

فالحسنى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله.
ولهذا قال بعض أهل العلم:

من عبد الله بالخوف وحده فهو ~~خروزي~~ أي: من الخوارج، ومن عبده
بالرجاء فهو مرجئ، ومن عبده بالحب فهو زنديق، ومن عبده بالحب
والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد، وأسماء الله وصفاته تقتضي محبته
 وخوفه ورجاءه، فالله تعالى ذو الجمال، والجلال والإكرام، وغافر الذنب،
وقابل التوب، شديد العقاب، وكل اسم من أسمائه الحسنى، وصفة من
صفاته، تقتضي عبودية خاصة، فمن كان بأسمائه وصفاته أعلم كان له
أعبد، وعلى صراطه أقوم. والله أعلم).

ومما نسب لها أقوال مخالفة لنصوص الكتاب والسنة، ونحن نذكر شيئاً
من هذا الكلام للتحذير منه، ولا نجزم بنسبتها لها رحمها الله.

فمن ذلك ما ذكر من قولها لرجل رآته يضم صبيّاً من أهله ويقبله:

(ما كنت أحسب أن في قلبك موضعاً فارغاً لمحبة غيره تبارك اسمه!).

(سير أعلام النبلاء: 8-156)

وهذا تعمق وتكلف لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يُقبل أولاد ابنته ويحبهم.

ويروى كذلك عنها أن سفيان الثوري على حد ما زعموا سألها: يا رابعة هل تكرهين الشيطان؟! فقالت:

((إن حبي لله ثم يترك في قلبي كراهية لأحد!!))

(الصوفية والوجه الآخر)

وقد أدى كثرة أمثال هذه النقول إلى أخذ بعض العلماء مواقف حادة وحازمة منها رحمها الله، فقد تكلم فيها أبو داود السجستاني صاحب السنن واتهمها بالزندقة!، فلعله بلغه عنها أمر، كما في (البداية والنهاية 10-186).

وكثرة الأقوال المتعارضة المنسوبة لرابعة العدوية رحمها الله تعالى، مما يضع غشاوة على عيون البعض، ويساعد البعض على القسوف فيها والانحراف في العبادة أيضاً.

رحم الله تعالى رابعة العدوية وجزاها خيراً، وغفر لنا ولها، وما جعل الله العصمة لأحد من البشر إلا المعصومين من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

ذو النون المصري

أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم، قبطي الأصل من أهل النوبة، من قرية أخميم بصعيد مصر، أخذ التصوف عن شقران العابد أو إسرائيل المغربي على حسب رواية ابن خلكان وعبد الرحمن الجلمي. ويؤكد الشيعة في كتبهم ويوافقهم ابن النديم في الفهرست أنه أخذ علم الكيمياء عن جابر بن حيان، ويذكر ابن خلكان أنه كان من الملامتية الذين يخفون تقواهم عن الناس ويظهرون استهزاءهم بالشرعية، وذلك مع اشتغاله بالحكمة والفصاحة.

توفي في جيزة مصر سنة (245 هـ) عن تسعين عاماً. يعدة كتب الصوفية المؤسس الحقيقي لطريقتهم في المحبة والمعرفة، وأول من تكلم عن المقامات والأحوال في مصر، وقال بالكشف وأن للشرعية ظاهراً وباطناً.

ويذكر القشيري في رسالته أنه أول من عرف التوحيد بالمعنى الصوفي، وأول من وضع تعريفات للوجد والسماع، وأنه أول من استعمل الرمز في التعبير عن حله.

وقد تأثر بعقائد الإسماعيلية والباطنية وإخوان الصفا بسبب صلاته القوية بهم، حيث تزامن مع فترة نشاطهم في الدعوة إلى مذاهبهم الباطنة، فظهرت له أقوال في علم الباطن، والعلم اللدني، والاتحاد، وإرجاع أصل الخلق إلى النور المحمدي، وكان لعلمه باللغة القبطية أثره على حل النقوش والرموز المرسومة على الآثار القبطية في قريته مما مكنه من تعلم فنون التنجيم والسحر والطلاسم الذي اشتغل بهم.

ومن كلامه: ((طاعة المريد لشيئته فوق طاعته ربه))

(تفكرة الأولياء: 1/171).

وبعد نو النون أول من وقف من المتصوفة على الثقافة اليونانية، ومذهب الأفلاطونية الجديدة، وبخاصة ثيولوجيا أرسطو في الإلهيات، ولذلك كان له مذهب الخالص في المعرفة والفناء متأثراً بالغنوصية.

هو أول من عبر عن علوم المنازلات فأنكر عليه أهل مصر وقالوا: أحدثت علماً لم تتكلم فيه الصحابة وسعوا به إلى الخليفة المتوكل ورموه عنده بالزندقة وأحضره من مصر على البريد فلما دخل سر من رأى (سامراء) وعظه فبكر المتوكل ورده مكرماً.

قال أبو عبد الرحمن السلمي:

كان أهل مصر يسمونه بالزنديق فلما مات أظلمت الطير الخضر جنازه ترفرف عليه إلى أن وصل إلى قبره. (شذرات الذهب ج2/ص 108).

وقال أيضاً:

(إن ذا النون أول من تكلم بمصر في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم - وكان رئيس مصر - وأنه أحدث علماً لم يتكلم فيه السلف ورماه بالزندقة فدعاه أمير مصر وسأله عن اعتقاده فتكلم فرفض أمره وكتب به إلى المتوكل).

(تاريخ الخلفاء: 1-350)

من البدع والشطحات الصوفية

الصوفية واللوح المحفوظ

هل سمع أحد منكم أن أبا بكر الصديق اطلع على اللوح المحفوظ؟
عمر؟ عثمان؟ علي؟ أحد من الصحابة؟ من التابعين؟ الأئمة
الأربعة؟ أهل الكتب الستة؟

موسى بن عمران الذي لم يحط بما أتى به الخضر خيرا؟
عيسى بن مريم؟

عليهم جميعا وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

سؤال يطرح نفسه لماذا الصوفية فقط دون من قدمنا يحظون بالاطلاع
على اللوح المحفوظ، وما هو السبب برأيكم، هل لأن من قدمنا، والعياذ
بالله محجوبون؟ أم لأنهم من أهل الشريعة، وغيرهم من أهل الحقيقة؟
أم لأنهم والعياذ بالله، أهل القشور، وغيرهم أهل اللب؟

الحقيقة أن ثقافة التصوف والخرافة والقصص، والانحطاط العلمي الذي
مرت به الأمة جعلت بعض أهل الصلاح، وبعض من يوصف بالعلم تختلط
عليه الأمور فيتكلم في مسألة الاطلاع على اللوح المحفوظ، ويخلط ويقيس
اطلاع البشر على اطلاع الملائكة، والحق أن أحدا منهم لم يأت بدليل يدل
لهذه المسألة العقدية، وإليك بعض ما يظهر حقيقة المسألة بعون الله.

ماذا قال للصوفية في اللوح المحفوظ، أو قل والعياذ بالله:

(اللوح المورود أو اللوح المكشوف)

قال علي بن محمد الحبشي: وقالوا: إن سيدنا أبو بكر العبدروس العذني
لما تضرعت به أمه في الولادة، قال أبوه سيدنا عبد الله بن أبي بكر: هذا

ولدي ما با يخرج حتى يقرأ اللوح المحفوظ ، باقي معه أسطر با يتمها وبا يخرج.

(كنوز السعادة الأبدية صفحة: 227)

وجاء في ترجمة إسماعيل الأنباري:

كان يطلع على اللوح المحفوظ فيقول : يقع كذا ، فلا يخطئ!

جامع تراثات الأولياء للنبهاني ج 1 ص 588.

وقال الغزالي سامحه الله:

"القلب قد يتصور أن يحصل فيه حقيقة العالم وصورته، تسارة من الحواس، وتارة من اللوح المحفوظ (...). فإذا للقلب بابان: باب مفتوح إلى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملائكة، وباب مفتوح إلى الحواس الخمس المتمسكة بعالم الملك والشهادة".

(الإحياء ج 3 صفحة: 18).

وقال الشعراني وكان الشيخ جاكير يقول:

ما أخذت العهد على مرید حتی رأيت اسمه مكتوباً في اللوح المحفوظ وأنه من أولادنا .

ويفتري الصيادي على الشيخ أحمد الرفاعي "رحمه الله" أنه قال:

(أيها الفقراء: الشيخ عثمان السالم آبادي قدس الله سره يصعد كل يوم

عند غروب الشمس إلى ديوان الربوبية وينظر ديوان نربته، فما يجد من

سينة يمحوها ويكتب عوضها بلا معارضة.

ثم التفت إلى ابن أخته - إبراهيم الأعزب - وقال له :

يا إبراهيم لا يكون الرجل ممكناً في سائر أحواله حتى يعرض عليه عند

غروب الشمس جميع أعمال أصحابه وأتباعه وتلامذته فيمحوها منها ما

يشاء ويثبت فيها ما يشاء).

(قلادة الجواهر في سيرة الرفاعي وأتباعه الأكابر للصيادي ص 193)

وقال ابن الجوزي "رحمه الله" في كتابه "تلبيس إبليس":

قال الشيرازي وسمعت محمد بن داوودية يقول سمعت عبد الله بن سهل يقول سمعت أبا موسى الدنيلي يقول سمعت أبا يزيد البسطامي وسئل عن اللوح المحفوظ قال أنا اللوح المحفوظ.

وقال الزبيدي في كتابه "طبقات الخواص" في ترجمة: محمد بن يعقوب المعروف بابي حربة (صفحة: 276): (صاحب الدعاء المشهور الذي قيل: إنه كان يدعو به عند إنشائه وهو ينظر في اللوح المحفوظ).

وقال أيضاً: (وقبره هناك مشهور يزار ويتبرك به ويقصد من الأماكن البعيدة، وقبور أولاده وذريته... وتربتهم هناك من الترب المشهورة المقصودة للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة، ما قصدهم ذو حاجة إلا قضيت حاجته، ومن استجار بهم لا يقدر أحد أن يناله بمكروه من أرباب الدولة والعرب وغيرهم).

وعن عبد الله بوراس القيرواني أنه كان يقول: (أشهدني الله تعالى ما في السموات السبع وما في الكرسي وما في اللوح المحفوظ وجميع ما في الحجب، وفككت ظلام السموات السبع والفلك الثامن الذي فيه جميع الكواكب وجميع الفلك الثامن، وسم بنات نعش والجدي والقطب، ووصلت للفلك التاسع الذي يسمونه الأطلس، ورصدت جداوله وأنا عند ذلك طفل صغير لم أبلغ الحلم).

(الوصية الكبرى لشيخ العروسية عبد السلام الفيتوري صفحة: 75)

وكان بوراس يقول:

وفي السماء السابعة شأهت ربي وكلمته

وفوق العرش والكرسي قد ناداني وخاطبته

وما في اللوح المحفوظ من الآي والأمر والنهي قد حفظته

وبيدي باب الجنان قد فتحته ودخلته

وما فيه من الحور العين قد رأيته وأحصيته

ومن رأيي ورأي من رأيي وحضر مجلسي

فسي جنة عدن وبستانها قد أسكنته

(الوصية الكبرى لعبد السلام الفيتوري)

وأما محمد بن إسحاق القونوي المتوفى 673 هـ فيقول:

(إن الكمل ومن شاء الله من الأفراد أهل الإطلاع على اللوح المحفوظ،

بل وعلى المقام القلمي، بل وعلى حضرة العلم الإلهي، فيشعرون بالمقدر

كونه لشيق العلم بوقوعه).

(رسالة النصوص لمحمد بن إسحاق القونوي صفحة: 40 ، 41 ط مشهد إيران).

وجاء كتاب (كنوز السعادة الأبدية" جمع وترتب محسن بن عبد الله

علوي السقاف. صفحة: 152) ما نصه:

(إن الشيخ عبد القادر الجيلاني رأى شخصاً يطوف بالكعبة على رجل

واحدة، فقال من هذا الطائف على رجل؟ فقالت له أنا امرأة من بغداد جئت

أطوف بالبيت وتركت بنتي نائمة على الرجل الأخرى، فتعجب من كونها

في بغداد ولم يعلم بها، فقال لها: أنا أتصفح اللوح المحفوظ كل يوم كذا كذا

مرة، وما رأيته فيه!!؟ فقالت له:

اللوحة المحفوظ لك ولأمثالك وأما أنا فقبلك في أم الكتاب).

يقول عبد العزيز الدباغ:

(ليس كل من يحضر الديوان من الأولياء يقدر على النظر في اللوح

المحفوظ، بل منهم من يقدر على النظر فيه ومنهم من يتوجه إليه

ببصيرته).

(الإبريز صفحة: 188).

وقال عبد الله العطاس:

(وسئل الشيخ أحمد بن الجعد متى يكون الشيخ شيخاً؟

قال: لا يكون الشيخ شيخاً حتى يمحو سيئات مريده من اللوح المحفوظ.

قال الشيخ سعيد بن عيسى العمودي: وكيف غفل حتى كتبت)).
(كتاب ظهور الحقائق لمؤلفه عبد الله بن علوي العطاس)

وحكى الكوثري عن أبي الحسن الشافلي أنه قال:
(أطلعتني الله على اللوح المحفوظ، فلولا التأدب مع جدي رسول الله لقلت هذا سعيد وهذا شقي).
(إرغام المريد شرح النظم العتيد لتوسل المريد برجال الطريقة النقشبندية صفحة: 39)
يقول عبد العزيز الدباغ:

(ومن فتح الله عليه ونظر في أشكال الرسم التي في ألواح القرآن ثم نظر في أشكال الكتابة التي في اللوح المحفوظ وجد بينهما تشابهاً كثيراً).
(الإبريز صفحة: 57).
وقريب من الاطلاع على اللوح المحفوظ عند الصوفية الاطلاع على الغيب كله:

يقول شهاب الدين السهروردي المقتول بالزندقة:
(الأنبياء والفضلاء المتألهون يتيسر لهم الإطلاع على المغيبات، لأن نفوسهم إما قوية بالفطرة أو تتقوى بطرائقهم وعلومهم، فينتقشون بالمغيبات، لأن نفوسهم كالمرايا المصقولة تتجلى فيها نقوش من الملكوت. فقد يسري شبح إلى الحس المشترك، يخاطبهم ألد مخاطبة وهو في أشرف صورة، وربما يرون الغيب بالحس المشترك مشاهدة، وربما يسمعون صوت هاتف، أو يقرؤون من مسطور).
(الألواح العبادية للسهروردي صفحة: 64 المطبوع في إيران بتحقيق نجف قلي الإبراتي).

ويقول لسان الدين بن الخطيب في روضته:

(النفوس عند صفاتها تتشبه بالملأ الأعلى، وتنشق فيها أمثلة الكائنات المتعشقة فيه بنوع ما، وتشاهد المحجوبات، وتؤثر في العوالم السفلية).
(روضة التعريف للسان الدين ابن الخطيب صفحة: 463)

وبمثل ذلك يقول داود بن محمود القيصري:
(إذا خلص الرجل، وصفا وقته، وطاب عيشه بالالتذاذ بما يجده في طريق المحبوب، بصر باطنه، فيظهر له لوايح أنوار الغيب، ويفتح له باب الملكوت، ويلوح منه لوايح).
(شرح مقدمة التاليف الكبرى لداود القيصري مخطوط صفحة: 104)

ويقول الترمذي الملقب بالحكيم:
(إن الأولياء لهم علامات وعلوم، وأما ما يعرفونه من العلوم فهي (علم البدء، وعلم الميثاق، وعلم المقادير، وعلم الحروف، فهذه أصول الحكمة، وهي الحكمة العلمية، وإنما يظهر هذا العلم عن كبراء الأولياء ويقبله من له حظ في الولاية).
(ختم الولاية للحكيم الترمذي صفحة: 362).

ويقول الجيلي عبد الكريم:
(كل واحد من الأفراد والأقطاب له التصرف في جميع الممكنة الوجودية، ويعلم كل واحد منهم ما اختلج في الليل والنهار فضلا عن لغات الطيور.
وقد قال الشبلي:
لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أسمعها
لقلت: إني مخدوع أو معكور بي. وقال غيره:
لا أقول: ولم أشعر بها لأنه لا يتهيا لها أن تدب إلا بقوتي وأنا
محركها).
(الإيمان الكامل للجيلي صفحة: 122).

ويقول أبو العباس المرسى:

(ما من وليّ كان أو هو كائن إلا أطلعني الله عليه وعلى اسمه ونسبه وحظه من الله تعالى).

(معراج التشوف لابن عجيبة: صفحة: 88)

وقول ابن عطاء الله السكندري في كتابه (تاج العروس: صفحة: 36) طبعة دار ابن القيم دمشق للطبعة الأولى سنة: (1999 م) ما نصه:

(كل من كان مراعيًا لحق الله تعالى، لا يحدثُ الله حدثًا في المملكة إلا أعلمه. نظر بعضهم إلى جماعة فقال لهم: هل فيكم من إذا أحدث الله سبحانه وتعالى في المملكة حدثًا أعلمه؟
قلوا: لا. فقال لهم: ابكوا على أنفسكم)).

وجاء في كتاب (غرر البهاء الضوي" لمحمد بن علي باعلوي ، الطبعة الأولى ، طبعة أحفاد المؤلف). عند كلامه عن مناقب الإمام علوي بن الفقيه المقدم. صفحة: 373) ما نصه:

(فإنه رضي الله عنه اجتمع هو الشيخ عبد الله بن محمد عبد بمسجد تريم، فقال الشيخ عبد الله للشيخ علوي: )
أخبرني بما ظهر لك من الكرامات. فقال الشيخ علوي ظهر لي ثلاث خصال:

أحبي وأميت بإذن الله، وأقول للشيء كن فيكون بإذن الله، وأعرف السعيد من الشقي بإذن الله).

وقال الشعراني في كتابه (الطبقات: 2-185):

(الشيخ شعبان المجذوب رضي الله عنه ، كان من أهل التصريف بمصر المحروسة، وكان يخبر بوقائع الزمان المستقبل وأخبرني سيدي علي الخواص رضي الله عنه أن الله تعالى يطلع الشيخ شعبان على ما يقع في كل سنة من رؤية هلالها ، فكان إذا رأى الهلال عرف جميع ما فيه مكتوباً على العباد).

فهل كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يطلع على اللوح المحفوظ؟

جاء في محكم التنزيل خطاب للنبي عليه الصلاة والسلام من ربه سبحانه وتعالى:

{قُلْ لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}. (الأعراف: 188)

وقال تعالى:

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ}. (آل عمران: 179)

وقال تعالى:

{قُلْ لَّا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}. (النمل: 65). وقوله:

{مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ} ص: 69،

فالقرآن الكريم يصرح بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يدري شيئاً عن القرآن قبل الوحي، وتدل الوقائع في حياته صلى الله عليه وسلم ، وإلا لماذا لم يخبر ببراءة عائشة رضي الله عنها إلا بعد نزول الوحي الذي مكث شهراً؟

ولماذا لم يعظم الحكم الشرعي في أسرى بدر إلا بعد نزول القرآن؟
ولماذا لم يقبل توبة الثلاثة الذين خلفوا وقد مكثوا خمسين يوماً إلا بعد نزول القرآن؟

يقول سبحانه وتعالى:

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا، إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا، ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم، وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا}.
قال الإمام القرطبي في تفسيرها:

قال العلماء: لما تمدح سبحانه بعلم الغيب، واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة على نبوتهم..

فتأمل كيف جعل الاطلاع على الغيب من خصوصيات الألوهية، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل دون سائر الناس، حتى لا يدعي مدع أنه يعلم الغيب؛ بل وجعله دلالة على نبوتهم، فإذا ختم الله النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم فليس لأحد أن يزعم النظر في اللوح المحفوظ، لأنه يكون بذلك مدعياً للنبوة كذباً، بل هو يتشوق لمقام أعلى من النبي والعاذ بالله، إن النبي صلى الله عليه وسلم يتصل بالغيب بواسطة الملك جبريل عموماً، وهذا يزعم أنه ينظر مباشرة في اللوح المحفوظ! وهذا من الضلال البعيد.
بل إن الملائكة تتغشاها أحوال مهيبة عند سماع الوحي، مع أن الله عز وجل خلق فيها القوة لتحمل ذلك، كما في قوله سبحانه:

(حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير).

وقال الحافظ ابن كثير:

(وهذا أيضاً مقام رفيع في العظمة، وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي، فسمع أهل السماوات كلامه أرددوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي، حتى إذا زال الفزع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضاً: ماذا قال ربكم؟ فيخبر

بذلك حملة العرش الذين يلونهم من تحتهم حتى ينتهي الخبر إلى السماء الدنيا...)).

وهل يتكلم ربنا سبحانه إلا بما في اللوح المحفوظ، كما ورد في الصحيح (أول ما خلق الله عز وجل القلم، فقال: اكتب. قال: ماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة).

فكيف يزعم أحد النظر في اللوح المحفوظ؟

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى:

القدر قدرة الله لأنه من قدرته ومن عمومها بلا شك وهو أيضا سرّ الله تعالى المكتوم الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى مكتوب في اللوح المحفوظ في الكتاب المكنون الذي لا يطلع عليه أحد ونحن لا نعلم بما قدره الله تعالى في مخلوقاته إلا بعد وقوعه أو الخبر الصادق عنه.



وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله:

(وهو الذي قدر الأشياء وقضاهما، ولا يكون في الدنيا ولا في الآخرة شيء إلا بمشيئته وعلمه وقضائه وقدره، وكتبه في اللوح المحفوظ).

(الفقه الأكبر: 302)

"الحج الأصغر"

في "مكة الثانية" الكازاخستانية

من البدع الصوفية التي تجاوزت حدود الله إلى ما لا يمكن السكوت عنه، هو ما يسمى بالحج الأصغر. حيث يؤدي بعض أتباع فرق ومذاهب مسلمة ما يسمونه "حجاً أصغر" في كازاخستان، وذلك على مدار العام، ووفق طقوس خاصة منبثقة من تقاليد وعادات شعبية.. وأما مقصدهم في حجهم، فهو مدينة يطلقون عليها اسم "مكة الثانية".

وتعد تلك المدينة المعروفة رسمياً باسم "تركستان" المحطة الهامة على طريق الحرير في جنوب كازاخستان، وفيها يوجد ضريح أحمد الياساوي، أشهر الصوفيين في البلاد الناطقة باللغة التركية ضمن مسجدها التاريخي، وقد عرفت المدينة سابقاً باسم ياساوي وفي القرن الخامس عشر سميت تركستان باعتبارها مدينة لكافة الشعوب الناطقة باللغة التركية.

وتشير كل محتويات مسجد تركستان وما يحيط به من الزخارف والكتابات إلى تاريخ عريق وعمق في التواصل مع الحضارة العربية والإسلامية خلال عصور قد خلت، كما يحيط بمسجد تركستان سور مرتفع يضيء على المكان طابع الخصوصية.

وأكثر ما يميز هذه المدينة هو توافد أناس كثيرين من كافة مدن ودول آسيا الوسطى للتبارك بها ولأداء ما يعتبرونه الحج الأصغر، الذي يختلف عن الحج الأكبر لمكة المكرمة.

وعزا المؤرخ أنور تولغاتوف أسباب إطلاق اسم مكة الثانية على تركستان بقوله "إن السفر من وسط آسيا للوصول إلى مكة المكرمة كان بشكل صعب ومشقة كبيرة للمسلمين ويكلف أموالاً طائلة، فاستعاض

البعض عن الحج بالسفر إلى تركستان، ولا ننسى أيضا أن الأساطير والخرافات أضفت طابع القدسية على المدينة".

وتقول نالبيبا أوراإاي، مدرسة التاريخ في تركستان، لـ"العربية. نت" خلال زيارتنا للمدينة بأنه "يستطيع أي شخص وفي أي وقت الحضور إلى تركستان ليحصل على بركات الحاج أحمد الياسوي ويؤدي الحج الأصغر". وتبدأ طقوس الحج في "مكة الثانية" بالدوران حول مسجد تركستان والتبرك بجدرانها إلى حد تقبيلها، ويتابع الزوار أداء طقوسهم الخاصة بالدخول إلى المسجد والدعاء أمام الصحن المعني الضخم وسط ساحته.

ولذلك الصحن وضع خاص حيث صنع بأمر من الأمير تيمور في العام (1393م) في قرية ياس بالقرب من تركستان من الذهب والفضة والبرونز والحديد الأحمر والبلاتين ومعادن أخرى، من أجل وضع الماء فيه وقتها، ونقش عليه كتابات عربية في ثلاثة أقسام، وفي القسم الأول كتب حديث للرسول محمد عليه الصلاة والسلام فجواه أن "من حفر بئراً في سبيل الله كتب الله له بئراً في الجنة".

أما القسم الثاني، فنقش عليه اسم الحرفي الذي صنع الصحن وهو عبد العزيز بن شرف الدين التبريزي، وفي القسم الثالث كتب "العظمة لله"، ويبلغ وزن الصحن (2 طن)، ويتسع لـ (3000) لتر من الماء، ويعتقد السكان المحليون أن ماءه مبارك مثل ماء زمزم.

وينتهي الزوار حجهم الأصغر بالدعاء داخل إحدى القاعات التي يتضمنها المسجد وهي عديدة، فمنها قاعة كان يجلس فيها ختات آسيا الوسطى خلال عصورهم السالفة، أما القاعة فزيارتها تعد الأهم في تلك الطقوس، لأنها تحوي ضريح الحاج أحمد الياسوي.

وعن ذلك الضريح يقول المؤرخ تولغاتوف بأنه بنى وقتها كمسجد ومكان للزيارة قبل ستمائة عام بأمر من الأمير تيمور، حيث يكون مكان يستطيع جميع مسلمي آسيا الوسطى التجمع فيه والاتحاد، وبني في المكان

الذي اعتكف فيه الحاج أحمد الياساوي الصوفي المعروف في المنطقة
إكراما له، لأنه كان إنساناً مباركاً، وأديباً وفيلسوفاً وعالماً".

ويردف تولغاتوف، درس الياساوي التعاليم الصوفية في مدينة سمرقند،
ثم عاد إلى تركستان وعاش فيها حتى بلغ عمره ثلاث وستين عام نزل بعد
ذلك إلى حجره تحت الأرض، معتبراً أن الحياة أكثر مما عاش الرسول
محمد بعد ذنباً عظيماً".

وحسب العادات الشعبية المقتربة بالأساطير، يتابع تولغاتوف حديثه،
يجب أن يقوم المرء بزيارة تركستان ثلاث مرات، ولا يوجد أي شروط
للزيارة.

مراسل العربية: د. باسل الحاج جاسم.



مركز تحقيقات علوم إسلامی

زيارة هود عليه السلام

ومن البدع المستحدثة أيضاً هي بدعة زيارة قبر نبي الله هود عليه السلام.

لقد ذكر الله أن موطن عاد - قوم نبي الله هود عليه السلام بالأحقاف {وَإِذْ أَنْذَرْنَا قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ}

قال ابن جرير الطبري في موقع الأحقاف:

وجاز أن يكون ذلك جبلاً في الشام وجاز أن يكون وادياً بين عمان وحضرموت وجاز أن يكون بالشحر وليس في العلم به أداء فرض ولا في الجهل به تضييع واجب.

ولعل أقرب هذه الأقوال أن الأحقاف في حضرموت وقد وردت أقوال ضعيفة في ذلك أمثلها ما رواه البخاري في تاريخه والحاكم أن علياً بن أبي طالب قال في قبر هود أنه في كتيب أحمر يخالطه مدرة حمراء ذا أراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت وفي سند هذا الأثر مقل.

الكشف الصوفي يعين القبر:

يرجع إثبات قبر هود عند صوفية حضرموت إلى الكشف الصوفي! وهو الدليل الذي يذكرونه في تعيين القبر والذي أشهر القبر وحدد مكانه هو عبد الرحمن بن محمد السقاف توفي 815 ويوصف بأنه عين المكشفين وقيل فيه أنه (من كشف الغطاء عنه بإظهار الخفيات) قال بعضهم:

للسلف في شعب هود أعلام راسخة دع عاذلاً قد لام
عن حقيق الكشف به إقدام وأتبعهم واترك المقال
فالزيارة كانت تقام في الشعب دون تحديد مكان القبر، حتى أظهر عينه
السقاف وقال هذا محل النبي هود.

انتقال الزيارة إلى الطريقة الصوفية:

والزيارة كانت على طريقة الفقهاء، ثم انتقلت في زمن عبد الله بن أبي بكر العبدروس (ت 865هـ) من الزيارة الشرعية على طريق الفقهاء إلى الطريقة الصوفية طريقة المدد والتبرك بالمزار وذلك بعد انتظار الإن الرباتي ثلاث عشرة سنة وأصبح لهذه الزيارة عوائد وطقوس وقد جاء في بذل المجهود أن المقصود من الزيارة الاستمداد من أرواح الأنبياء والأئمة والعبارة عن هذا الإمداد الشفاعة.

القبة وصخرة الناقة:

يقع شعب هود المزعوم شرقي تريم (أبرز قلاع التصوف بحضرموت)، وقد حوى واديه قبة عظيمة في سفح الجبل على جانب الحجرة المتصدعة التي يعتقد أنها رأس القبر، ويمتد القبر خارجاً عن القبة مرتفعاً في الجبل. وقد قام حكم باعبلات 878هـ بعمارة المشهد وبناء بالحجر والنورة، وجعل عليه قبة ومهد ما حواليه؛ ليقابل الزائرون وجهه ويجلسون مستقرين، ثم أقام أبو بكر بن محمد بنفقيه (ت 1103هـ) قبة عظيمة على جانب الحجرة المتصدعة.

ويلتني أسفل هذه القبة صخرة الناقة التي يزعمون أنها ناقة هود المتحجرة، وبين القبة والصخرة درج فيه حجرة ملساء يعتقد أنها موطن قدم هود، ويوجد قريباً من الصخرة والقبة مصليات لعدد من الشيوخ مثل مصلى السقاف ومصلى أبي بكر بن سالم.

قال الشاطري في أدوراه:

(وبنيت مدينة حواليه في سفح الجبل الذي فيه القبر لكنها لا تسكن سوى عدة أيام في السنة وهي أيام الزيارة .. فهي تشبه مدينة منى بالحجاز من هذه الناحية).

طريقة الزيارة:

يبدأ التفويج للوفود من تريم غالباً بزيارة الفقيه المقدم محمد بن علي رائد التصوف بحضرموت ومروراً بقباب عينات حيث ضريح أبي بكر بن سالم: ثم المرور بالمحنفة (أي المرجم الذي يرجمه جميع الزوار): ثم المرور بقبر الكافرة الذي يسب ويشتم: ثم الوصول إلى الشعب فيغتسلون في النهر الذي قيل فيه (أنه من أنهار الجنة):

ثم يتوجهون إلى حصاة عمر ليركعوا عندها ركعتين. ثم ييمنون وجههم نحو البئر المعطلة (بئر التسلوم)، ويأتون في طريقهم بالباقيات الصالحات فيسلمون على الأنبياء، لا اعتقادهم أن فيها أرواحهم، وبعد ذلك يصعدون إلى القبر المزعوم بأب يسلمون على النبي هود ويقرؤون سورة هود، قلوا وينبغي في ذلك كله استحضار نية السلف السقاف والمحضر والعبدوس وغيرهم.

ثم النزول عند الصخرة المقدسة (النافقة المتحجرة) وعند العودة إلى تريم تختم الزيارة بالطواف حول مقابر تريم الثلاث المسماة بشار. وتكون هذه الزيارة بوقفة كوقفة عرفة في اليوم الحادي عشر من شعبان فمن حضرها فقد أدرك الزيارة ومن لم يحضرها فقد فاتته الزيارة ثم النفرة في عصر اليوم الحادي عشر واليوم الثاني عشر.

وقد مضت الزيارة في مراحلها الأولى بمطوف واحد من أقطار الطريق ويطوف الناس، فلما تعددت البواعث؛ تعدد الزيارات في الأيام المحددة كزيارة آل بلقيه وآل الحامد وآل الحداد وآل شهاب وآل أبي بكر بن سالم.

وقد نظم بعضهم الزيارة شعراً بقوله:
وأقصد غدير الماء ثم أغتسل وصل

وسبح وحمد ثم كبر وهلل
إلى البر تلك الحد سلم بها وعج
إلى ذلك القبر الشريف المجلل
ورد السلام أعني الذي قد ذكرته
لدى البئر عند القبر مع سورة تلي
والثم ترى تلك البقاع ممرغاً
بخديك تعظيماً وللتسرب قبل

وتتوج الزيارة باستقبال حافل في تريم وذلك في سباق للجمال يحضره
جمع من الرجال والنساء والأطفال، وأصل ذلك أن شهاب الدين أحد -
الأقطاب - لما ثقل عن الزيارة كان يجلس في ذلك المكان لاستقبال
الزائرين في المجف بتريم ويقول من بشرني أن ولد سالم بن عبد الله
يعني أبي بكر بن سالم زار بالناس وهم سالمون ضمنت له الجنة وكان
الزوار يتراكمون لينالوا هذه البشارة فانتهت البشارة إلى عادة.

من فضائل الزيارة كما يزعم أهلها:

الضحكة في طريق هود بتسبيحة. ومن زار هود ولو للفضول غفرت
ذنوبه. وأن هود يتحمل ذنوب الزوار. والنائم فيها - الزيارة - كالقلم و
المفطر كالصائم. و غبار الطريق فيها كغبار المجاهد في سبيل الله.

الزيارة بين النهي الشرعي ومصادر المتصوفة في التلقي:

هنا فعلت الشياطين فعلتها، فلقد خلف صوفية حضرموت في زيارة هود
النصوص الصريحة نذكر ثلاث منها:

(1) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مرضه الذي لم يقم منه:

(لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد).

قالت: فلولا ذلك لبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . رواه البخاري. قال الحافظ في فتح الباري وكأني علم أنه مرتحل من ذلك المرض فخاف أن يعظم قبره كما فعل من مضى فلحق اليهود والنصارى إشارة إلى ذم من فعل فعلهم.

(2) عن أبي هريرة مرفوعاً:

(لا تشد الرحل إلا إلى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى). متفق عليه. قال الشيخ أبو محمد الجويني بحرم تشد الرحل إلى غيرها عملاً بظاهر هذا الحديث وأشار القاضي حسين إلى اختياره وبه قال عياض وطائفة ويدل عليه ما رواه أصحاب السنن من إنكار بصرة الغفاري على أبي هريرة لما أقبل من الطور فدل على أنه يرى حمل الحديث على عمومته ووافقه أبو هريرة (انظر فتح الباري).

(3) عن أبي هريرة مرفوعاً: (لا تخطوا قبوري عيدا ...) رواه أبو داود وقد احتج بالحديث علي بن الحسين حين رأى رجلاً يجرى إلى فرجة كانت عند قبر النبي فيدخل فيها فيدعوا فقال ألا أحدثك بحديث سمعته عن أبي عن جدي عن رسول الله الحديث ...

كما احتج به ابن عمه حسن بن الحسن حين رأى سهيلاً ابن أبي سهيل التزم قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) ومسح فحصبه وذكر الحديث رواهما ابن أبي شيبه.

إن الله - عز وجل - لم يحدد موضع ذلك القبر ولا غيره من قبور الأنبياء فالمقصود من ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام العبرة والفائدة، وأن نتعلم منهم الثبات والصبر على مواجهة من ندعوهم إلى الإسلام. كما ذكر من أحوالهم ما يكون تسلية وسلواناً للحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.

ثم إن السنة - كذلك - لم يثبت فيها ما يشير إلى ذلك، وكل ما ورد حوله لا يخرج عن دائرة الضعف الشديد.

وهنا نقف قليلاً عند مصادر التلقي عند الصوفية:

الكشف :

وقد مر معنا أن تحديد القبر كان على يد السقاف الذي أظهر عينه بالكشف الصوفي.

الهواتف :

سمع محمد بن علي مولى الدولة (ت765 هـ) يوماً هاتفاً وهو في ببحر (أسفل وادي حضرموت) يقول له انحدر وأبني عند العين فإتھا نهر من أنهار الجنة تمر تحت قبر هود فزره وتبرك به.

الرويا والمنام :

من ذلك قول عبد الرحمن رأيت النبي هود في حجر وبين يديه لوح وهو شاب وفي رواية أنه رأى في وجهه سواداً فلما سأله عنه قال هو من ذنوب الزوار أتعملها.

الإذن الرباني : ويعبر به بعضهم بقوله حدثني قلبي عن ربي وقد سبقت الإشارة إلى الإذن في انتقال الزيارة من طريقة الفقهاء إلى طريقة الصوفية.

عمل الشيوخ:

ويعد الشيخ في الفكر الصوفي مدار الطريقة ويوصف بالحفظ ويسلم له في ما يأتي به ولو كان مشكلاً من جهة الظاهر وقد سار المتأخرون في زيارة هود على ما رسمه المتقدمون ومن لم يراع ما رتبوه لم تكتب زيارته؛ لأنه خالف ما درجوا عليه من مناسك!

التوسل بذوات الصالحين

إن التوسل بالنوات الفاضلة مما تنتشر في أدعية الصوفية انتشاراً واسعاً، حتى كاد أن لا يخلو منه دعاء من أدعيتهم وهم يزعمون مشروعيتها واستحبابه مع وضوح مخالفته، ونحن نوجز هنا الأدلة الدالة على مخالفته وبالله التوفيق وعليه التكلان.

1- إن الدعاء من أهم العبادات، والعبادات مبناها على التوقيف، والتوسل بالنوات لم يشرع في كتاب ولا سنة صحيحة صريحة، فهو بدعة لا يجوز التعبد به في الدعاء الذي هو من أهم العبادات، وقد نهى الشارع الحكيم عن الابتداع في الدين وحذر من ذلك أشد التحذير، فدين الإسلام مبني على أصليين عظيمين:

ألا نعبد إلا الله وألا نعبد إلا بما شرع، فلم يثبت أن الله شرع لنا التعبد بالتوسل بالنوات فلا يجوز التعبد به.

2- إن الله سبحانه وتعالى قد ذكر في كتابه أدعية الأنبياء وأتباعهم وهي كثيرة جداً، فلم يذكر في واحدة منها هذا التوسل البدعي، وإنما الذي ذكره الله هو التوسل المشروع وهو التوسل بالإيمان والعمل الصالح.

ولنضرب نماذج من أدعية الأنبياء وأتباعهم حتى تتضح الصورة الصحيحة للتوسل المشروع ولا يلتبس الحق بالباطل.

من ذلك دعاء يوسف عليه السلام:

(رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) يوسف: 101،

فقد توسل يوسف عليه السلام بالثناء على الله تعالى بما أنعم عليه من الملك وعلم الرؤيا، كما توسل باسم من أسماء الله تعالى وهو فاطر

السموات والأرض، وتوسل بولاية الله له، وهذا هو التوسل المشروع ولم يتوسل بالأنبياء السابقين قبله من آباءه الكرام وغيرهم فلم يقل: اللهم إني أسألك بجاه أو منزلة أو شرف أبيي إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام.

ومن ذلك دعاء سليمان عليه السلام:

(رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) النمل: 19،

فقد سأل الله تعالى وتوسل إليه برحمته التي هي من صفاته العظيمة أن يدخله في عباده الصالحين ولم يتوسل إليه بآبائه إبراهيم ومن بعده إلى داود عليهم السلام.

ومن ذلك دعاء أيوب عليه السلام:

(وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) الأنبياء: 83،

فقد توسل إلى الله تعالى بكونه أرحم الراحمين، وهو توسل بالأسماء الحسنى ولم يتوسل بآدم ولا نوح ولا الملائكة المقربين ولا بحملة العرش كما يفعل المولعون بالتوسل المبتدع.

وإذا تجاوزنا أدعية الأنبياء عليهم السلام إلى أدعية أتباعهم التي ذكرها الله تعالى في كتابه نجدهم يتوسلون إلى الله تعالى بالتوسل المشروع ولا نجد حرفاً واحداً من توسلهم بأنبيائهم مع أنهم بلا شك يحبون أنبيائهم أكثر من غيرهم.

فمن أمثلة ذلك ما ذكره الله تعالى عن الحواريين الذين مع عيسى عليه السلام قال تعالى:

(قَلَمًا أَحَسَّ عَيْسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ
 الْخَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَا مُسْلِمُونَ) •
 (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)
 آل عمران: (52-53)،

فقد توسلوا بإيمانهم بما أنزل الله وبتابعهم الرسول عيسى عليه
 السلام، ولم يتوسلوا بذات عيسى ولا بجاهه ولا بحرمة ولا شرفه.

3- إن الرسول صلى الله عليه وسلم قد علم أمته كل خير، ومما علمها
 الأدعية المباركة، وقد جمعها علماء السنة المشرفة، فبعضهم جمعها ضمن
 الموضوعات المتفرقة كأصحاب السنن الستة والمستأيد والمعاجم،
 وبعضهم جمعها في مؤلف مستقل.

وهؤلاء الجامعون للأدعية النبوية لم ينقلوا حرفاً واحداً من توسل النبي
 صلى الله عليه وسلم بالأنبياء السابقين بطريق صحيح صريح، كما لم
 ينكروا أنه أمر أصحابه بالتوسل به وبجاهه أو بجاه الأنبياء السابقين
 وشرفهم، ولا نجد في تلك الأدعية المباركة، التوسل المبتدع الذي يلجج به
 المتأخرون والذي لا يخلو منه دعاء من أدعيتهم.

4- قد ذكر علماء السنة والآثار أدعية الصحابة والتابعين، فإذا بحثنا
 فيها فلا نجد توسلهم بحبيبهم المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ورضي
 الله عنهم، ولا نجد توسلهم بكبار الصحابة أبي بكر وعمر، فهل ترى أن
 المتأخرين يحبون النبي صلى الله عليه وسلم أكثر منهم؟ كلا.

5- إن التوسل بالفوات لو كان جائزاً عند الصحابة لما جاء الأعمى إلى
 الرسول صلى الله عليه وسلم بل جلس في بيته وتوسل بجاهه، ولما عدل
 عمر ومن معه إلى العباس ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر أن
 يطلب من أويس القرني الاستغفار بل كان يكفيه أن يقول:

اللهم أني أسألك بحق أويس القرني.

إن التوسل المبتدع قد حذر منه السلف ضمناً، مع أنه لم يقع في زمانهم الابتداع بالتوسل ونحوه إلا بصورة نادرة إذا قارناه بما وقع للمتأخرين، هذا على فرض ثبوت ما يروى عن بعضهم من التوسل بالذوات وإلا فيظهر أنه لم يقع التوسل المبتدع إلا في القرون المتأخرة.

فإذا كان السلف ينكرون على من يقول: يا سبحان يا غفران ونحو هذا، مع أنه إنما نادى صفة من صفات الله وأراد التوسل بها إلى الله تعالى، فكيف يكون إنكارهم على من ينادي الولي أو القبر متوسلاً به إلى الله تعالى؟

بل كيف يكون إنكارهم على من يطلب المدد والاستغاثة من دون الله تعالى؟

ومن السلف الذين أنكروا الابتداع في الأدعية الإمام مالك رحمه الله، فإنه كان يكره أن يقول الداعي يا سيدي! بل يقول كما قالت الأنبياء: يا رب. كما أنكروا غير هذا مما ابتدع في الدعاء في زمانه، فإذا كان مالك إمام دار الهجرة يكره في الدعاء إلا متابعة الأنبياء في قولهم مع صحة المعنى في نحو يا سيدي، فكيف تكون كراهة مالك للتوسل المبتدع بل ولطلب المدد؟

فلا يشك عاقل أن كراهته له أشد.

7- إن الذي يتوسل في الدعاء يعتقد أنه مشروع في الدعاء وينوي به التعبد والتقرب والطاعة وأنه مما يستجاب به الدعاء، وما كان من هذا النوع فإما أن يكون واجباً وإما أن يكون مستحباً، إذ العبادات لا تكون إلا أحدهما، فما ليس بواجب ولا مستحب فليس بعبادة ودعاء الله تعالى عبادة، والتوسل بالذوات ليس بواجب ولا مستحب، فثبت بهذا كون التوسل بالذوات غير عبادة، فهو إذاً بدعة.

8- إن العلماء اختلفوا في مسألة دعاء الله تعالى والتوسل إليه بغير التسعة والتسعين اسماً التي وردت في الحديث، فمن العلماء من قال:

لا يدعى بغير التسعة والتسعين وإن كان يسمى بها ويخبر بها عنه،
 فللدعاء لا يجوز إلا بما في هذا العدد، فهذا القول وإن كان مرجوحاً لكن
 المقصود أنه إذا كان العلماء منهم من يجيز الدعاء بغير التسعة والتسعين
 مع ثبوت كونه من الأسماء الحسنى، دل هذا على تشدد العلماء في باب
 الدعاء وتحذيرهم من الابتداع فيه، فيدل هذا على أنه لا يجوز من باب
 أولى دعاء الله تعالى بما لم يثبت كونه من الأسماء الحسنى ولا من صفاته
 نحو الأنبياء والأولياء، وذلك لأن الله تعالى قيد دعاءه بالأسماء الحسنى،
 فقال:

(وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) الأعراف: 180،

ففي هذه الآية أمر بالدعاء بها ونهى عن الدعاء بغيرها، كما قل
 تعالى: (ادْعُوهُمْ لِأَسْمَائِهِمُ) الأحزاب: 5، فهو نهى أن يدعوا لغير آبائهم،
 وفي هذه الآية أيضاً أن الله تعالى لا يدعى إلا بالأسماء الحسنى، فالحسنى
 اسم تفضيل، أي:

لا يدعى إلا بالاسم الأحسن، وأما الاسم الحسن أو الذي ليس بسوء وإن
 لم يحكم بحسنه فلا يدعى به وإن كان يجوز ذلك في باب الإخبار عنه،
 وأما في باب الدعاء فلا.

9- إن علماء السلف رحمهم الله تعالى قد فهموا من أحاديث الاستعاذة
 بالله وكلماته أنه لا تجوز الاستعاذة بالمخلوق.

وكذلك ينبغي لنا أن نفهم مما ورد في كتاب الله وسنة رسول الله صلى
 الله عليه وسلم من الأمر بالتوسل بأسماء الله تعالى أنه لا يجوز التوسل
 بذوات المخلوقين.

فكلا المسألتين - متطابقة والمأخذ واحد.

10- إن السؤال بالذوات سؤال بسبب لا يقتضي المطلوب؛ لأن الله
 سبحانه وتعالى لم يجعل السؤال بالذوات سبباً لحصول المطلوب؛ لأنه

سؤال بذات لا رابط بينها وبين ذات السائل، لأن السائل إذا توسل بإيمانه وأعماله الصالحة فقد توسل بسبب له علاقة وارتباط به؛ لأن أعماله له الأجر عليها، ومن ذلك إجابة الدعاء، وأما ذات مخلوق آخر فأي وسيلة بينهما وأي علاقة تربطهما؟.

اللهم إلا إن توسل بإيمانه بالنبى صلى الله عليه وسلم ومحبه له أو محبه للصالحين، ولكن هذا القصد قلما يخطر ببال المتوسلين بالذنوب.

وحاصل هذا الوجه أنهم يقولون:

إن التوسل سبب لإجابة الدعاء، فهم مطالبون بأمرين:

أحدهما: الدليل على أنه سبب لتحصيل الإجابة.

وثانيهما: الدليل على أنه سبب مشروع لا يحرم فعله.

فإنه ليس كل ما كان سبباً كونياً يجوز تعاطيه، فإن قتل المسافر قد يكون سبباً لأخذ ماله وكلاهما محرم.

وهؤلاء المدافعون عن مشروعية التوسل ليس لديهم الأدلة الكافية لإثبات هذين الأمرين إلا بعض الشبهات.

11- إن اعتقاد مشروعية التوسل بالذنوب أدى إلى مفسد جسيمة وعواقب وخيمة، وما كان كذلك فلا يمكن أن يشرعه الله تعالى؛ لأن الشريعة الإسلامية إنما جاءت بترجيح المصالح وتكثيرها، وتقليل المفسد وإزالتها، فنثبت بهذا أنه بدعة لم يشرعه الله تعالى.

12- التوسل بالذنوب هو مثل الإقسام بالذنوب، وقد ورد النهي عن القسم بمخلوق، فقد قال صلى الله عليه وسلم:

{من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك}.

فكما أنه لا يجوز أن يحلف بمخلوق فكذلك لا يجوز أن يقسم على الله بمخلوق ولا يسأل بنفس مخلوق، فالسؤال بالمخلوق والإقسام به كلاهما من باب واحد، وقد تقدم بيان أن العلماء منعوا الحلف بغير الله ومنهم من جعله من الشرك الأكبر كما منعوا الإقسام على الله تعالى بالمخلوق.

ومن هذا الباب التوسل البدعي. فهو مثل القسم والحلف بغير الله تعالى فلا فرق بين ذلك.

13- ثم يقال لمن يجيز الإقسام على الله تعالى بالمخلوق أو السؤال به: ما هو الضابط الذي تتبعه في السؤال بالمخلوقات والإقسام بها؟ هل يقسم بكل مخلوق أو بالمخلوقات المعظمة أو ببعضها؟

فإن قال بكل مخلوق لزمه أن يسأل بالشياطين؛ فهذا لا يقوله مسلم وإن قال بالمعظمة، فيقال: هل هو خاص بنوع معين أم لا؟ فإن قال بالمخلوقات لفتي أقسم الله بها لزمه السؤال بالليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى وبكل ذكر وأنتى ولزمه أن يسأله بالشمس والقمر والكواكب مع أنها عبادت من دون الله. وإن قال بمعظم دون معظم فيقال له: بعض المخلوقات وإن كان أفضل من بعض فكلها مشتركة في أنه لا يجعل شيء منها نداً لله تعالى، فلا بعد ولا يتوكل على أحد من المخلوقات كائناتاً ما كان، ونهى الله عن الشرك به في أي مخلوق، قال تعالى: *وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوً بِغَيْرِ عِلْمٍ*

(مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاتِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ) آل عمران: 79.

والله سبحانه سوى بين المخلوقات فلم يجعل لأحد منها سواء كان نبياً أو غيره أن يقسم به ولا يتوكل عليه ولا يرغب إليه، فكنذك السؤال إما أن يسوغ بالكل وإما ألا يسوغ مطلقاً أو بكل معظم والتفريق بين معظم ومعظم كتفريق من فرق، فزعم أنه يجوز الحلف ببعض المخلوقات دون بعض فكما أن هذا باطل فكنذك الآخر.

14- ثم إن مسألة التوسل أمر اختلف فيه العلماء ما بين مجيز ومحرم، أفلا يكون منعه من باب اجتناب الشبهات التي أمرنا بالاجتناب عنها في مثل قوله صلى الله عليه وسلم:

{دع ما يريبك إلى ما لا يريبك}.

فإذا كان الفقهاء يراعون الخلاف حتى في المسائل التي أدلتها ضعفة فلماذا لا نراعي هنا الخلاف مع قوة الأئمة التي تدل على المنع وقد ذكرناها؟

فالإنصاف يقتضي أن نراعي هنا أكثر فأكثر لعلاقة المسألة بإخلاص العبادة لله الذي ضده الكفر والعياذ بالله.

15- ثم إن التوسل بالذوات لو قلنا بجوازه فلا يخلو إما أن نقول: إن التوسل المشروع أفضل منه أو هو أفضل ولا يمكن لأحد أن يدعي أنه هو الأفضل؛ فإذا كان الأمر كذلك فلماذا نترك الأفضل ونبحث عن المفضول؟

فهل هذا إلا استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير؟



مركز تحقيقات علوم اسلامی

بيان حكم الإنشاد والحضرة في المذاهب الصوفية

اعتاد المتصوفون استخدام بعض أنوات الموسيقى كاللدف والمزاهر والصنجات أثناء ممارستهم لما يسمونه حلقات الذكر، وكسأن ذكر الله سبحانه وتعالى لا يتم إلا بالرقص والأشيد التي يسمونها تجاوزاً (ذكراً) وما هي من الذكر بشيء، بل هي استعراض واسترضاء لمشايخهم ومؤسسي طرقهم لدرجة يذكرون فيها اسم مشايخهم ومن يسمونهم بالأولياء الصالحين، أكثر مما يذكرون الله ورسوله.

ومع ذلك فإن ما نقوله هنا في هذا البحث ليس من عندنا، ولا علاقة له بأهل السنة والجماعة، أو بأي مذهب من المذاهب الأربعة. بل هو منقول عن رجالات الصوفية الكبار الذين وجدوا أن في بعض ممارساتهم وممارسات أتباعهم شيئاً من الغلو والشطح الذي قد يؤدي بصاحبه إلى الكفر والعياذ بالله.

1- فقد عقد الشهاب السهروردي في "العوارف" أبواباً في حكم السماع منها الباب الثالث والعشرون في القول فيه رداً وإتكاراً قال فيه: وحيث كثرت الفتنة بطريقه وزالت العصمة فيه وتصدى للحرص عليه أقوام قلّت أعمالهم وانفسدت أحوالهم وأكثروا الاجتماع للسمع. وتكون الرغبة في الاجتماع طلباً لتناول الشهوة واسترواحاً إلى الطرب واللهو والعشرة، ولا يخفى أن هذا الاجتماع مردود عند أهل الصديق. ويتفق لهم ذلك اتفاقاً في بعض الأحيان لا أن يجعلوه دأباً ودينناً حتى يتركوا لأجله الأوراد، وقد نقل عن الشافعي رضي الله عنه أنه قلل في كتاب آداب القضاء وضعته الزنادقة ليشغلوا به عن القرآن.

ثم يتابع السهروردي فيقول:

وإن أنصف المنصف وتفكر في اجتماع أهل الزمان وقعود المغني بدقه،
والمشبيب بشبابته وتصور في نفسه هل وقع مثل هذا الجلوس والهيئة
بحضرته صلى الله عليه وسلم؟

وهل استحضروا قوالاً وقعدوا مجتمعين لاستماعه؟

لا شك بأن ينكر ذلك من حاله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولو كان
في ذلك فضيلة تطلب ما أهملوها.

وكثيراً ما يغلط الناس في هذا كلما احتج عليهم بالسلف الماضين، يحتج
بالمأخزين! فكان السلف أقرب عهداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهديهم أشبه بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم ذكر عن عبد الله
بن عروة بن الزبير عن جدته أسماء وعن ابن عمر في الإنكار على من
يتساقط عند قراءة القرآن، وكذا عن ابن سيرين في الإنكار على مثلهم.
فقد تعين على طائفة الصوفية الاجتناب عن مثل هذه الاجتماعات واتقاء
مواضع التهم فهذه الآثار دلت على اجتناب السماع وأخذ الحذر منه.

انتهى كلام السهروردي ملخصاً من كتاب "

اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين " للزبيدي ج 6/ 457-458

2- وقال البدر ابن جماعة، في جواب فتوى رفعت إليه في السماع

فقال: هذه مسألة خلافية. فلنقتصر على حكاية المذاهب الأربعة:

فلما أبو حنيفة رحمه الله فمذهبه فيه أشد المذاهب، وقوله فيه أغلظ
الأقوال، وقد صرح أصحابه بأن استماعه فسق، والتلذذ به كفر، وليس بعد
الكفر غاية. وأما مالك رحمه الله فبأنه لما سئل عنه قال:

إنما يغلطه عندنا الفساق، وفي كتب أصحابه إذا اشترى جارية فوجدها
مغنية فله أن يردها بالعيب.

وأما أحمد بن حنبل رحمه الله فبأن ابنه عبد الله سأله عنه فقال:

يا بني الغناء يُنْبِتُ النفاقَ في القلب، ثم نَكَرَ قولَ ملكٍ إنما يَفْعُله عندنا
الفساق. وأما الشافعي رحمه الله فقد قال في كتاب القضاء:
إن الغناء لهوٌ مكروه يُشَبِّه الباطل؛ وقال لأصحابه بمصر:
خَلَفْتُ ببغداد شيئاً أَحَدْتُهُ الزنادقة يُسمونه التَّغْيِيرَ، يصنّون به الناس
عن القرآن.

فإن كان قوله في التَّغْيِيرِ — وهو عبارة عن شعرٍ مُزَهَّدٍ في الدنيا إذا
غَنَى المغني به ضَرَبَ الحاضرون بِقُضْبٍ على نِطْعٍ أو مَخْدَةٍ ضَرْباً موافقاً
للأوزان الشعرية — فَلَيْتَ شِعْري ماذا يقول في السماع الواقع في زماتنا ؟
فمن قال بإباحة هذا النوع فقد أَحْدَثَ في دين الله ما ليس منه.
انتهى كلام ابن جماعة

بإختصار من اتحلف السادة المتكين للزبيدي 458/6

2— وقال الجنيد رحمه الله: " رأيت إبليس في النوم فقلت له هل تظفر
من أصحابنا بشيء أو تنال منهم نصيباً ؟
فقال إنه ليصر على شائهم ويعظم على أن أصيب منهم شيئاً إلا في
وقتين، وقت السماع، وعند النظر فإني أنال منهم فتنة وأدخل عليهم به ".
3— وسئل أبو علي الرونباري عن السماع، وكان من شيوخ الصوفية،
فقال: ليتنا تخلصنا منه رأساً برأس.

4— وقال الجنيد:

إذا رأيت المرید يحبُ السماع فاعلم أن فيه بقيةً من البطالة.

5— وقال أبو الحارث الأولاسي وكان من الصوفية:

رأيت إبليس في المنام وكان على بعض السطوح في " أولاس " وعن
يمينه جماعة وعن يساره جماعة وعليهم ثيابٌ نظيفة فقال لطائفة منهم
قوموا وغنوا فقاموا وغنوا، فاستفز عني طيبه حتى هممت أن أطرح نفسي
من السطح، ثم قال ارقصوا فرقصوا بأطيب ما يكون، ثم قال:
يا أيها الحارث ما أصيبُ شيئاً أدخل به عليكم إلا هذا.

6- وقال الجريري:

رأيتُ الجنيدَ رحمه الله في النوم فقلتُ كيف حالكَ يا أبا القاسم؟
فقال: طاحت تلك الإشارات، وبادت تلك العبارات، وما نفعنا إلا تسبيحات
كنا نقولها بالغدوات. انتهى المدخل لابن الحاج 3/ 109 .

فهذه فتاوى كبار العلماء من المذاهب الأربعة ومعها كلمات لبعض كبار
رجال التصوف وجميعهم متفقون على منع مجالس السماع (الإشهاد)،
وكذلك الرقص (الحضرة) وهي أشدُّ منعاً وبخاصة في المساجد، وقد
وصفوا ذلك بأنه باطلٌ ومنكرٌ وضلالٌ وتلاعبٌ بالسُّنن وحكموا عليه
بالحرمة، وحكموا على فاعل ذلك بأحكام منها فسقه وتبذيره، وسقوط
عدالته، ورفضُ شهادته، والنهي عن الصلاة خلفه، ثم أفتوا بوجوب تدخل
ولي أمر المسلمين لمنع القائمين على هذه المجالس من فعلها وتلاييمهم
ومعاقبتهم، وكذلك وجوب الإنكار عليهم من أهل العلم.

مركز تحقيقات مكتبة نور

الفهرس

5	المقدمة
11	الصوفية
36	الفرق الصوفية
37	الطريقة البرهانية
50	الطريقة البريلوية
56	الطريقة البكتاشية
63	الطريقة النجاشية
77	الطريقة الختمية
93	الطريقة الديوبندية
99	الطريقة الرفاعية
116	الطريقة السنوسية
121	الطريقة الشاذلية
129	الطريقة الفاسية
135	الطريقة الملامتية
145	الطريقة المهدية
153	الطريقة الميلوية
154	الطريقة النقشبندية
159	الطريقة الواحدية
171	أعلام التصوف
171	ابن أحن
172	ابن عربي الأندلسي





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

199	ابن عطاء الاسكندري
202	ابن حجر الهيتمي
203	ابن سبعين
208	ابن عجيبة
214	ابن قضيبة البان
217	ابو مدين الأندلسي
219	أبو يزيد البسطامي
223	أبو عبد الرحمن السلمي
224	أبو بكر الشبلي
225	أبو الحسن الشاذلي
232	أبو حامد الغزالي
243	أبو العباس المرسى
245	أبو طالب المكي
249	محمد سعيد البوصيري
256	الخضر عليه السلام (في المعتقد الصوفي)
274	الشيخ ولي الدين الدهولي
278	عبد الله بن أبي بكر العيروس
281	عمر بن الفارض
287	الفضيل بن عياض
289	الشيخ يوسف الإقمني
290	محمد بن عبد الرحيم الباجري
292	أحمد البدوي
296	الحسن البصري
300	أحمد التجاني





مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

309	الحكيم الترمذي
310	العفيف التلمساني
311	عبد القادر الجيلاني
314	عبد الكريم الجيلي
337	الجنيد
339	أحمد هلال الحسني
340	الحسين بن منصور الحلاج
344	أحمد الفاروقي السرهندي
347	شمس الدين سومطراتي
350	الشيخ ابراهيم بن سعيد الشاغوري
351	عبد الوهاب الشعراني
357	الشيخ علي الكردي
358	الشيخ خضر بن أبي بكر المهراني العدوي
359	رابعة العدوية
362	نو النون المصري
364	من البدع والشطحات الصوفية
364	الصوفية واللوح المحفوظ
374	الحج الأصغر في مكة الثاقبة (الكازاخستانية)
377	زيارة قبر هود عليه السلام
383	التوسل بذوات الصالحين
391	بيان حكم الإنشاد في المذاهب الصوفية
395	الفهرس